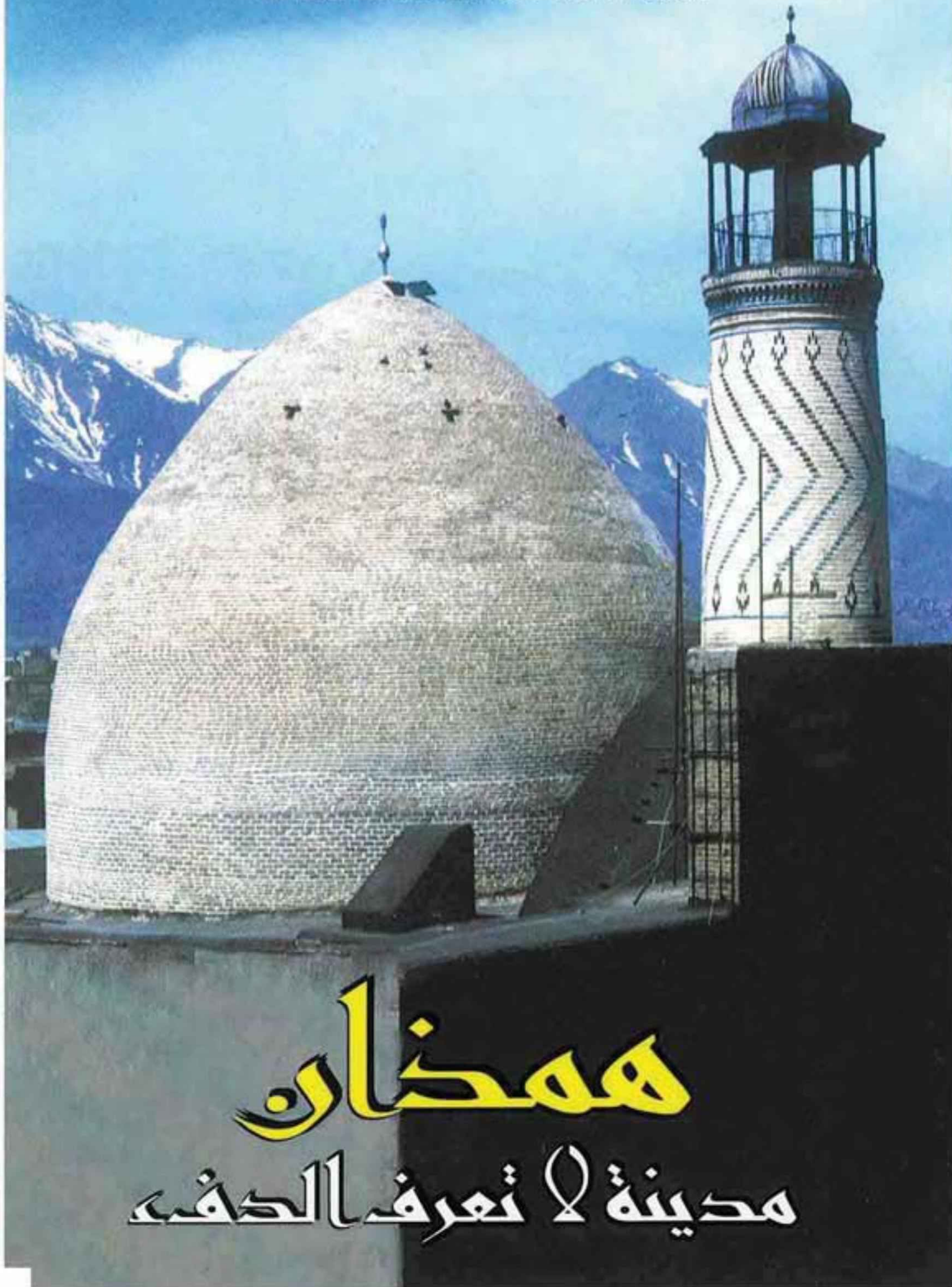
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٠٣ - رمضان ١٤٢٢ هـ - نوفمبر/ديسمبر ٢٠٠١م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 303- NOV./DEC. 2001




الفيصل
الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل النشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

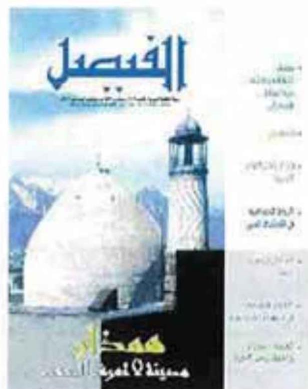
السعودية ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢٠٠، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١، ٩٦٣٠٠، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ١ ـ ٢١٦٠٠، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ، ٩٧٤٠٠، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦، ٩٦٢٠٠، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٩٧٣٠٠، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١٠٠، الجزائر ـ مؤسسة E.B.D PRESSE لتوزيع الصحافة، ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣٠٠، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥٠٠، السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-240404 1/32 ـ MOROCCO، باكستان PAKISTAN

PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.

الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ ـ ٣ ـ ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

مطابع هلا
٤٨٢١٣١٣



همذان.. مدينة لا تعرف الدفء

همذان مدينة قديمة يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد، وقد دخلها الإسلام في سنة ٢٣هـ، وفيها كثير من الآثار الإسلامية التي تمثل تراثاً حضارياً للمدينة، إلى جانب آثار الحضارات السابقة التي قامت فيها؛ إذ جعلها موقعها المتميز ملتقى للشعوب والثقافات واللغات والأديان. وتعرف همذان بكثرة أعلامها من الأدباء والعلماء، لعل أشهرهم بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات.

وإذا كان قد مدحها شعراء كثُر هاموا بها حبًا، فإن من ذمها منهم ليسوا قليلين، فلماذا كان المدح والذم؟ وما الصورة التي أصبحت عليها همذان اليوم؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

ثقة وإشادة واقتراح

في البدء لا بد أن أثني على مجلة الفيصل الثقافية بحق وحقيقة، وأجدها فرصة لأشيد بما يبذله العاملون فيها لإخراجها بهذا الثوب القشيب، فحري بها والأمر كذلك أن تنال هذا الإعجاب من مختلف القراء في العالمين العربي والإسلامي.

وقد دفعني إلى مراسلتكم ثقتي بكم أولاً، وثانياً ترحيبكم بمشاركات الإخوة القراء وفق الشروط الموضوعة للمجلة، وأرغب في التواصل معكم، فأرجو أن تكونوا عند حسن ظني.

ومن جهة أخرى، أرى أن فكرة تقليل الأبواب غير المفيدة، وإلغاء بعض الأبواب لإتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن من مقالات الكتاب هي - بلا شك - فكرة ممتازة، ليتم التعارف بين القراء عبر الأفكار، ومن أراد الأبواب غير المفيدة والزوايا الهامشية فليبحث عنها في غير الفيصل الكنز وما أكثرها في المطبوعات الأخرى.

ومن المفترض أن يوجد باب يحمل ردود الكتاب، وهو ما نفتقده «الفيصل» ومثال للردود أن تكون كالآتي - فلان الفلاني من مصر مثلاً - مقالك بعنوان كذا وكذا غير مجاز للنشر لسبب فني، أما مقالاتك بعنوان «كذا وكذا» «وكيت وكيت» فستنشر في الأعداد القادمة.

وفلان الفلاني من السعودية مثلاً - مقالك «كيت وكيت» غير صالح للنشر لأسباب فنية وننتظر منك مشاركات أخرى - وبالتأكيد من خلال ردود كهذه يستطيع الكتاب معرفة مقالاتهم الصالحة وغير الصالحة للنشر، وبعض الكتاب لا تصل مقالاتهم إطلاقاً إلى الفيصل فإذا لم يجد الكاتب رداً لمقالة مثلاً يعرف أن مقاله لم يصل إلى الفيصل أو ربما تاه في البريد.

فمثل هذا الباب الذي اقترحناه لكم مهم جداً لمعرفة مصير مقالات الكتاب، فأرجو أن تسعوا جاهدين لإيجاد باب أو صفحة تحمل ردوداً للكتاب، وهو ما تفعله بعض المطبوعات التي تنشر مقالات الإخوة القراء، ولكم الشكر.

عبدالمنعم عثمان الحسين سعد
السوق العربي
الخرطوم - السودان

التحرير:

نشكر لك إطراءك، وثقتك بمجلتك، ونأمل أن تجد مقالتك طريقها إلى النشر.

أما اقتراحك الخاص بالرد على الكتاب على صفحات المجلة، فهو أمر عسير التنفيذ، لأن ذلك يعني أن نكتفي بالردود دون نشر أي مادة، لكثرة عدد المقالات التي تصل إلى المجلة يومياً، علماً بأننا نرد على أي خطاب يصل إلى المجلة، ونبين للكتاب موقف موادهم من النشر.

لماذا التأخير؟

هذه أول رسالة لكم، وأتمنى ألاّ تكون الأخيرة، ولا تعلمون كم هي فرحتي وسعادتي أن أصبح من قارئي مجلتكم الفيصل، ولعلمكم هذه أول مرة أجدها في المكتبة التي اعتدتُ أن أقتني منها كتباً ومجلات، ولم أصادفها إلا هذه المرة، فتصفحتُها واشتريتها على الفور. وكم فرحتُ بوجود مسابقة بها؛ لأنني من هواة المسابقات، لكن خيبتي كانت كبيرة عندما وجدتُ العدد لشهر صفر ونحن الآن أواخر جمادى الآخرة/رجب، فالفرق شاسع والتأخير جلي ولا أعلم هل هو لسوء التوزيع أم لمشكلات في الميناء.

فأتمنى أن تراجعوا هذا الأمر حتى نُساير الأحداث في المجلة وكذلك نستطيع المشاركة في المسابقة..

جميلة علوش
ولاية تيبازة - الجزائر

التحرير:

نشكر لك مبادرتك بالاتصال بالمجلة مع القراءة الأولى لها، مما يدل على تفاعلك مع ما وجدت فيها من موضوعات، وأما مشكلة التوزيع في الجزائر، فتتعلق بقرار عام من الجهة المسؤولة هناك بإيقاف دخول المجلات العربية لأسباب إدارية يتم تنظيمها الآن..

ونعتذر إليك من عدم قدرتنا على مساعدتك في طلبك ولكن عليك معاودة الاتصال بالجهة التي ذكرتها في رسالتك، لعل رسالتك الأولى لم تصل إليها لأي سبب من الأسباب.

تحيز!!

يسرني ويسعدني كثيراً أن أكتب إليكم رسالتي هذه شاكراً لكم جهودكم الصادقة في تقديم المجلة بصورتها الرائعة، وتمنياتي للجميع بالتوفيق والصحة الدائمة.

إنني أحد قرّاء مجلتكم الحبيبة، وأحد المشاركين في مسابقاتها الشهرية. وقد استبشرت خيراً عندما قررت المجلة زيادة قيمة الجوائز وعدد الفائزين، وهذا يدل على أن المجلة تهتم برسائل القراء جميعاً واقتراحاتهم.

ولكن في أول عدد يعلن فيه أسماء الفائزين في الزيادة الجديدة، وهو العدد (٢٩٩) الصادر في شهر جمادى الأولى/يوليو - أغسطس. للعدد (٢٩٦) لشهر صفر فوجئنا بتحيّز واضح ومكشوف، وقد يكون متعمداً، لأن الفائزين (٢) من مصر - (٢) من اليمن - (٣) من الأردن.

أسألكم فما هو الجديد في هذه الجائزة؟

أسأل هل الذين اشتركوا بالمسابقة فقط من هذه الدول.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل.

إن رسائل القراء هي أمانة في أعناقكم. ويجب الاهتمام بها وأن تكون الجوائز الثماني موزعة على البلاد العربية، فكل بلد عربي له فائز واحد، وليس اثنين أو أكثر من كل دولة. لأنكم لم تضيفوا شيئاً جديداً إلى طريقة التوزيع للجوائز.

أكرر مرة أخرى بأن تعيدوا النظر في أسماء الفائزين وأتمنى أن يكون من كل دولة فائز واحد.

سمير عوني
اللاذقية - سورية

التحرير:

كنا نود لو جاءت رسالتكم بشكل اقتراح ألا يكون هناك أكثر من فائز واحد من أي دولة، بمعنى أنه إذا جاءت القرعة في صالح متسابق من الدولة ذاتها، يتم إعادتها حتى تتاح الفرص لمتسابقين من دول أخرى، وهذا ما ننظر فيه حالياً، ولكن الاتهام بالتحيّز غير صحيح على الإطلاق، لأنه لو كان هناك تحيّز لكان للمشاركين من المملكة العربية السعودية، وهم كثر، والأعجب أن مثل هذا الاتهام جاءنا من قبل من متسابق من الأردن الشقيقة التي فاز ثلاثة منها في العدد الذي تشير إليه، مما يعني أن القرعة هي الوسيلة الوحيدة لتحديد الفائزين؛ علماً بأن المتسابقين في كل عدد ينتمون إلى أكثر من عشرين دولة من دول العالم المختلفة.

ردود سريعة

الأخ إبراهيم محمد علي الريمي - تعز - اليمن:

اقتراحك أن تكون ورقة المسابقة سهلة النزع يستحق النظر فيه، وسوف نرى إمكان تنفيذه بالتنسيق مع المطبعة، كما سنعمل على تلافي انتزاع الأوراق - كما تقول، ونحترم تأييدك اقتراح إعادة «دائرة المعارف»، و«استراحة العدد»، وكما هو شأن كل الاقتراحات التي ترد إلى المجلة، فإننا سننظر فيه.

الأخ محمد عبدالوهاب شماحي - ولاية أم البواقي - الجزائر:

تصف نفسك بالمكتشف الجديد للفيصل، وتبحث عن وسيلة تستطيع من خلالها الحصول عليها شهرياً بلا انقطاع، ومع أننا ننصح بالاشتراك لكونه أفضل الوسائل لانتظام الحصول على المجلة بلا مشقة، فإننا سوف نرى أسباب عدم توافرها أحياناً في منطقتك، وبعض مناطق الشقيقة الجزائر، والوسيلة المثلى للتعارف - في رأينا - تكون من خلال تبادل الأفكار، وليس هناك مثل مشاركات القراء في المجلة وسيلة لتحقيق ذلك، لذا لا نرى أهمية لباب التعارف.

الأخ محمد مصطفى المصطفى - حلب - سورية:

نشكر لك احتفاءك بالمسابقة بالقصيدة الجميلة التي بعثت بها، ونأمل أن نكون دوماً عند حسن ظن الإخوة القراء، ونتمنى لك الفوز بإحدى جوائز هذه المسابقة التي تغزلت بمحاسنها.

الأخ كشيرات أحمد أمين - غليزان - الجزائر:

نشكر لك هذه الثقة الكبيرة بمجلتك، واعتزازك بانتمائك العربي والإسلامي، وتقديرك لدور المملكة العربية السعودية في محيطها العربي والإقليمي والدولي، ونتمنى أن تتحقق أمنياتك. واقتراحك إنشاء صندوق وطني لمساعدة الشباب على الزواج يمكن طرحه على الجهات المسؤولة في بلدك مباشرة، لعله يحلّ المشكلات التي أشرت إليها في رسالتك.

متحف دبي

عبدالله عبدالعزيز الضويحي
مرات - السعودية

تقاس حضارات الشعوب بأصالة تراثها وآثارها، وقد أثبتت التنقيبات الأثرية أن إمارة دبي ذات تاريخ عريق يمتد أكثر من أربعة آلاف سنة، فكان لموقعها الإستراتيجي على ساحل الخليج العربي واتصالاتها المتنوعة مع الحضارات العالمية ميزة خاصة جسدت معانيها الوطنية.

وحفاظًا على موروثاتها الثقافية وقيمها الحضارية وإبراز معالمها التاريخية، فقد تم افتتاح متحف دبي في ١٢ مايو/آيار عام ١٩٧١م في (قلعة الفهيدي) الأثرية تقديراً لمكانتها التاريخية التي تؤكد المصادر التاريخية أنها بنيت في حدود عام ١٧٧٨م لتكون درعًا حصينًا للدفاع عن المدينة ضد الأخطار الخارجية.

وهذه القلعة - بشكل عام - مبنى مربع الشكل مبنية من الأحجار البحرية وأقيمت بزواياها ثلاث مقصورات دفاعية لا تزال باقية إلى يومنا هذا، تحيط بها ثلاث ردهات مستطيلة تطل على ساحة كبيرة مكشوفة وفق التخطيط المعماري الإسلامي، وبوابتها الرئيسة مصنوعة من خشب «الساج»(١) المزود بالأسافين الحديدية.

ويعد متحف دبي من أجمل المتاحف في منطقة الخليج حيث يجسد حقبة من الحياة التراثية والبيئية



المدخل الرئيس





مدفع قديم استخدم في دبي خلال القرن التاسع عشر، ومن ورائه سفينة كانت تستخدم في صيد اللؤلؤ، وعلى اليسار طلبة في صورة تذكارية أمام مدخل متحف دبي

والمناخية التي مرت على مدينة دبي من خلال نماذج حية من الشموع والأدوات التي كانوا يستخدمونها في تلك الحياة.

والمشاهد لتلك الموروثات الشعبية يشعر بأنه يعيش مع ذلك العالم لحظات تأمل لما كان عليه الحال في تلك المرحلة، فصاحب الحانوت جالس في حانوته، والحداد منهمك في عمله، والمسجد تمارس فيه الحلقات الدينية، لا سيما خور دبي الذي تشكلت حوله مظاهر الحياة في المدينة بأسواقها ونشاطاتها التجارية، وكذلك الحياة البحرية والبرية.

الأسلحة التقليدية

تبرز معروضات القلعة جانباً مهماً من الوسائل الدفاعية يتمثل في عرض بعض الأسلحة التقليدية من العصور الإسلامية مختلفة الأنواع كالسيوف العربية والقوس والنشاب والرماح، بالإضافة إلى الدروع الحديدية والخوذ الوقائية التي استخدمت خلال العصرين الأموي والعباسي. ومن الأسلحة الحديثة المسدسات والبنادق المنوعة، كذلك المدافع التي برزت صناعتها مع إطلالة القرن السادس الهجري.

مقتنيات القلعة والساحة

يوجد في قلعة الفهيدي نماذج تراثية للمسكن الشعبي التقليدي المتمثل في العريش، حيث كان يصنع من جريد وسعف النخل بشكل يتلاءم مع الظروف البيئية والمناخية للمنطقة، كما يوجد في الساحة نماذج من السفن والقوارب الخشبية المستخدمة في صيد السمك واللؤلؤ والرحلات البحرية.



مظاهر الحياة الاجتماعية في البيت الإماراتي



سوق السمك

قاعات العرض

بعد خروجك من ساحة القلعة عبر نفق خاص يؤدي بك إلى قاعات عرض رئيسة خصصت للموضوعات التراثية التي تمثل المظاهر البيئية للحياة القديمة من خلال تاريخ الإمارة ومراحل التطور الشاملة للعلاقات المتداخلة من طبيعية، وبيئية، وسكنية، واجتماعية، واقتصادية، وحقائق ثقافية تناولت جوانب التنمية التي شهدتها المدينة خلال القرنين الماضيين (من خلال لوحات توضيحية للطفرة الحضارية للإمارة) تطالعك إثر مرورك من هذا النفق المؤدي إلى صالات العروض.

خور دبي

نشأت المدينة من اندماجها العضوي مع الطبيعة الجغرافية والمناخ، فقد كان الخور النواة الطبيعية التي تشكلت حولها مظاهر الحياة، وفرضت معالمها على تشكيل المدينة بأسواقها وفنونها المعمارية وطابعها الزخرفي، ونشاطاتها التجارية التي اتخذت من شواطئه مقرًا لرسو السفن قريبة من مخازن التجار لتفريغ حمولتها، إذ كانت القوارب الصغيرة تنقل البضائع من هذه السفن إلى ضفتي الخور الممتد نحو عشرة كيلو مترات تقريبًا وإثر تعميقه وتطويره، أضحى الميناء الحي الذي يزدان اليوم بالمرافق التجارية والسياحية.

المسكن التراثي

تمثل المساكن التراثية نموذجًا حيًا للعمارة الخليجية بطابعها الإسلامي ومفاهيم عاداتها وتقاليدها العربية

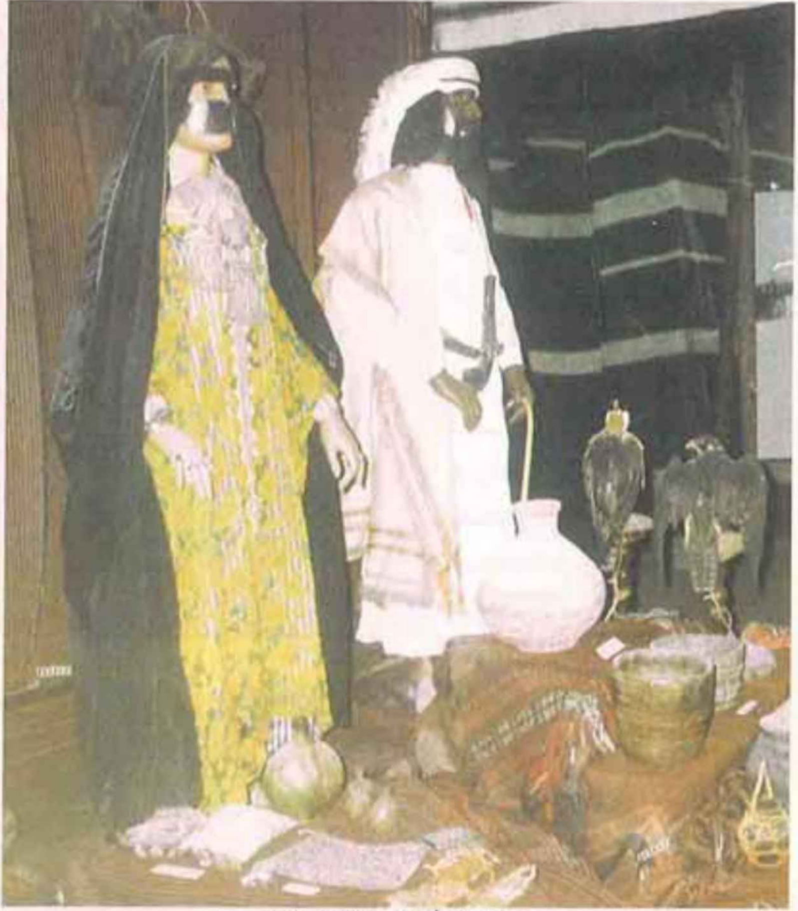
الأصيلة، إذ يستجيب المسكن الخليجي لمتطلبات المناخ من حيث تكوين مادته سواء المبني من الجريد أو سعف النخيل (العريش) أو الحجارة المشذبة أو الطين، وتلتصق بعضها ببعض متداخلة مما يعطيها طابع التلاحم والوحدة، وينسجم في هندسته مع البيئة بانفتاحه على فناء داخلي (الحوي) لا يتأثر بالتيارات الخارجية، وبازدهار تجارة اللؤلؤ خلال القرنين الماضيين ازدادت المساكن المبنية من الحجر الجيري التي تعلوها البراجيل(٢).

المسجد

يجسد المسجد العامل الروحي، وهو نواة المدينة الإسلامية، فيجتمع فيه المسلمون للصلاة في أوقاتها الخمسة وتلاوة القرآن وتفسيره، كما يعدّ مركزها الثقافي الذي يجتمع فيه المسلمون للتداول في أمورهم الدنيوية والدينية، إلى جانب كونه شكلا بدائيًا للمدارس القديمة (الكتاتيب)، حيث يجتمع الأطفال لتعلم أصول الدين ومبادئ القراءة والكتابة والحساب.

الأسواق

تتقارب أسواق المدينة من الخور لتسهيل النشاطات التجارية لكونها الوسيط في التبادل التجاري العالمي بين الشرق والغرب بحكم موقعها الفريد على ضفاف الخليج العربي مما أدى إلى كثافة الأسواق المنشأة عادة قرب المساجد، وغالبًا ما تكون ضيقة ومسقوفة ومتخصصة، تقوم على طرفيها دكاكين العطارين



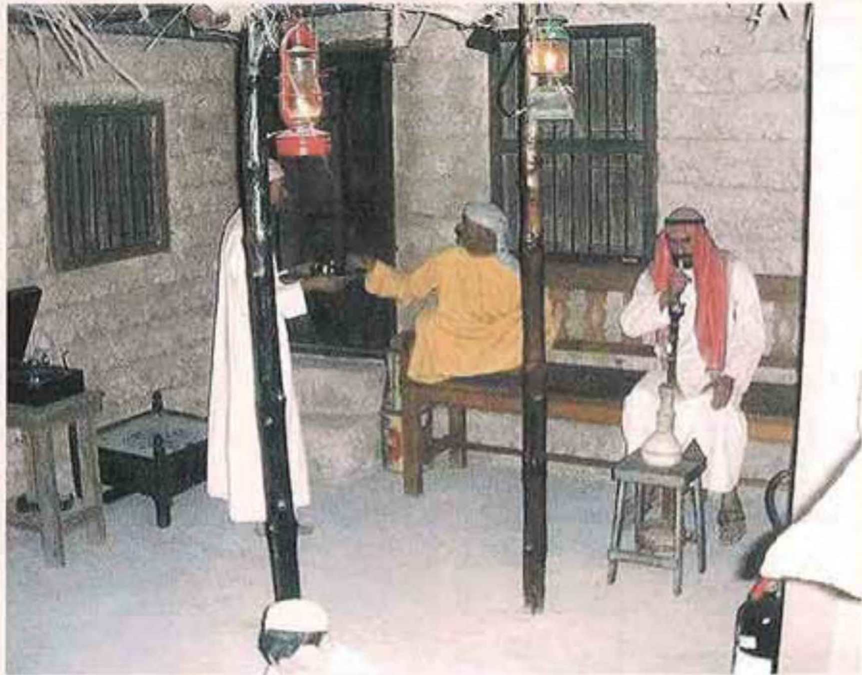
رجل وامرأة بالزي التقليدي البدوي



الخيمة البدوية



بائعو اللؤلؤ



القهوة الشعبية

الحياة البرية

تشكل الطابع البري الذي يحوي المجتمعات القروية الزراعية في الواحات جزءاً من الموضوعات التراثية المعروضة، فقد اتجه التنظيم الزراعي في النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى الاستغلال المكثف للأرض، فعمد سكان الواحات الزراعية إلى الزراعة المكثفة، وتنظيم الري بطريقة الأفلاج الشائعة في السهل الداخلي ومعظم الإمارات، وهي مجار مائية تؤدي لانحدار المياه من المناطق المرتفعة والآبار بتنظيم هندسي دقيق لتوصيلها إلى الأراضي الزراعية المعمرة بأشجار النخيل والتبغ والبرسيم وأشجار الغاف(٣)، وتمثل النخلة ثالوثًا مع الصحراء والبحر، ومصدراً رئيساً للاستقرار بالحصول على الغذاء أو الإفادة من سعفها وجذورها في إنشاء المساكن وقيام الصناعات اليدوية كصناعة السلال وأغطية الطعام والحصير.

الحياة البحرية

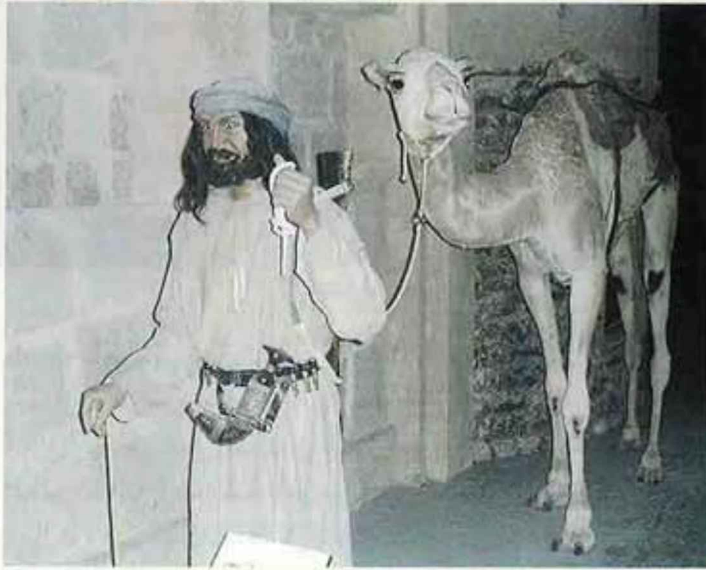
من خلال شاطئ ضحل ممتد أكثر من سبعين كيلو متراً انتعشت معالم حضارية دفعت البيئة الشحيحة نحو البحر للبحث عن مصدر للرزق، فمنحهم البحر مورداً غذائياً بأحيائه المائية، فتزخر مياهه بأكثر من ثلاثمئة نوع

والصاغة والخياطين والحدادين وغيرها. وقد تعددت هذه الأسواق المتخصصة لتشمل سكة الخيل وسوق المناظر والتمر والحبال والسوق الكبير في بر دبي والعرصة والسبخة.





البئر «الطوي» ومتجر العطارة والتوابل ...
والجمل سفينة الصحراء



من الأسماك نجم عنها احتراف الصيد البحري وتصنيع أدواته من شباك مختلفة، وتخزين الفائض منه بعد تمليحه في صفائح معدنية. وبتأثير الموقع الجغرافي ونشوء الممالك والدول على الشواطئ في الأحقاب التاريخية القديمة فقد ساهم السكان في التجارة العالمية ليعملوا وسطاء بين الشرق والغرب، تمخر سفنهم عباب بحر العرب والمحيط الهندي، مما أدى لظهور حرفة صناعة السفن ذات القدرة على الإبحار وتحميل البضائع، وتبعًا لذلك تطورت الموانئ وازدانت بالسفن المتنوعة الأشكال والأسماء والمصنعة محليًا.

الغوص

إحدى الحرف التي امتهنها إنسان البيئة منذ ما ينيف على ثلاثة آلاف عام فانطلقوا يجوبون مجاهل البحر على ظهر مراكبهم التي تحمل على متنها ما يراوح بين عشرة وستين شخصًا من نوخذة وغواصين وسيب وجليسة، إلا أن الدور البارز في عملية الغوص كان يكمن في المهمة

الشاقة للغواص ومكوثه في القاع لأكثر من دقيقتين تتم في مواسم معينة به بدءاً من منتصف إبريل/نيسان حتى سبتمبر/أيلول حين تكون مياه الخليج دافئة وصالحة للغوص. وقد نشطت إمارة دبي في هذه الحرفة فقد كانت تمتلك ما ينيف على ثلاثمئة وخمسة وثلاثين قارباً مستخدماً للغوص.



بائع التمور

الحياة البدوية

السمة الصحراوية ميزة بدء الحياة العربية القديمة، إذ تشكل الصحراء جزءاً من طبيعة المنطقة المعتمدة على تنظيمات قبلية بهيئة مجموعات متنقلة تنظم تحت قيادة شيخها، ويمتهن معظم أفرادها الرعي والصناعات التقليدية، كالنسيج والدباغة ومنتجات الألبان، ويوفر البدوي مسكنه ضمن معطيات بيئية فقيرة بتصنيع بيت الشعر لكونه أكثر أشكال المنازل ملائمة لحياة البادية، ويتميز البدوي بملابسه التقليدية الطويلة وتمنطقه خنجره المعدود أداة حربية ووسيلة زينة، بينما يتميز لباس البدوية بالألوان الزاهية وكثرة استخدامها للحلي الفضية.



«الكتّاب» التعليم القديم

الهجن

يعني البدوي بتربية الجمال لارتباطه بها تاريخياً منذ القدم، وهي من الحيوانات التي عرفها الإنسان قديماً، إذ ورد ذكرها في الكتابات السّومرية باسم فيل الجمل وعرفها العرب بالجمل، فقد وظفت للخدمات المتعددة في السلم والحرب، فهي وسيلة النقل ومصدر الوبر الذي تصنع منه معظم مستلزمات البدوي من أغطية وفرش

المراجع والهوامش

- بلدية دبي، إدارة الشؤون الإدارية قسم الآثار والمتاحف.
- متحف دبي.
- مجلة الآثار في دولة الإمارات العربية

١. الساج: خشب التيك.
٢. البراجيل: برج مرتفع عن سطح المنزل يعمل بصورة طبيعية على إدخال الهواء إلى الغرفة الموجودة تحته.
٣. في اللسان (غيف): والغاف: شجر عظام تنبت في الرمل مع الأراك، وتعظم...وله ثمر حلو جداً.

الصور: أرشيف «الفيصل» والكاتب.

رمضان اشتقاقه ودلالته

جاسر أبو صفية
عمان - الأردن

رمضان من الشهور العربية القمرية؛ ولأن الله - سبحانه وتعالى - أنزل فيه القرآن، وفرض فيه الصوم؛ فقد وقع الاختلاف بين العلماء في تفسير معناه وأصل اشتقاقه، وجاءت أقوالهم متأثرة بالتفسير الإسلامي لمسميات الأشياء.

فما أصل اشتقاقه ودلالته؟

قال ابن فارس (ت: ٣٥٩هـ) في «معجم مقاييس اللغة»: الرّاء والميم والضاد، رمض: أصل مُطّرد يدل على حدة في شيء من حرّ وغيره؛ فالرَّمض حرُّ الحجارة من شدة حر الشمس. وأرض رَمِضة: حارّة الحجارة.

تقول: رمض يومُنا: اشتد حرّه.

وأرمض الحرُّ القومَ: اشتد عليهم.

والرَّمض: مصدر قولك: رمِض الرجل يرمَضُ رمَضاً: إذا احترقت قدماه من شدة الحرّ. ومنه قول الشاعر:

فهنّ معترضاتٌ، والحصى رَمِضٌ
والريح ساكنةٌ والظلُّ معتدلُ

ومن دلالات الرَّمْض: سنُّ السكين أو الموسى، نقول: رَمَض النَّصل يرمِضه ويرمُضه رمْضاً: حدّده، فكل حادٍّ رميض، وسكّين رميض بيّن الرَّماضة، أي حديد.

وشفرٌ رميض ونصلٌ رميض، أي وقيع، قال الشاعر:

وإن شئت فاقتلنا بموسى رميضة
جميعاً، فقطّعنا بها عُقَدَ العُرا

ومن الاتساع في استعمال دلالة الرَّمض قولنا:

الترمّض: صيدُ الظبي في وقت الهاجرة، يتبعه الصائد حتى إذا تفسّخت قوائمه من شدة الحر أخذه.

والرَّمض: حرقة الغيظ، ومنه قول الراجز:

ومن تشكّى مغلة الإرماض
أو خلّة، أعركتُ بالإحماض

فالإرماض: كلُّ ما أوجع، يقال: أرمضني: أوجعني، وارتمض الرّجل من كذا: اشتدّ عليه وأقلقه.

أنشد ابن برّي (ت: ٥٨٢هـ) قول الرّاجز:

إنّ أُحيحاً مات من غير مرض
ووُجِدَ في مرمضه، حيث ارتمض

واستعمل (ارتمض) في الحزن، فقالوا: ارتمضتُ لفلان: إذا حزنت له، كما استعملت في فساد أعضاء الجسم، فقالوا: ارتمضتْ كبِدُه: فسدت، ومنه: رمضت الغنم: رعت في شدّة الحر فقرحت أكبادها.

والرَّمضيّ من السَّحاب والمطر: ما كان في آخر القيظ وأوّل الخريف.

والرَّمض: المطر يأتي قبل الخريف فيجدُ الأرض حارة محترقة.

والرَّميض: قريبُ الحنيذ، وهو اللحم الذي يُشوى على الرَّضف، يقال: رمضتُ اللحم على الرُّضف: إذا أنضجته.

هذا ما قاله أهل اللغة في دلالة الرَّمض والرَّمْض من الفعل الثلاثيّ «رمض».

فإذا أخذنا بالتفسير الثنائي لألفاظ العربية، تسقط الرّاء من رمض ويبقى من حروف الكلمة «مض». والمضّ في العربية قريب من الرَّمض.

من ذلك:

المضّ: الحُرقة. والكُحل يمضّ العيْن، إذا كانت له حُرقة. وكحله بملمول مضٍّ، أي حارّ.

وفيها دلالة ضغط الشيء للشيء، فنقول: مضّني الشيء وأمضّني: بلغ منّي المشقة كأنه قد ضغطك.

ومضّني الهمّ والحزن والقول: أحرقني وشقّ عليّ.

فمن أي الدلالات اشتق اسم رمضان؟

قال الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ):

اختلفوا في اشتقاق رمضان، فقال الخليل بن أحمد الفراهيدي أو الفرهودي (ت: ١٧٠هـ): هو من الرمضاء، بسكون الميم، وهو مطر يأتي قبل الخريف، يُطهِّر وجه الأرض من الغبار. والمعنى فيه: أنّه، كما يغسل ذلك المطر وجه الأرض ويطهّرها، فكذلك رمضان يغسل أبدان هذه الأمة من الذنوب ويطهّر قلوبهم.

وقيل: إنه مأخوذ من الرَّمَض، وهو حرّ الحجارة من شدّة حرّ الشمس، والاسم: الرَّمْضاء، فسمّي هذا الشهر بهذا الاسم، إما لارتماضهم في هذا الشهر من حرّ الجوع أو مقاساة شدته. كما سمّوه تابعاً؛ لأنه كان يتبعهم، أي يزعجهم لشدته عليهم.

وقيل: سُمّي بهذا الاسم لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها. واستدل أصحاب هذا الرأي بحديث نسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو قوله: «إنما سُمّي رمضان لأنه يرمض ذنوب عباد الله».

ومن التفسيرات قولهم: إن رمضان مأخوذ من رمض الصائم يرمض: إذا حرّ جوفه من شدة العطش.

وقيل: لأن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والفكرة في أمر الآخرة، كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس.

ويتضح من هذه التفسيرات أنها إسلامية خالصة بتأثير نزول القرآن في شهر رمضان وفرض الصوم فيه. ومع أن هذه التفسيرات اعتمدت على دلالات الرَّمَض المختلفة، فهي غير صحيحة؛ لأن رمضان اسم عربي معروف قبل نزول القرآن الكريم وقبل فرض الصوم.

وذهب بعض المفسرين إلى أن اسم رمضان مأخوذ من قولهم: رمضتُ النَّصل أرمضه: إذا دفعته بين حجرين ليَرِقّ؛ فسمي هذا الشهر رمضان؛ لأنهم كانوا يرمضون فيه أسلحتهم ليقضوا منها أوطارهم. واستدل الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) على هذا بقول الشاعر:

وفي ناتِق أجلَتْ لدى حَوْمَة الوغى
وولّت على الأدبار فرسانُ خثعما

قال ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ): ناتق من أسماء رمضان، يقولون: صام ناتقًا. وهذا التفسير، وإن كان محتملاً؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك في رمضان ليحاربوا في شوال قبل دخول الأشهر الحُرُم، فإنه لا يتفق وما جاء في تفسير تسمية سائر الشهور العربية عند علماء اللغة.

قال قطرب (ت: ٢٠٦هـ): سمّي رمضان لشدة الرَّمَض فيه والحرّ. وقال آخرون: لمّا نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمّوها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحرّ.

وهو تفسير مقبول يتفق وما ذكر حول تسمية سائر الشهور؛ إذ قال قطرب: وربيعٌ الأول والآخر، سُمّيا بذلك لارتباع القوم، وجمادى الأولى والآخرة لجمود الماء فيهما.

وقال الفرّاء (ت: ٢٠٧): سُمّي رمضان لرُموض الحرّ وشدّة وقع الشمس فيه. وقال بعضهم: لارتماض الأرض بالحرّ.

ومثل ذلك ما قاله البيروني (ت: ٤٤٠هـ) في «الآثار الباقية» مشيراً إلى تفسير أسماء الشهور العربية: «وشهر رمضان للحجارة تُرمَض فيه من شدة الحرّ». وقال في موضع آخر من كتابه: «ثمّ رمضان حين بدأ الحرّ، وأرمضت الأرض، وكانوا يُعظّمونه في الجاهلية».

ويعترض البيروني على هذه التفسيرات؛ لأن زمن الأشهر يتغير؛ فقد يأتي رمضان في فصل الربيع أو الشتاء أو الخريف أو الصيف.

وقال القلقشندي (ت: ٨٢١هـ): سُمّي أخذاً من الرُّمضاء؛ لأنه وافق تسميته زمن الحر.

وبذلك يترجح قول من قال: إن العلماء لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة العربية القديمة سمّوها بالأزمنة التي وقعت فيها.

ومن أسماء رمضان عند العرب العاربة «نافق» كما قال البيروني، ويلاحظ التشابه بين «نافق» و«ناتق» التي ذكرها ابن سيده.

ولعل إحدى اللفظتين لحقها التصحيف بفعل النُّساخ، ولكن قد نُرجح لفظة «ناتق» على «نافق»؛ لأن دلالة (نتق) تحمل معنى الحمل والنِّتاج، يقال: نتقت المرأة والناقة نتوقًا، فهي ناتق ومنتاق: كثر ولدها. وفي الحديث: «عليكم بالأبكار؛ فإنّهنّ أنتق أرحامًا»، أي أكثر أولادًا. «النهاية في غريب الحديث» (١٣/٥).

ويؤيد ذلك أن الحميريين كانوا يسمون أشهرهم بمواسم الزراعة عندهم مسبوقة بلفظة «ذو» مثل: ذو صراب، وذو مُهلة، وذو خراف وغيرها.

وقد وجدت اسمين لرمضان في السَّبَئيّة والحميرية: أحدهما: ذو فلسم، والثاني ذو قياظ، ويقعان في شهر حزيران/يونيو من أشهر الصيف.

والميم في «فلسم» لاحقة للعلميّة، فتبقى «فلس»، ومعناها في الحميرية: اسم دائرة صغيرة تُتخذ من الحجر، وفي وسطها حفرة

تستعمل لتبخير الأواني، حيث يُحمى الحجر بالنار حتى يحمرّ، ويوضع البخور في الحفرة التي في وسطه ويكفأ عليه الإناء حتى يمتلئ بدخان البخور، ثم يصب فيه الماء فيكون للماء رائحة البخور «المعجم اليمني» (ص٦٩٥).

فهي تحمل دلالة الحرارة مثل رمض ومضّ؛ واجتهد بيستون فذهب إلى أنّ «فلسم» له صلة بطقوس الحداد. وقد يكون لها دلالة أخرى لا أعرفها، والعمدة في ذلك على الإخوة اليمنيين لتفسير «فلسم».

أما «ذو قياظ» فهو اسم موسم وغلّة زراعية في اليمن، كما جاء في «المعجم اليمني» للأستاذ مُطهر علي الإرياني (ص٧٥٤).

والقَيْظ في اللغة: حميم الصّيف، يقال: قاظ يومنا: اشتد حرّه، والقيظ: حمارّة الصّيْف.

وعلى هذا، فالتسمية وقعت في زمن الحرّ.

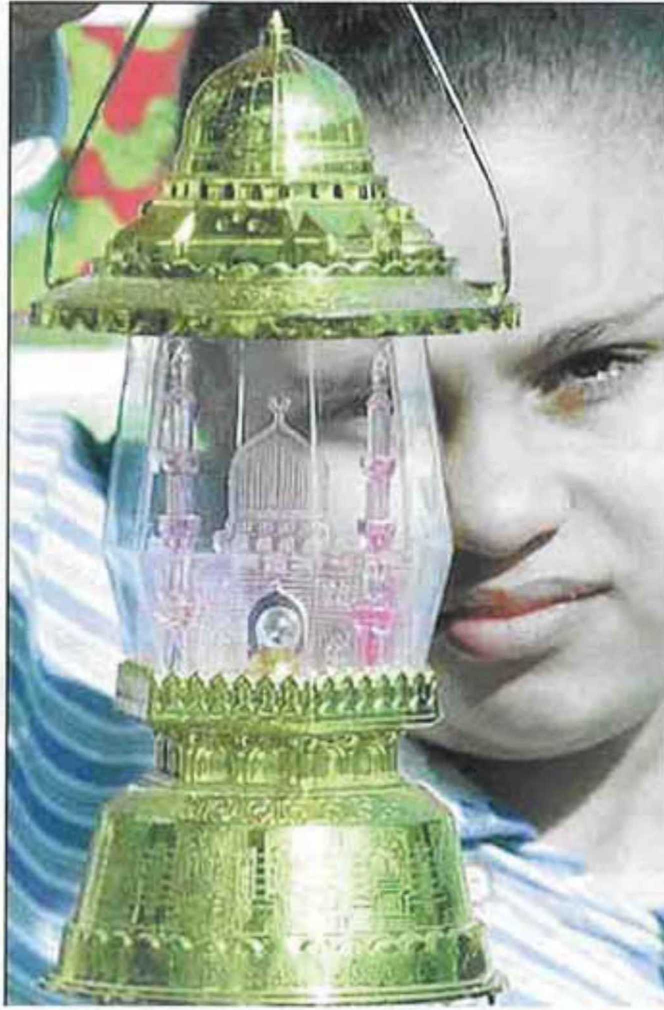
ومن أسماء رمضان عند العرب العاربة «نوط» ولم أجد له تفسيراً.

وسمّاه المسعودي (ت: ٣٤٦هـ) زاهراً، ولعله من زهور النّار، نقول: زَهَرَت النار زُهوراً: أضاءت، ويقال: زَهَرَتْ بك ناري، أي قويت بك وكثرت. وزهر الزّند: إذا أضاءت ناره. وهو هنا صفة أكثر منه اسماً.

ويسمّى رمضان عند ثمود «دَيْمُر» وهو أول شهور السنة عندهم.

أما في الإرميّة (السريانية) فذكر أنيس فريحة أنه من الفعل «رمع» بإبدال الضاد عيناً، وهو يفيد الحرارة، ففي عاميّة لبنان يقولون: «رِمْعان»، ومعناها: الرماد الممزوج بالجمر الصغير، ينقلونه إلى كانون ويتدفؤون عليه، أو يشوون فيه. ووزن رمعان يتفق مع وزن رمضان، والمعنى واحد «معجم الألفاظ العاميّة» ص٦٧؛ و«أسماء الأشهر والعدد والأيام» ص ٧٤ ـ ٧٥.

وكره بعض العلماء أن يقال رمضان دون أن يضاف إلى شهر؛ لأنهم زعموا أنه اسم من أسماء الله تعالى، وهو زعم غير صحيح؛ إذ يجوز أن يقال رمضان كما يقال شهر رمضان. ودليلُ ذلك عدّة أحاديث تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها: «إذا جاء رمضان فُتِحت أبواب الرّحمة، وغُلّقت أبواب النار، وصُفّدت الشياطين»، وفي رواية: «إذا كان رمضان، فُتحت له أبواب الرحمة وغُلّقت أبواب جهنم، وسُلسلت الشياطين».



الإستعداد لاستقبال شهر رمضان

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «أتاكم رمضان، شهر مبارك، فرض الله، عزّ وجلّ، عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، منْ حُرم خيرها فقد حُرِم».

وقال صلى الله عليه وسلم لامرأة من الأنصار: «إذا كان رمضان فاعتمري؛ فإن عُمرةً فيه تعْدلُ حجة»، وفي رواية: «العُمرة في رمضان كحجّة معي». (أحاديث رمضان في كنز العمّال ٨/٤٦١ ـ ٤٨٢).

وبعد، فهذا ما أداني إليه اجتهادي في تفسير دلالة رمضان، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن عجزي وتقصيري، راجياً أن أنال أجر المجتهد.

عالمية الدعوة الإسلامية وواجب المسلمين

عبدالله بن إبراهيم اللحيدان
الرياض - السعودية

بعث الله تعالى الرسل مبشّرين ومنذرين، وأنزل إليهم الكتب؛ ليقوموا بهداية الناس إلى صراط الله وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فكان كل نبي يدعو قومه إلى عبادة الله وحده، قال تعالى: *ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولاً أن اعبدُوا الله واجتنبُوا الطاغوت*. النحل: ٣٦. وتعاقب الأنبياء - عليهم السلام - على الأمم حتى ختم الله الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي فضله الله على جميع الأنبياء والمرسلين، فهو خاتمهم وسيّدهم، وجعل الله له شرعة ومنهاجًا، فشرعته أفضل شرعة، ومنهاجه أكمل منهاج، وأمته خير أمة أخرجت للناس، جعلهم الله تعالى وسطًا عدلاً خيارًا.

والدين الذي ارتضاه الله لعباده هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، فهو دين الرسل وأتباعهم، ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه، قال تعالى: *إنّ الدّين عند الله الإسلام*. آل عمران: ١٩، وقال تعالى: *ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يُقبل منه وهُو في الآخرة من الخاسرين*. آل عمران: ٨٦.

فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد، وإن كان لكلٍّ شرعة ومنهاج قال صلى الله عليه وسلم: «الأنبياء إخوة لعلاّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»(١)، والعلات (بفتح العين) الضرائر، وأولاد العلات: الإخوة لأب، قال الإمام ابن حجر - رحمه الله -: معنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع(٢).

الرسالة الخاتمة

فالأنبياء - عليهم السلام - كانوا يبعثون لغاية واحدة، وهي دعوة الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ولفترة زمنية محددة، أما نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم فرسالته هي الخاتمة للرسالات كلها، ودعوته إلى أمم الأرض كلهم، ولم يسبق لنبي من الأنبياء أن أعلن أن رسالته هي الخاتمة، وأن لا نبي بعده، بل قد أخذ الله الميثاق على الأنبياء عليهم السلام أن يؤمن كل نبي بمن بعده قال تعالى: *وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتُكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدّق لما معكم لتؤمنُنّ به ولتنصرُنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين*. آل عمران: ٨١، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليُؤمننّ به ولينصرنّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنُنّ به ولينصرنّه(٣). وكان - إبراهيم عليه السلام - يدعو ربه هو وابنه إسماعيل، عليه السلام، عند

بناء البيت: *ربّنا وابعثْ فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتكَ ويعلّمُـهُمُ الكتـابَ والحكمةَ ويُزكّـيهم إنّكَ أنتَ العزيزُ الحكيم*. **البقرة:** ١٢٩، كما جاء الإخبار عنه صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، قال تعالى: *الذين يتّبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل*. **الأعراف** :١٥٧، وجاءت الإشارة به صريحة على لسان عيسى عليه السلام قال تعالى: *وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسولُ الله إليكم مُصدِّقًا لما بين يديّ من التوراة ومُبشّرًا برسول يأتي من بعدي اسمُه أحمد*. **الصف:** ٦، وإذا كان الأنبياء - عليهم السلام - لم يعلن أحد منهم أن رسالته هي الخاتمة، فإن أحدًا منهم لم يقل: إنه أرسل إلى الناس كافة، بل كان كلُّ نبي يبعث إلى قومه خاصة، قال تعالى: *ولقد أرسلنا من قبلك رُسُلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبيّنات*. **الروم:** ٤٧، أما محمد صلى الله عليه وسلم فإن الآيات القرآنية صريحة *بأنه أرسل إلى الناس كافة، قال تعالى: وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيرًا ونذيرًا ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون*. **سبأ:** ٢٨، وقال تعالى: *وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين*. **الأنبياء:** ١٠٧، وقال تعالى: *تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا*. **الفرقان:** ١.

ثم إنه ليكفي في الدلالة على عالمية الإسلام، أن دعوته لا توجه إلى جنس من الأجناس، ولا قومية من القوميات، وإنما توجه دعوته إلى الناس كافة، ولذلك لم يؤثر ورود الخطاب بـ (يا أيها الناس). كخطاب يشير الى العالمية والعموم.. لم يرد هذا الخطاب في القرآن الكريم إلا خاصًا بدعوة خاتم الأنبياء. قال تعالى مخاطبًا محمدًا صلى الله عليه وسلم: *قل يا أيُّها الناسُ إني رسولُ الله إليكم جميعًا*. **الأعراف:** ١٥٨، وقال تعالى: *قل يا أيُّها الناسُ إنما أنا لكم نذير مُبين*. **الحج:** ٤٩.

فهذه الآيات وغيرها تفيد صراحة أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لا تختص بأمة دون أخرى، فهي تعم المعاصرين لنزول القرآن، ومن سيأتي بعدهم إلى يوم القيامة، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: في القرآن الكريم من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان، وجميع الإنس والجن ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام(٤).

كما يؤكد هذه العالمية أيضًا أن هذه التشريعات الربانية والتوجيهات القرآنية لم تكن نصوصًا تتلى فقط، بل إنه صلى الله عليه وسلم قام بتبليغ رسالته إلى أمم الأرض، وذلك بعد الحديبية، فقد أرسل رسله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام.

إن تأكيد عالمية الدعوة الإسلامية من أهم المهمات ومن الضرورات الملحة، خاصة في هذا العصر الذي ما فتئ أعداء الدعوة يريدون قصر دين الإسلام على العرب، زاعمين أنه دين يخصهم دون غيرهم، وقد كان لبعض المستشرقين وغيرهم وقفات عند بعض الآيات القرآنية التي حاولوا من خلالها التشكيك بعالمية الدعوة، مثل قوله تعالى: *وأنذرْ عشيرتَكَ الأقربين*. **الشعراء:** ٢١٤، وقوله تعالى: *لتُنذرَ أمَّ القُرى ومن حولها*. **الشورى:** ٧، وقوله: *لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك*. **القصص:** ٤٦، وذكروا أن الدعوة متجهة إلى عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى أم القرى (مكة)، وإلى البوادي حولها، وإلى العرب الذين لم يأتهم رسول من عهد إسماعيل عليه السلام؛ وزعموا استنباطًا من ذلك أن الإسلام خاص بالعرب. وغفل هؤلاء عن أن القرآن في بداية نزوله جاء يؤكد عالمية الدعوة وعمومها في آيات كثيرة، كقوله تعالى: *وما هو إلا ذكرٌ للعالمين*. **القلم:** ٥٢، وهذه الآية في آخر سورة القلم، وهي من أوائل ما نزل من السور المكية، وقوله تعالى: *إنْ هو إلا ذكرٌ للعالمين*. **التكوير:** ٢٧، وهي سابع سورة نزلت عند بعض المفسرين. ثم إن البداية بالأهل والعشيرة في الدعوة أمر طبيعي لا يتعارض ويتناقض مع صحة الدعوة أو امتدادها الواسع في كل زمان ومكان.

وكما قصر بعضهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم على العرب، فإن هناك من زعم أن رسالات الأنبياء السابقين عالمية(٥)، مستدلين بقوله تعالى: *وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفُرقان*: **آل عمران:** ٣ و٤، وغفل هؤلاء عن كثير من الآيات التي تنص على خصوصية دعوات الأنبياء السابقين قال تعالى: *ولقد أرسلنا من قبلك رُسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات*. **الروم:** ٤٧، ثم إن قوله تعالى: وأنزل التوارة والإنجيل من قبلُ هدى للناس. لا تدل على عالمية دعوة اليهود والنصارى؛ لأن كلمة الناس تستخدم أحيانًا بمعنى الأفراد

المعدودين مثل قوله تعالى: *الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم*. آل عمران: ١٧٣، كما غفل هؤلاء عن الأحاديث الصحيحة التي تبين خصوصية دعوة الأنبياء مثل قول صلى الله عليه وسلم: «أعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرُّعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً، فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصلّ، وأُحلّت لي الغنائمُ ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً، وبُعثتُ إلى الناس عامة(٦).

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لا تختص بأمة دون أخرى، فهي تعم المعاصرين لنزول القرآن، ومن سيأتي بعدهم إلى يوم القيامة

توقيت لا تأبيد ومحلية لا عالمية

ويمكن أن نستنتج من خلال النصوص القرآنية والنبوية السابقة، أن من أهم ما تتميز وتتفرد به الدعوة الإسلامية للنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم أنها دعوة عالمية، أما دعوة الأنبياء السابقين فلم تكن لها هذه الخاصية، وكذلك كانت دعوة موسى وعيسى عليهما السلام، حيث اتسمت شريعة كل منهما بالخصوص لا بالعموم، وبالتوقيت لا بالتأبيد، وبالمحلية لا بالعالمية، فاليهودية في بداية عهدها.. عصر موسى عليه السلام.. دين خاص أُرسل به الكليم إلى فرعون الطاغية وملئه، لدعوتهم إلى عبادة الله رب العالمين وحده، وتخليص بني إسرائيل من ذل العبودية لفرعون إلى عز العبودية لله وحده، واليهودية في بداية عهدها أيضاً هي صاحبة التوراة الصريحة التي كان العمل بها مقصوراً على بني إسرائيل وحدهم، لأن التوراة لم تنزل على موسى عليه السلام إلا بعد غرق فرعون وملئه(٧).

هذا هو شأن الدين اليهودي في بداية عهده، أما شأنه بعد ذلك فهو دين يعلن - على سمع الزمان وبصره - قوميته وإقليميته، وذلك الأمر نتبينه من إقرار التوراة وإصرارها - حتى بعدما اعتراها التحريف - على إقليمية الألوهية لله - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - وإنه لمن المتعذر الاستشهاد بما يرشد إلى هذه الإقليمية لأن عبارات: «إله إبراهيم، إله إسحاق، إله إسرائيل، إله العبرانيين» تشيع بكثرة في أسفار التوراة، وهذا ما جعل مالك بن نبي يقول: «إن تعاليم الربانيين كانت قد أقامت على الوعد الذي تلقاه إبراهيم، وعلى ميزة الاختيار التي كانت ليعقوب، عقيدة دينية قومية، فالله سبحانه وتعالى قد أصبح في تلك العقيدة - وعلى وجه التقريب - ألوهية قومية»(٨). ثم إذا تجاوزنا اليهودية إلى النصرانية وجدنا الثانية لا تختلف عن الأولى في كونها ديانة خاصة.. إذ إن عيسى عليه السلام لم يرسل إلا لبني إسرائيل وحسب، وهذا ما تقرره النصرانية الحاضرة حين ينص إنجيل متى على ذلك بقول على لسان عيسى: «لم أرسل إلى إلا الخراف الضالة من آل إسرائيل»(٩).

وبهذا يتبين أن نصوص التوراة والإنجيل تؤكد أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام إنما جاءت خاصة بأقوامهم وليست عامة، وشواهد التاريخ والواقع تؤكد ذلك أيضاً، فاليهود - مثلا - لا يدعون أحداً إلى دينهم.

إن مسؤولية المسلمين عظيمة، ومهمتهم جسيمة في إيصال الهداية إلى الناس كلهم، ففي العالم اليوم ما يزيد على خمسة آلاف مليون إنسان لا يدينون بالإسلام، ومعظم هؤلاء لم تبلغهم الدعوة أو بلغتهم بصورة مشوهة، وفي ديار المسلمين مئات الألوف من غير المسلمين لهم اتجاهاتهم وتصوراتهم في الحياة، منهم أهل كتاب، ومنهم وثنيون يجب أن يُبلّغوا الدعوة بالقول وبالمعاملة الحسنة، ولذلك فإن مضاعفة الجهود في إيصال الدعوة إلى الله بالوسائل المشروعة والمتاحة من أهم المهمات، ومن أفضل القربات، والمسؤولية أعظم على الدعاة، فهم ورثة الأنبياء، وهم المطالبون بأن ينشروا هداية الله تعالى في أمم الأرض كلها.

المراجع والهوامش

١. رواه البخاري، كتاب الأنبياء، رقم الحديث: ٣٤٤٢.
٢. ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص٤٨٩.
٣. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٤٠٥.
٤. ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج١، ص١١٢.
٥. عبدالكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، ص١٣١.
٦. رواه البخاري، كتاب التيمم، رقم الحديث ٣٣٥، ورواه مسلم، كتاب المساجد، رقم الحديث ٥٢١.
٧. أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج٢، ص٣٠٦.
٨. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص١٩٠.
٩. النص المذكور في إنجيل متى إصحاح ١٥ عدد ٢٤.

إثبات الهلال بالرؤية نموذج لوحدة الأمة زمن الرسول الكريم

عبدالأمير المؤمن
قم - إيران

اختيار الأسلوب الأصوب والأدق لإثبات هلال الشهر القمري حالة جديدة لم تكن زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، كانت الرؤية البصرية الفطرية هي الوسيلة الوحيدة لإثبات الهلال، استنادًا إلى قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته».

لقد فرض الله تعالى في قرآنه الكريم على الناس (السنة القمرية) المكونة من اثني عشر شهراً قمرياً، قالها صريحة بنص القرآن، قال: *إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعةٌ حُرُم*. التوبة: ٣٦. وقال أيضاً: *يسألونك عن الأهلّة قلْ هي مواقيتُ للناس والحج*. البقرة:١٨٩.

ومن بين هذه الأشهر الاثني عشر، فرض شهراً للصوم، ذكر فيه الصيام وبعض تفاصيله دون أن يحدد لنا كيفية إثبات بداية الشهر. وجاءت السنة النبوية الشريفة لتفصّل الطريقة، وجاءت العقول لتفسّر وتوضح.

قال تعالى: *شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآنُ هُدًى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان فمنْ شهد منكم الشهر فليصُمْهُ*. البقرة:١٨٥.

وعلى الرغم من أن هذه الآية الشريفة ذكرت لنا بعض تفاصيل الصيام وشهر رمضان، إلا أنها لم تحدد لنا طريقة معينة لإثبات هذا الشهر، أنُثْبِتُهُ بالرؤية البصرية المباشرة أم بالحساب أم بالاثنين أم بغير ذلك؟

وكلمة (شهر) الواردة في الآية الشريفة، لا تعني رؤية هلال رمضان بالعين المجردة تحديداً، وإنما جاءت هنا أعم من الرؤية البصرية، فهي تشمل العلم بالشهر والحضور كما عليه أغلب المفسرين.

ولم تكن هناك حيرة ولا منافسة بين طريقين (الرؤية والحساب) كما هي في الوقت الحاضر.

وعلى الرؤية البصرية وحدها سار المسلمون الأوائل جميعهم دون خلاف ولا نقاش، فالنص صريح، والحساب ضعيف لا يوفر إثباتاً قطعياً.

وعلى الرؤية توحّدوا واتفقوا طائعين أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلا مشكلة ولا اجتماعات ولا مؤتمرات لحل المشكلة واختيار الطريق الأفضل.

وجاء العصر الحديث، وجاءت معه مشكلات حالات جديدة، حوّلت - في حالات متعددة - مسألة بسيطة إلى حالة معقدة. ففي مسألة الهلال انشطر الطريق إليه شطرين، دار حولهما جدل لم ينته حتى الآن.

وبهذا التحول، فقدنا ذلك الاتفاق وتلك الوحدة التي كانت في زمن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

القرآن يُجمل والرسول يفصّل

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم نزل إلى الناس ليبين لهم كل شيء، قال تعالى: *ونزّلنا عليك الكتاب تبيانًا لكلّ شيء*. النحل: ٨٩. وقال تعالى أيضاً: *ما فرطْنا في الكتاب من شيء*. الأنعام: ٣٨، إلا أن هذا التبيان أخذ صوراً كثيرة، فتارة بالعبارة الصريحة، وأخرى بقاعدة كلية، وثالثة بإشارة وغيرها. ومن كل ذلك جاء شاملاً لكل ما يحتاج إليه الناس.

يقول الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) في معنى شهد: «الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصيرة أو بالصيرة»(١).

ويقول الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ): «شهد»: أي حضر، والشهود: والحضور، شاهد الشهر بعقله ومعرفته»(٢).

ويقول القرطبي (ت: ٦٧١هـ): (شهد) بمعنى حضر، وفيه إضمار، أي من شهد منكم المصر في الشهر عاقلا بالغًا صحيحًا مقيمًا فليصمه(٣).

ويقول سيد قطب (ت: ١٩٦٦م): من شهد منك الشهر فليصمه: أي من حضر غير مسافر أو من رأى منكم هلال الشهر(٤).

ومن هذه العبارات وغيرها نعرف أن القرآن الكريم لم يحدّد لنا طريقة معينة، وإنما تركها للسنة الشريفة.

وجاء الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم الذي وصفه الله تعالى بقوله: وما ينطقُ عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يُوحى. النجم ٣، ٤. جاء ليفصل ويوضح ما لم يذكره القرآن الكريم، فقال: «صوموا لرؤية الهلال وأفطروا لرؤية الهلال»، دون أن يذكر طريقًا آخر للإثبات، ودون أن ينفي الوسائل الممكنة الأخرى.

وقد وصلنا الحديث الشريف بعبارات مختلفة ومتشابهة، مذكورًا في أمهات كتب الحديث، في الصحاح والمسانيد وكتب أخرى، وهو من الأحاديث المتفق عليها. ويمكن أن نذكر منها:

قوله: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُمّ عليكم فعدّوا ثلاثين ثم أفطروا»(٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا»(٦).

وقوله: «فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن أُغمي عليكم فاقدروا له ثلاثين»(٧).

وهناك أحاديث كثيرة متشابهة تؤكد المعنى نفسه.

ومن خلال تلك النصوص وغيرها نعرف أننا أمام طريق واحد للرؤية، هو الرؤية البصرية الفطرية.

وعلى هذا الطريق سار جميع المسلمين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وما بعده، ملتمسين هلالاً صحيحًا دقيقًا، ليؤدوا واجباتهم الدينية المحددة بوقت معين، كصوم رمضان، والإفطار في العيد، وتعيين عيد الأضحى، ليؤدوا تلك العبادات في أوقاتها الشرعية الصحيحة بتاريخ واحد، ووحدة واحدة.

الظروف المناسبة للرؤية

وحين عيّن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم الرؤية البصرية طريقًا وحيدًا لإثبات الهلال. عيّن أفضل ما يمكن أن يعين، لأنه لا ينطق عن الهوى كما نصّ القرآن، ولأنه أقدر من يستطيع أن يقدر الأمور؛ فلابد أن تكون الرؤية البصرية مناسبة وسهلة وشاملة. لا بد أن يقدر عليها الجميع وفي كل مكان. وإلا سيكون اختيارُها عبثًا، وحاشا أن يكون ذلك.

ولنقرأ الآن ظروف الرؤية البصرية لنرى مدى مناسبتها ونجاحها ودورها في توحيد الأمة، ولنقرأ أيضًا ظروف الحساب والفلك لنرى هل يمكن أن يقدم إثباتًا هلاليًا دقيقًا تجتمع عليه الأمة زمن الرسول؟

لقد جاءت الرؤية البصرية الفطرية في وقتها المناسب، جاءت على وفق ما يستطيع الناس وما يقدرون عليه، ففي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت الأجواء الطبيعية (فطرية) خالية من أي شائبة صناعية أو ضوئية، فلم يكن العصر عصرًا صناعيًا، وتبعًا لذلك لم تكن هناك معامل ومختبرات وتجارب علمية تفرز ملوثات تكدّر الجو، لم يمتلئ الجو بالأدخنة والغازات، ولم يتكدر بالأضواء المشتتة لصفائه ونقائه.

وحين يكون الجو على هذا المستوى من الصفاء والنقاء، حين يكون خاليًا من التلوث الصناعي والضوئي، حيث لا عوائق ولا شوائب ولا أهلّة وهمية وخادعة، سيكون مفتوحًا أمام الناس، سيهيئ مثل هذا الجو ظرفًا مناسبًا لأن يعيش الناس أجواء السماء الفطرية، وهذا ما كان فعلاً، وكان الناس زمن الرسول صلى الله عليه وسلم يعرفون السماء ونجومها وكواكبها معرفةً فطرية ممتازة، على الرغم من ضعف علم الفلك المنهجي في ذلك الزمن، وهذا ما نفتقده نحن أبناء القرن العشرين وأبناء عصر الفضاء المتطور.

لقد غرقنا في التلوث، وفقدنا الفطرة السليمة التي كان يعيشها الأجداد. يذكر صاعد الأندلسي (ت: ٤٦٢هـ) تلك المعرفة الفلكية الفطرية للعرب بقوله: « وكان للعرب مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة، لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق، ولا على سبيل التدرب في العلوم»(٨).

ومن ذلك كان القمر واضحًا حاضرًا في وجدانهم وعقولهم، يعيشونه كل أيامهم وأشهرهم، يعرفونه هلالاً وتربيعًا وبدرًا وتربيعًا ثانيًا واختفاءً وظهورًا جديدًا معرفة فطرية، كما ذكرنا.

إن هذه المعرفة الفطرية العامة وفّرت ظرفًا مناسبًا جدًا لشيوع الرؤية البصرية في إثبات الهلال. ومن خلالها (أي الرؤية) توافر

نوع من الوحدة ما عرف من قبل. ومع تطور علم الفلك في العصر الحديث، جاء الحساب والجداول الدقيقة. وجاءت معها الأراء والأفكار المختلفة والمؤتمرات والندوات، ولا نعرف كيف ومتى سيكون الاتفاق والوحدة في هذا الشأن؟.

وفي الوقت الذي كانت ظروف الرؤية الفطرية المباشرة مناسبة لم تكن الحسابات والجداول الفلكية مناسبة أبداً.

وكل من يقرأ الفلك زمن الرسول صلى الله عليه وسلم يدرك ذلك تماماً، فكان الفلك آنذاك هو مجرد معلومات فلكية وملاحظات عن النجوم والكواكب وبعض الظواهر الكونية، لم تدخل مرحلة النضج المنهجي، كانوا يستخدمونها لأغراض عملية. كالاهتداء بها في معرفة الطرق والمواصلات كما ذكر القرآن: *وعلامات وبالنجم هم يهتدون*. النحل: ١٦. إضافة إلى ذلك كانت هناك عناصر تنجيمية وخرافية متداخلة مع الفلك، وهذا ما دعا الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم إلى إنكارها بعدد من الأحاديث الشريفة(٩).

أما الحسابات والجداول فلم تكن آنذاك، حيث لم يترجم بعد ما كان عند الأمم الأخرى من فلك ورياضيات وجداول، ويلخص المستشرق الإيطالي نالينو الفلك في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «فبالجملة كان المسلمون مدة القرن الأول للهجرة وأوائل القرن الثاني مازالوا بعيدين عن علم الفلك وسائر العلوم الرياضية والطبيعية»(١٠)،

والحقيقة أن زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الزمن الحديث بالإسلام لم يكن مهيأ لاحتضان العلوم البحتة، كالفلك والرياضيات والفيزياء وغيرها، كان عهده عليه السلام عهد القرآن ودراسة الحديث والعلوم المتعلقة بذلك، وفي الوقت نفسه كان عهد نشر الدعوة الإسلامية وتثبيتها سواء بالنثر أو الشعر أو الجهاد.

في مثل هذه الحالة لم تتوافر ظروف مناسبة لنضج فلك وفلكيين يستطيعون أن يثبتوا هلال الشهر، من خلال حساباتهم وعلمهم الضعيف. من هنا نعرف كم كانت الرؤية البصرية مناسبة، وكم كان الحساب بعيداً عن واقعهم!

وهكذا أخذ القوم زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بالرؤية البصرية لمناسبة ظروفها وقدرتهم عليها، ورفضوا الأخذ بالحساب لعدم إمكانه، وفي ذلك كانوا سواء ووحدة واحدة، امتثالاً لأمر رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم، ولم يختلفوا قط، لعدم توافر ظروف الاختلاف.

المستجدات تثير المسألة

جاء العصر الحديث، وجاءت معه مستجدات معرفية كثيرة، بل هائلة لم تقتصر على حقل أو عدة حقول من المعرفة، وإنما كانت على كل المستويات وقد تبع تلك المستجدات تغيرات في مستوى العادات والسلوك.

وقد أخذ علم الفلك حق الأسد في مستجداته، وخاصة بعد ثورة كوبرنيكوس الفلكية في القرن السادس عشر، وإحلاله الشمس محل الأرض في مركز الكون. وبعد تلك الثورة ظهرت نظريات وأفكار واكتشافات أدخلت الفلك في عصر الفضاء من أوسع أبوابه، وتبعاً لذلك توافرت حقائق وحسابات وجداول دقيقة لم تعرف من قبل. وقد أثبتت التجارب ورحلات الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية صحة توقعات الفلكيين، ودقة تلك التطورات والاكتشافات. وهنا دخلت مسألة إثبات الهلال مدخلا جديداً لم يكن من قبل.



فبعد أن كانت الرؤية البصرية الوسيلة الوحيدة لإثبات الهلال، موحدةً الأمة في طريق واحد، جاءت دقة الحسابات وكثرة الجداول وظهور المناظير الفلكية (التلسكوبات) والأجهزة الحاسوبية المتنوعة، جاءت لتشارك الرؤية البصرية الفطرية، ولتثير آراء مختلفة، وأفكاراً جديدة لم يفكر بها أبناء عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، فانقسمت الأمة (في هذا المجال) قسمين: قسم يقول بالرؤية البصرية المباشرة، متمسكاً بنص الرسول الأعظم (المذكور آنفاً) رافضاً ما عداها من طرائق. وقسم آخر يقول بالفلك والحساب والجداول. بصفتها وسيلة يقينية جديدة، معتمداً على دقة المسائل العلمية التي أثبتتها التجارب. وقسم ثالث قال بالوسيلتين داعياً إلى تعزيز الرؤية البصرية بالحسابات والأجهزة، معتبراً إياهما وسيلتين متكاملتين.

ومن أجل ذلك عقدت المؤتمرات وأقيمت الندوات وكتبت البحوث، ودارت النقاشات، ولم تصل النتائج إلى طريقة متفق عليها حتى الآن.

ولا شك أن هذه التعقيدات فرضتها الظروف الجديدة، وليس بالإمكان تجنبها. فالقائلون بالحساب يقولون: إن الرؤية البصرية هي وسيلة لإثبات الهلال، وليست هدفاً وغاية، وما دامت هناك وسيلة يقينية أخرى أدق، تحقق الهدف وهو (إمكان الرؤية) فلماذا لا نأخذ بها؟

والقائلون بالرؤية البصرية المباشرة يقولون كيف نتجاوز النص النبوي الشريف إلى طريقة لم يقل بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يستخدمها؟ بل لم يطمئنوا إليها نتيجة لبعض التطبيقات الخطأ.

ومازالت المسألة سجالا بين الفريقين، ومن المؤمل أن تسفر الجهود الجادة والحكيمة وتهدي إلى التوصل إلى نتائج طيبة ترضي الجميع، كما كانت زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم.

الرؤية والحساب تكامل لا خلاف

وما دام الخلاف قائماً على أي من الطريقين أنجح وأكثر دقة، وكل فريق يرى أنّ طريقه أصح وأدق، فلماذا لا نأخذ بالطريقين معاً؟ فنعضد الرؤية البصرية المنصوص عليها والتي لا يمكن تجاوزها، بالحساب والجداول الفلكية الدقيقة، وبذا نكون قد التزمنا قول نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم، وفي الوقت نفسه أخذنا بنتائج التطور العلمي الذي جعله الله لخدمة الدين والإنسان.

ويمكن ذلك من خلال استخدام الحساب لتوضيح مختلف الظروف لضبط عملية الرؤية الفطرية، كتوفيره معلومات عن ولادة الهلال ومدة مكثه بعد غروب الشمس، وارتفاعه فوق الأفق وما إلى ذلك. وبذلك نضمن هلالاً أكثر دقة. ولا شك أن هذا الجمع سيخفف من مشقة الخلاف، ويقرّب من حالة الوحدة التي عاشها أبناء عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أيضاً أن الجمع بين الرؤية البصرية والحسابات الفلكية سيجنبنا مشكلة الرؤية الوهمية والخادعة، الناتجة عن التلوث الصناعي والضوئي، الذي خرّب صفاء جونا المعاصر. فلم يكن تلوث قبل عصر الصناعة، ولا في عصر الرسول، فلم تكن هناك صناعة متطورة ولا أدخنة ولا أضواء ولا نواتج ثانوية أخرى.

لماذا لا نمرّر الرؤية البصرية من الفلك والحساب المتطورين، والمتوافرين بيننا؟ فمثلا إذا قال الحساب: لم يولد الهلال، فأيّ معنى للبحث عن شيء غير مولود وغير موجود؟

وإذا قال الحساب - من خلال جداول فلكية دقيقة صادرة عن مراصد عالمية: يولد الهلال في الساعة الفلانية والدقيقة الفلانية، وحدّد لنا عدداً من المعالم (وهو قادر على ذلك) فلماذا لا نستخدم هذه المعلومات لتسهيل عملية المشاهدة الحسيّة وتوفير هلال أدق وأحكم؟

إن الحسابات والجداول الفلكية الدقيقة ثمرة طيبة من ثمرات العلم الحديث، ومن الخسارة التفريط فيها. وإذا لم يمكن الاتفاق على استخدامها كلياً، فمن الممكن الاتفاق عليها جزئياً، يمكن الاتفاق على الجزء الذي يوفر لنا رؤية أدق، ولا يعارض الشرع القائل بالرؤية البصرية بنص الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم.

وفي تاريخنا الإسلامي، وجدنا منْ أخذ بهذا القدر من الحساب في عملية الرؤية كما أن هناك أكثر من فقيه معاصر أخذ بهذا القدر من الحساب أيضاً.

يقول تقي الدين السبكي المتوفى سنة ٨٥٢هـ في هذا الصدد: «وهو أن يدل الحساب على عدم إمكان رؤيته، ويدرك ذلك بمقدمات قطعية، ويكون في غاية القرب من الشمس، ففي مثل هذه الحالة لا يمكن فرض رؤيتنا له حساً لأنه يستحيل...»(١١).

ومن المعاصرين يقول السيد محمد باقر الصدر: «بل ويدخل في الحساب - أيضاً - التنبؤ العلمي المسبق بوقت خروج القمر من المحاق، فإنه إذا حدد وقتاً وادّعى الشهود الرؤية قبل ذلك الوقت، كان التحديد العلمي المسبق عاملاً سلبياً يضعف من تلك الشهادات»(١٢).

ومن المعاصرين أيضاً الشيخ يوسف القرضاوي يقول: «ولكن إذا نفى الحساب إمكان الرؤية، وقال: إنها غير ممكنة؛ لأن الهلال لم يولد أصلا في أي مكان من العالم الإسلامي كان الواجب ألا تقبل شهادة بحال لأن الواقع يكذبهم»(١٣).

إذن الحسابات والجداول هنا لم تأت سوى لدعم عملية الرؤية الصريحة، وتثبيت هلال أدق من هلال يمكن أن يكون وهماً أو خطأ، وخاصة في أجوائنا المعاصرة المتلئة بالشوائب والأشياء الغريبة كما ذكرنا.

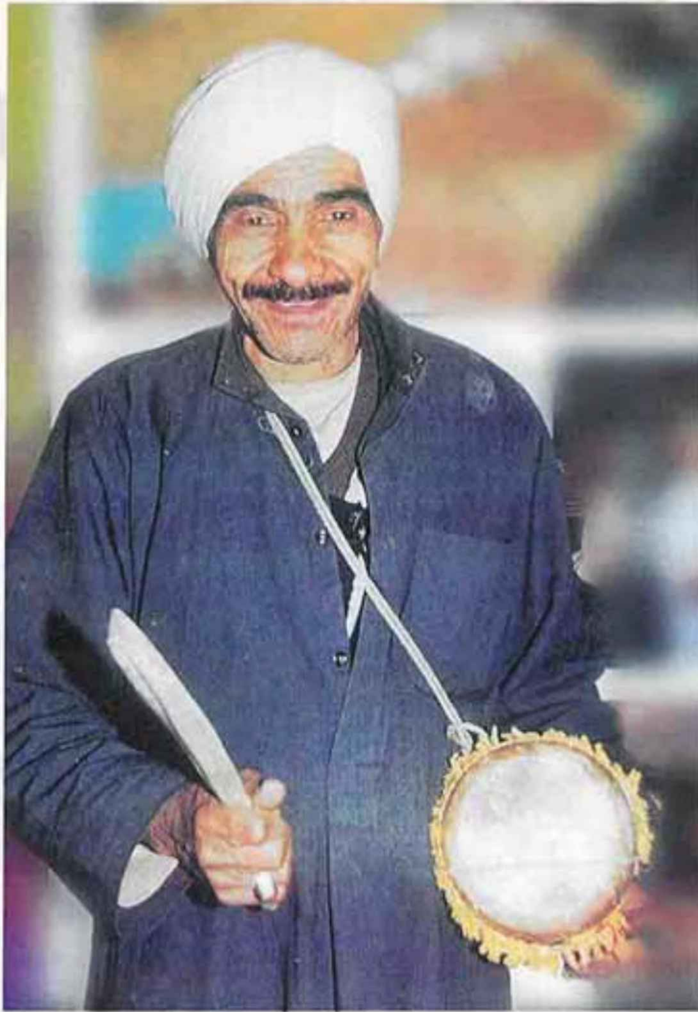
إن الحساب مع الرؤية هو في الحقيقة التزام تام بقول الرسول «صوموا لرؤيته...» - المذكور آنفاً - مع استخدام إضافات علمية من شأنها أن تضبط عملية الرؤية المهددة بالتلوث، لتصبح دقيقة كما كانت زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

المراجع والهوامش

١. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المطبعة اليمنية بمصر، ١٣٢٤هـ ص٢٦٧.
٢. الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٨١م، مج٣، ج٥، ص٩٥.
٣. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مج١، ج٢، ص٢٦٩.
٤. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ج١، ص١٧٢.
٥. الترمذي، سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، مج٢، ص٩٦.
٦. البخاري، صحيح البخاري بحاشية السندي، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٢٣٦.
٧. مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث، بيروت، ج٢، ص٧٥٩.
٨. صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، مطبعة محمد محمد مطر، مصر، ص٥١.
٩. راجع مجلة الفيصل مقالنا: «التنجيم في مواجهة مع الحضارة الإسلامية»، العدد ٢٩٧، مايو - يونيو ٢٠٠١م، الرياض.
١٠. كالو نالينو، علم الفلك، تاريخه عند العرب في العصور الوسطى، روما، ص١٣٧.
١١. تقي الدين السبكي، فتاوى السبكي، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٢٠٩.
١٢. السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص٦٣٠.
١٣. د. يوسف القرضاوي، مجلة الأمان، بيروت، العدد ١٤٥، ١٩٩٥/٢/٢٤م.

المسحراتي المصري ونغمه الجميل

صلاح حسين محمد شهاب الدين
سوهاج - مصر



المسحراتي في مصر معلم من معالم شهر رمضان المبارك، فهو يعمل على إيقاظ النيام كي يتسحروا ويشربوا قبل فوات وقت السحور منادياً أصحاب البيوت بطريقته الخاصة خلال مروره في الشوارع والأزقة، داعياً الله أن يتقبل منهم صيامهم، وبين كل دعاء ونداء يدق على طبلته الصغيرة دقاته الشهيرة، منشداً أجمل الأشعار التي أبدعها الشعراء والزجالون من أهل مصر لحث الناس على الصيام والقيام، وطلب المغفرة من رب العباد، ومن هذا قولهم:

من صام نال الفوز من رب العلا
وبوجهه أضحى عليه مقبلا
يا من يروم توسلاً وتوصلاً
صُم رغبةً فقول ربٍّ قد علا
الصوم لي وأنا الذي أجزي به(١).

والتسحير في مصر مر بمرحلتين، لكل مرحلة من هاتين المرحلتين طابعها المميز على النحو الآتي:

ـ المسحراتي في مصر قديماً

فأول من صاح في مصر بالتسحير هو عنبسة بن إسحاق والي مصر في سنة ٢٣٨هـ ٨٥٢م، ويؤثر عنه أنه كان يذهب على قدميه من مدينة العسكر في الفسطاط إلى جامع عمرو بن العاص، وكان ينادي بنفسه على الناس بالسحور.

وكان التسحير بالجامع في فترات متفاوتة، وتردد الأهازيج أربع مرات ففي التذكير الأول ينشد المنشدون:

أيها النوام قوموا للفلاح
واذكروا الله الذي أجرى الرياح
إن جيش الليل قد ولى وراح
وتدانى عسكر الصبح ولاح
اشربوا عجلى فقد جاء الصباح
معشر الصوّام يا بشراكم
ربكم بالصوم قد هناكمْ
وجوار البيت قد أعطاكمْ
فافعلوا أفعال أرباب الصلاح


محمود بيرم التونسي


فؤاد حداد

وفي التذكير الثاني: تسحروا رضي الله عنكم: كلوا غفر الله لكم. كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً، كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور.

التذكير الثالث: يا مدبر الليالي والأيام، يا خالق النور والظلام. يا ملجأ الأنام، يا ذا الطَّوْل والإنعام رحم الله عبداً ذكر الله، عبداً قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

التذكير الرابع: اشربوا وعجّلوا فقد قرب الصباح، اذكروا الله في القعود والقيام، وارغبوا إلى الله بالدعاء والثناء. اشربوا وعجّلوا فقد قرب الصباح(٢).

وهذا اللون من التسحير لم تستخدم فيه الطبلة احتراماً للمسجد وقدسيته، وأما خارج المسجد فيذكر المؤرخون أن أول من استخدم الطبلة هم أهل مصر.

ـ المسحراتي في مصر حديثاً

ووصف المستشرق إدوارد لين طريقة التسحير في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر فقال: «إن المسحراتي يحمل طبلة صغيرة، ويصطحب معه غلاماً يحمل قنديلين في إطار من الجريد ويقف أمام كل منزل فيضرب بطبلته ثلاث مرات، ويقول: عز من يقول: لا إله إلا الله محمد الهادي رسول الله أسعد لياليك يا... يذكر اسم صاحب المنزل، ثم يذكر أسماء أولاده من البنين ثم البنات»(٣).

ولا يذكر أسماء النساء مطلقاً ويسمح له بالنداء على البنات الصغيرات حيث يقول على سبيل المثال:

عبلة ست العرايس.. ما انساش اسمها
ياللي المشجر والحرير لبسها

أو يقول:

يا ست نادية.. يا حبيبة الصباح
يا عقد لولي.. فوق صدور الملاح
يا مسك تركي.. أينما يذهب فاح
على جبل عرفات.. يجمع الله شملها
في جاه نبي مرسل عليه السلام
أحياكم المولى إلى كل عام
وكل عام وانتوا الجميع طيبين(٤).

وكل الأولاد والبنات ينزلون من بيوتهم فيمنحون المسحراتي نظير هذه «التحايا» بعض الملبس أو المكسرات «النقل» أو النقود؛ ومما سجله إدوارد لين عن نساء الطبقة المتوسطة في القاهرة العثمانية أنهن كن يعمدن إلى وضع قطعة فضية من النقود في

ورقة تلقي بها إحداهن من النافذة إلى المسحراتي، ولما كان الوقت ليلاً والمسحراتي لم يوهب عين زرقاء اليمامة، وليس صقراً حاد البصر، فإن السيدة تشعل الورقة ليرى المسحراتي مكان سقوطها فيستدل عليها ويدسها في جيبه ويرفع صوته بالدعاء لصاحبها(٥).

ومما يؤثر من الزجل في هذا على سبيل المثال قولهم:

فؤاد أفندي الله يزيدك كرم
تشاهد الكعبة وباب الحرم
وينصرك ربي على من ظلم

ويمضي المسحراتي ينقر على طبلته وقد يحمل عصا يخبط بها على كل باب صائحاً بأسماء أصحاب هذه البيوت: يا حاج محمد.. يا معلم خليل.. ياسي رضوان اصحى وصلي على النبي. السحور.. وينادي ويقول:

قومي يا أم محمد وصحي جوزك بلاش كسل
وانت يا سي فؤاد.. هو النوم ما لوش آخر؟!
اتفضل اتسحر بالهنا والشفا..
وادعي ربك بالتقى(٦).

وقد يعلن المسحراتي عن نفسه ومعرفاً أصحاب البيوت أنه يعرف أسماءهم الصغير منهم والكبير من أجل أي شيء يعطوه إياه وخاصة يوم العيد، وينشد الزجال المشهور الشيخ محمد النجار هذا المعنى في أبيات شعرية جميلة يقول فيها:

أنا المسحراتي جيت أطبل لكم
حافظ أساميكم صغير مع كبير
في كل ليلة لي على كل بيت
اللي من الذمة خرج للفقير
ولي عيدية عندكم كل عيد
الكعك وكفوف الشريك والفطير
آجي أصحيكم وأنتم نيام
وقت السحر عن كل خير غافلين(٧)

أشهر المسحراتية

ومن أشهر المسحراتية المصريين في عصرنا الحديث الراحل الشيخ سيد مكاوي الذي تغنى بإبداع الفنان العبقري الجميل فؤاد حداد مخترع الشخصية الفنية للمسحراتي، والتي صاغ ملامحها الرئيسة من صوت الضمير وصوت التاريخ وصوت المجتمع وصوت السماء، وجوهر إبداع مسحراتي الوطن فؤاد حداد: عشق الإنسان لوطنه هو في ذاته عشق للمثل الإنسانية العليا، فملأت طبلته أرجاء مصر أنغاماً ندية مفرحة، طافت بأحياء الحسين والسيدة، والقلعة وبولاق إلى القنطرة والعريش.

ولنسمع إلى أجمل وأرق ما أبدعه فؤاد حداد في «ليل رمضان»، حيث قال:

اصحى يا نايم
وقول نويت
الشهر صايم
وحّد الدايم
بكره إن حييت
والفجر قايم
اصحى يا نايم
وحّد الرزاق
رمضان كريم

ويقول:

ناس كانوا قبلي.. قالوا في الأمثال:
«الرجل تدب مطرح ما تحب»
وأنا صنعتي مسحراتي في البلد.. جوال
حبيت ودبيت كما العاشق ليالي طوال
وكل شبر وحتّه من بلدي
حتّه من كبدي حتّه من موال
أنا اللي شفت الرياح تسكن قصب مسحور
شفت الجبال تنتقل والبحر يرمي بحور
ولا شفت ليل في الليالي.. زي ليل رمضان
اصحى يا نايم
وحّد الدايم
السعي للصوم
.. خير من النوم
دي ليالي سمحة
نجومها سبحة
اصحى يا نايم
وحّد الرزاق(٨).

وكذلك من أشهر من كتبوا في التسحير في العصر الحديث إمام الزجل محمود بيرم التونسي، حيث قال:

أنا أمدح المولى الغفور الودود
اللي تجلت رحمته في الوجود
الأرض والسموات عليّ شهود
أشهد له سبحانه. بعز سلطانه
ومن صميم قلبي أشكر له إحسانه
يا مؤمنين وحّدوا الله
لا إله إلا الله

وقال:

يارب تلطف بالعباد في قضاك
أنت اللي مالك من شريك في علاك
تبلغ الصايم نهاية رحمتك ورضاك
وتحفظ الإسلام على مدى الأيام
واللي اعتماده عليك يا رب لا ينضام
سبحانه من خلى الأهلة تدور
والشهر بالخيرات علينا يدور
ياصايمين لاحت نجوم السحور
على السحور ياللا قبل الأوان ياللا
صوموا بأمر الله والأجر عند الله(٩).

ويدلنا التاريخ على أن النداء التقليدي في السحور لم يكن مقصوراً على الرجال، فقد كان هناك بعض المسحرات الفاتنات يقمن بهذا العمل، فتغزل في إحداهن الشاعر زين الدين ابن الوردي ووصفها بأنها شمس تطلع في وقت السحور، فكيف يأكل الناس والشمس طالعة؛ فقال:

عجبتُ في رمضان من مسحرةٍ
قالت ولكنها في قولها ابتعدت
تسحَّروا يا عباد الله قلت لها
كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت(١٠).

وليس في ذلك غرابة، فلقد شاركت المرأة المسلمة في عدد من الأعمال، فكان منهن الممرضات والمحاربات والداعيات إلى الله والفقيهات..إلخ.

وما إن تأتي الأيام الأخيرة من شهر رمضان حتى نجد المسحراتي قد تغير تماماً، فنسمع صوته يملؤه الأسى والحزن لمرور أفضل الشهور وأعظمها عند الله تعالى، فيقول ويكاد يبكي مع هذه التواشيح الجميلة:

لا أوحش الله منك يا شهر الصيام
لا أوحش الله منك يا شهر القيام
لا أوحش الله منك يا شهر الولائم
لا أوحش الله منك يا شهر العزائم
لا أوحش الله منك يا شهر الكرم والجود(١١).

وقيل أيضاً في الوداع لشهر رمضان المعظم:

يا صائمي رمضان فوزوا بالمنى
وتحققوا نيل السعادة والغنى
وثقوا بوعد الله إذ فيه الهنا
أوليس هذا القول قول إلهنا
الصوم لي وأنا الذي أجزي به(١٢).

وفي النهاية: هذه جولة سريعة عن المسحراتي في مصر، تعرفنا من خلالها تقاليدَ السحور، والتي تعد ملمحاً مميزاً من ملامح هذا الشهر الكريم من خلال هؤلاء الزجالين الذين أغنوا المكتبة الإسلامية بما أبدعوه من فنون التسحير في رمضان، ولكن عزيزي القارئ: إن المسحراتي اليوم يختلف تماماً عن المسحراتي بالأمس، فاليوم ليس معه هذا الغلام الذي يحمل له ذلك الفانوس لينير له الطريق، كما ذكر الرحالة إدوارد لين البريطاني، واختفت كذلك تلك الأناشيد الجميلة التي كان يرددها المسحراتي في ليالي رمضان المعظم، وكادت تلك المهنة أن تختفي في البلدان الإسلامية، ولا أدري ما السبب في ذلك، هل التقدم الحضاري الذي نعيشه، أم فقدان الروحانية الإيمانية، أم ثراء الناس، أم أنها مهنة أصبحت هامشية لا تدر ربحاً على صاحبها، أم عدم مقدرة الشعراء على التأليف في هذا الفن الجميل؟ لا أدري عزيزي القارئ مع أنها كانت معلماً من معالم شهر رمضان المعظم!

الهوامش

١. حسن عبدالوهاب، رمضان، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٤٩.
٢. مصطفى عبدالرحمن، رمضانيات، سلسلة اقرأ، العدد ٤٨٨، دار المعارف بمصر، ص١٣٥، ١٣٦.
٣. مجلة المنهل، العدد ٥٤٦، جـ٥٩، رمضان ١٤١٨هـ/يناير ١٩٩٨م، السعودية، ص٧٩.
٤. عبده عرفة علي، رمضان في الزمان الجميل، كتاب الجمهورية، ١٩٩٩م، ص٣٨.
٥. مجلة المنهل، العدد ٥٢١، جـ٥٦، رمضان/شوال ١٤١٥هـ ص١١.
٦. رمضان في الزمان الجميل، مرجع سابق، ص٣٩.
٧. رمضان، مرجع سابق، ص٦٠.
٨. رمضان في الزمان الجميل، مرجع سابق، ص٤٥، ٤٦.
٩. رمضانيات، ص١٣٨، ١٣٩.
١٠. علي الجندي، قرة العين في رمضان والعيدين، مطابع الأهرام التجارية، ج١، ص٢٧٤.
١١. رمضانيات، مرجع سابق، ص١٤٠.
١٢. رمضان، مرجع سابق، ص٤٩.

دراسات حول مخطوطات علوم اللغة العربية في أوزبكستان

محمد البخاري ـ مليكة أنور ناصيروفا
طشقند ـ أوزبكستان

للأوساط العلمية في جمهورية أوزبكستان شجون يحملها الكثير من الصفحات المشرقة في تاريخ ما وراء النهر، وذكريات مع الاضطهاد الذي تعرضت له الثقافة الأصيلة لشعوب المنطقة خلال سنوات الاحتلالين الروسي والسوفيتي، وآمال المستقبل للواقع الذي باتت تعمل من أجله تلك الأوساط بعد الاستقلال.

من المعروف أنه، مع انتشار الدين الإسلامي الحنيف فيما وراء النهر، الذي حمله معهم الفاتحون العرب في القرن السابع الميلادي، انتشرت اللغة العربية لغة القرآن الكريم في تلك الأصقاع من الأرض حتى غدت لغة العلم والتعليم والتجارة والدواوين. ولم يتأثر موقعها المهم هذا، على الرغم من تبدل الأسر الحاكمة، والدول التي أقاموها على أرض ما وراء النهر، حتى جاء الاحتلال والضم والاستيطان الروسي خلال الجزء الأخير من القرن الثامن عشر، الذي أخذ يقضم ويضم تدريجيا الإمارات الإسلامية في تركستان الواحدة تلو الأخرى إلى الإمبراطورية الروسية المترامية الأطراف آنذاك، مستفيداً من القسمة والخصومة المحتدمة بين الأمراء المسلمين في المنطقة حينها، وانشغال العالم الإسلامي بأسره بالدفاع عن ذاته أمام الهجمات المتعاظمة لقوى الاستعمار الأوربي الذي أحاط به، وأخذ بالتشبث في أرجاء مختلفة منه.

وطأة الاحتلال

وجاء الاحتلال الروسي لتركستان بثقافة غريبة، ولغة غريبة، ومفاهيم غريبة عن أبناء المنطقة التي حملت منذ الاحتلال اسم تركستان الروسية. وازدادت وطأة الاحتلال بعد استيلاء البلاشفة على السلطة في روسيا وقيام السلطة السوفييتية التي قسمت تركستان الروسية إلى الجمهوريات الإسلامية الخمس التي نعرفها اليوم وهي: أوزبكستان، وقازاقستان، وتركمانستان، وقرغيزستان، وطاجكستان. فقامت السلطات البلشفية بإغلاق المساجد، ومصادرة كل ما كتب باللغة العربية أو حتى بالحرف العربي وإتلافه بعد أن عمدت إلى إلغاء استعماله واستبدال الحرف اللاتيني به أولاً، ومن ثم الحرف الروسي (الكيريلي). وتم إغلاق المدارس الإسلامية ومنع تعليم اللغة العربية وتداولها تماماً(١).


ابن سينا

وعلى الرغم من تبدل الظروف تحت وطأة الحرب العالمية الثانية، واضطرار السلطات السوفييتية إلى التخفيف من ضغوطها، فتح متنفس ضعيف للمسلمين في تركستان الروسية، بتأسيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان السوفييتية، والسماح بتعليم اللغة

العربية في عدد من المدارس الرسمية في أوزبكستان، وتأسيس كلية اللغات الشرقية في جامعة طشقند الحكومية، إلا أن الصورة لم تتبدل من ناحية الجوهر، فقد فرض تعليم اللغة العربية من خلال كتب كتبها مؤلفون روس، واعتمدوا في موادهم الدرسية على قواعد اللغة الروسية، فأصبح على الأوزبكي تعلم العربية من خلال لغة أجنبية أخرى(الروسية)(٢). وجاءت أهدافها لتلبي احتياجات الحكومة المركزية في موسكو وخططها من المترجمين بعد ازدياد الطلب عليهم مع توسع المشروعات السوفييتية في بعض الدول العربية.

العودة إلى اللغة العربية

وتبدلت الصورة بعد الاستقلال تماما، وأصبحت اللغة العربية تدرس في المدارس الرسمية كلغة أجنبية إلى جانب اللغات الأجنبية الأخرى، وأصبحت تدرس في الجامعات والمعاهد، وازداد الطلب عليها بعد تأسيس الجامعة الحكومية الإسلامية بمبادرة من رئيس الجمهورية إسلام كريموف في عام ١٩٩٩م، وافتتاح عدد كبير من الثانويات والمعاهد المتوسطة المتخصصة بتعليم اللغة العربية. وازداد الاهتمام بدراسة المخطوطات المحفوظة والمحتبسة في معهد أبي الريحان البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨م) للاستشراق، الذي تبدلت أهدافه بعد الاستقلال من معهد يلبي حاجات الاستشراق الروسي الذي رمى إلى تعزيز الاحتلال الروسي وتثبيت جذور السلطات الاستعمارية والاستيطان في المنطقة بأسرها، لتصبح أهدافه وأهداف غيره من مؤسسات التعليم المختلفة بعد الاستقلال دراسة تراث الأجداد العظام، علماء ما وراء النهر أمثال: الخوارزمي (نحو٧٨٣ ـ ٨٥٠م)، والفارابي (٨٧٤ ـ ٩٥٠م)، والبيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨م)، وابن سينا (٩٨٠ ـ ١٠٣٧م)، والزمخشري (١٠٧٥ ـ ١١٤٤/٤٣م) وألوغ بيك (١٤٤٩ ـ ١٤٩٤)، وغيرهم ممن تعدّ مؤلفاتهم جزءا مهما من التراث الإنساني العالمي وحضارته المتجددة، وتحقيقها ونشرها، وتعريف الجيل الناشئ بها، وتقديمها إلى العالم بأسره.

وتقوم اليوم الفرق (الكوادر) العلمية الخبيرة والمتخصصة في مجال دراسات التراث الأدبي الإسلامي ومخطوطاته بمتابعة الأبحاث العلمية التي بدأت منذ دخول (الكوادر) الوطنية هذا المجال المهم في جمهورية أوزبكستان منذ الثلاثينيات من القرن العشرين(٣). ومن بين تلك المجالات، مجال دراسة الدور الكبير الذي أداه أجدادنا العظام في دراسة قواعد النحو والصرف العربية وتطويرها وإعدادها، وهم الذين أسهموا بقسطهم الوافر حتى بلغ النحو العربي الدرجات العليا التي وصل إليها اليوم، وخاصة منها ما لم يتناوله البحث والدراسة والتحقيق من قبل. فقد كان لعلماء ما وراء النهر دور مهم في إعداد قواعد النحو والصرف للغة العربية التي نعرفها اليوم(٤).

> لعلماء ما وراء النهر دور بارز ومهم في تطوير علم اللغة الذي نشأ مع بداية القرن السابع الميلادي، وكان لهم الفضل في بلوغ علوم اللغة العربية أوجها

ومن (الكوادر) العلمية الوطنية التي اهتمت بدراسة المخطوطات في أوزبكستان علي بيك رستاموف، وقازاق باي محمودوف، وزاهد جان إسلاموف، ومقصود حكيم جانوف، وأتكور جا قارييف، وعبيد الله واتوف، وباطير بيك حسانوف، وإيرغاش عماروف، ومن الباحثين الشباب سليمة رستاموفا، ومخلصة ضياء الدينوفا، ورايح بهاديروف، ويولدوز إسماعليوفا، وبهرام عبدالخاليقوف، وآخرون كثيرون(٥).

وفي هذه الدراسة سنحاول تقديم بعض علماء اللغة العربية الذين ولدوا وعاشوا في منطقة ما وراء النهر خلال القرون الوسطى، ومن خلال نتائج الدراسات الجارية عنهم في أوزبكستان. لأن من المعروف أن اللغة العربية في آسيا الوسطى خلال القرون الوسطى كانت لغة العلم والفن والأدب وقتا طويلا كما سبق وأشرنا(٦). وأثبتت الدراسات أن علماء ما وراء النهر (آسيا الوسطى اليوم) قد أتقنوا اللغة العربية، وشاركوا، من خلال أعمالهم في تحليل اللغة العربية وقواعدها وآدابها. وتطور، إلى جانب الأدب المكتوب باللغة العربية في المنطقة، الأدب المكتوب بالحرف العربي باللغة المحلية (التركية القديمة)(٧). وهو

ما يثبته وجود الكثير من رسائل النحو العربي، والمعجمات، والشروح لمؤلفات نثرية وشعرية ظهرت خلال فترة ما قبل الغزو المغولي لما وراء النهر(٨). وتشير إلى إقبال أهل ما وراء النهر، وخوارزم على اعتناق الدين الإسلامي الحنيف الذي حمله معهم الفاتحون العرب بشغف، ونشاطهم أيما نشاط في تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة والحديث الشريف، وهما مصادر الشريعة ومنبعها، فلما كانت النهضة العلمية والأدبية في ما وراء النهر وخراسان خلال العصر العباسي ازدادوا سعيًا في ميادين العلم والثقافة والأدب العربي.

أستاذ العرب والعجم

وقد اشتهر في الشرق الإسلامي علماء كثيرون منهم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (١٠٧٥ - ١١٤٣م) الذي أدّى قسطه الوافر في تطوير علوم نحو اللغة العربية وصرفها في صدر القرون الوسطى. وهو أشهر من نار على علم، ولا يحتاج إلى تقديم أو تعريف. ومع ذلك ولضرورة البحث نقول: إنه نشأ في زمخشر (ولاية خوارزم في أوزبكستان اليوم)، ودرس ودرّس فيها، ثم سافر إلى بخارى شريف طلبًا للعلم وهو في مطلع الشباب. وتعرض خلال سفره لحادث أدى إلى قطع رجله(٩). ليعيش ما تبقى من حياته عاجزًا برجل واحدة. ومع ذلك قضى حياته في السفر والتنقل طلبًا للعلم، فسافر إلى خراسان وبلاد الشام والعراق والحجاز. وعاش أكثر من خمس سنوات في مكة المكرمة، التي درس فيها العلوم الدينية المختلفة والنحو والصرف والفقه والكلام وعلم اللغة والعروض والأدب والمنطق وتفسير القرآن وأبدع فيها.

وألف الزمخشري خلال حياته أكثر من خمسين عملا كتبها نثرًا ونظمًا(١٠). وألف كتابه «المفصل في صنعة الإعراب» خلال سنة ونصف السنة (٥١٣هـ/١١١٩م - ٥١٥هـ/١١٢١م) وهو في مكة المكرمة، وللزمخشري مختصر لهذا الكتاب معروف باسم «الأنموذج في النحو» يحوي ٢٥ صفحة، تتضمن عرضًا شاملاً لقواعد اللغة العربية، ويستعمل حاليًا في تدريس اللغة العربية في أوزبكستان(١١). وهو الكتاب الذي يعدّه العلماء في أوزبكستان وفي العالم الإسلامي - على ما نعتقد - من أعظم ما كتب في أصول تعليم نحو اللغة العربية وصرفها بعد كتاب سيبويه الشهير. وذاع صيت هذا الكتاب منذ اكتماله بين العرب والعجم على السواء حتى أصبح كتابًا أساسيًا يعتمد عليه في تعليم اللغة العربية. ويروى أن حاكم بلاد الشام مظفر الدين موسى جعل مكافأة قدرها خمسة آلاف قطعة فضية لمن يحفظ هذا الكتاب عن ظهر قلب من البداية حتى النهاية(١٢).

كما ألف الزمخشري أيضًا خلال حياته في مكة المكرمة كتابه الشهير «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» وتناول فيه تفسير القرآن الكريم خلال ثلاث سنوات (١١٣٢ - ١١٣٤م) كان خلالها يدرس تراث العلماء السابقين. وأصبح هذا الكتاب فيما بعد درة من الدرر الثمينة في خزائن الأدب الإسلامي العربي. ويتميز كتاب الزمخشري هذا في أنه لفت الأنظار أول مرة إلى النواحي اللغوية والبلاغية في التفسير، وركز في تحليل الأسلوب لفهم المعنى. والنسخة الأصلية من «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» التي كتبها الزمخشري بخط يده عام (٥٢٨هـ/١١٣٤م) محفوظة اليوم في العاصمة الإيرانية طهران(١٣).


الفارابي

وكان محمود الزمخشري صديقًا مخلصًا ومحبًا بارًا لأهل مكة، ولا سيما أميرها أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس الشريف الحسني. وقد كان الأمير ابن وهاس عالمًا بارزًا وشاعرًا نهل من إبداعه الزمخشري. وكان ابن وهاس شاهدًا على سعة الآفاق العلمية والاطلاع عند الزمخشري الذي قال عنه ابن وهاس بإعجاب(١٤):

جميع قرى الدنيا سوى القرية التي
تبوأها دارًا فداءُ زمخشرا
وأحرى بأن تزهى زمخشر بامرئ
إذا ما غدا أسد الشرى زمّ الشرا

ولما جاور الزمخشري الكعبة المشرفة بمكة المكرمة أكثر من خمس سنوات، لقب نفسه «بجار الله» وصار هذا اللقب علما عليه. واستمرت علاقته الودية بأهل مكة وأميرها حتى نهاية حياته.

وعدّ محمود الزمخشري اللغة العربية، اللغة الأولى بين لغات العالم الأخرى آنذاك، لأنها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف(١٥). ولهذا حرص على أن تكون مؤلفاته الفريدة والمفيدة والمهمة في النحو وعلوم اللغة، باللغة العربية. ومن بين تلك المؤلفات كتاب «مقدمة الأدب» الذي انتهى من تأليفه عام ١١٣٩م، و«المفصّل»، و«أساس البلاغة»(١٦). بالإضافة إلى «نوابغ الكلم» و«أطواق الذهب» اللذين يُعدّان بحق عقدين من الذهب الخالص في خزائن الأدب المكتوب في القرون الوسطى. وتدل مؤلفاته من خلال موضوعاتها المختلفة على سعة الاطلاع والعلم الراسخ المتين، وهو السبب الذي كان وراء الشهرة الواسعة التي تمتع بها الزمخشري في أوساط كل من نطق العربية أو تعلمها في العالم بأسره، وخاصة في العالم الإسلامي، فقد أطلقت عليه الألقاب كـ «فخر خوارزم» و«أستاذ الدنيا» و«أستاذ العرب والعجم»، أما هو فقد قال عن نفسه: «إني في خوارزم كعبة الأدب»(١٧).

وبعد عودة الزمخشري من مكة، استقر سنوات في خوارزم وانتقل إلى بارئه تعالى وجلّت قدرته ليلة عرفة من سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م. وذكر الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة في كتابه «الرحلة» أنه زار خوارزم في عام ١٣٣٣م أي في أوائل القرن الثامن الهجري وأنه: «بخارج خوارزم قبر الإمام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري وعليه قبة»(١٨).

وقد تناول كثير من العلماء المسلمين مؤلفات الزمخشري أو أشاروا إليها في مؤلفاتهم خلال القرون التي تلت وفاته، ومن هؤلاء: ابن النديم (ت: ٤٣٨هـ) في الفهرست، وأبو منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري (٣٥٠هـ/٩٦١م - ٤٢٩هـ/١٠٣٨م) في «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»، وياقوت الحموي (٤٢٦ - ٥٧٥هـ/١١٧٩ - ١٢٢٩م) في «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، وابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد (٦٠٨ - ٦٨١هـ/١٢١١ - ١٢٨٢م) في «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، وأبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني (١١٧٩ - ١٢٢٩م) في «كتاب الأنساب»، وجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (١٤٤٥ - ١٥٠٥م) في «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»، وحاجي خليفة (١٦٠٩ - ١٦٩٧م) في «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، وزهر الدين البيحاقي في «تاريخ حكماء الإسلام»، وابن قاضي شهبة (ت: ٨٧٤هـ) في «طبقات النحاة واللغويين» وغيرهم.

خليفة الزمخشري


الخوارزمي

ومن بين علماء نحو اللغة العربية أيضًا أبوالفتح ناصر بن عبدالسيد المُطَرِّزي الذي ولد بخوارزم في رجب سنة ٥٣٨هـ الموافق يناير/كانون الثاني عام ١١٤٣م وهي السنة التي توفي فيها الزمخشري. ولذلك قيل عنه: «خليفة الزمخشري، وقد اشتغل المطرزي، إلى جانب اللغة العربية، بالفقه على المذهب الحنفي والفكر المعتزلي. وفي سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م أقام ببغداد بعض الوقت، وتمتع بنفوذ واسع بين النحاة البغداديين. وتوفي في الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦١٠هـ الموافق أكتوبر/تشرين أول عام ١٢١٣م. ومن أهم مؤلفات المطرزي:

- كتاب المصباح في النحو.
- كتاب المغرب في ترتيب المعرب، وهو معجم مرتب على حسب الحرف الأول، استقاه من كتابه المفقود: «المعرب» الذي ألفه للفقهاء وفيه العلاقة بين النحو واللغة والفقه ويقدره الحنفية، تقدير الشافعية لكتاب «غريب الفقه» للأزهري.
- الإقناع بما حوى تحت القناع (وهو كتاب في المترادفات ألفه لابنه).
- رسالة في إعجاز القرآن.
- شرح مقامات الحريري. ويدل هذا التنوع في مؤلفاته على موسوعيته وسعة ثقافته الرفيعة.

ومن بين علماء اللغة العربية المسلمين خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، علماء أجلاء بارزون من آسيا الوسطى، ساهموا في وضع الأساس اللغوي للغة العربية تمكيناً لنهضة «الأمة الإسلامية»، ومن بين أولئك العلماء الكبار أبونصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي التركي النحوي (ت: ٣٩٣هـ) الذي ألف معجم «تاج اللغة وصحاح العربية» ذلك المعجم المتميز حتى اليوم في تاريخ معجمات اللغة العربية.

ثورة في علم اللغة العربية

وقد ولد الجوهري في فاراب، ثم سافر في طلب العلم إلى العراق، ودرس هناك على أبي علي الفارسي (٩٠٠ ـ ٩٨٧م) وأبي سعيد السيرافي (المتوفي في عام ٣٦٨هـ/٩٧٩م)، وأتيحت له الفرصة للتعمق في تفاصيل اللغة العربية ونحوها، عندما سافر كثيراً، وتنقل في الحجاز لدراسة لهجتي قبيلتي ربيعه ومضر، ورجع بعد ذلك إلى نيسابور حيث درس واشتغل بالتأليف حتى توفي فيها نحو عام ١٠٠٨م. ومن أهم مؤلفات الجوهري أيضاً «العروض أو عروض الورقة»، «المقدمة في النحو».

وقد قال الثعالبي عنه في كتابه «يتيمة الدهر»: هو من عجائب الدنيا.. في علم اللغة العربية، وله مكان بارز، وضربت الأمثال عن حسن خطه الذي شابه خط ابن مقلة والمهلهل ويزيد»(١٩) ويعد معجمه «تاج اللغة وصحاح العربية» ثورة في علم اللغة العربية. وهو من أمات المعجمات العربية. وقسم الجوهري كتابه إلى أبواب رتبت حسب الحرف الأخير في جذر الكلمة، ثم رتبت الكلمات داخل كل باب في فصول حسب الحرف الأول في جذر الكلمة، أما الحرف الثاني في جذر الكلمة فيحدد موقعها داخل الفصل. مثلا: نريد أن نبحث عن كلمة «كتاب» (في الصحاح). أولا نحدد الجذر:ك، ت، ب. ونجد «باب الباء» ثم نحدد في هذا الباب موقع «فصل الكاف» وهناك سنجد كلمة «كتاب» من أول الفصل. وكان هذا بحد ذاته ثورة في عالم صنع المعجمات آنذاك.

ويعدّ «الصحاح» والمعجمات الأخرى التي ألفت من بعد وبالأسلوب نفسه خزينة لكلمات القوافي بين الشعراء. ولهذا اشتهرت المعجمات، ولقيت رواجاً عظيماً، وتراجعت معها المعجمات السابقة التي ألفت طبقاً للترتيب الصوتي مثل: «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي (٧١٨ ـ ٧٨٦م) و«البارع» لأبي علي القالي (٢٨٨ ـ ٣٥٦هـ/٩٠١/٩٦٧م) و«المحيط» لابن عباد، وكتاب «الجمهرة في اللغة» لابن دريد (توفي ٣٢١هـ/٩٣٣م) وغيرها.

وفضل الجوهري ومعجم «الصحاح» كبير على العلماء المتأخرين الذين بحثوا في علم اللغة، وما كان ليحقق علم اللغة التطور الذي بلغه حتى الآن من دونه؛ لأنه كان الأساس الذي اعتمد في المعجمات التي ألفت من بعده. وقد صرف الجوهري أربعين سنة من عمره لتأليف «الصحاح»، الذي قال عنه إسماعيل النيسابوري(٢٠):



البيروني

هذا كتاب الصحاح سيد ما صنّف قبل الصحاح في الأدب
يشمل أنواعه ويجمع ما فُرِّقَ في غيره من الكتب

وجاء بعد الجوهري بنحو قرنين من الزمن، لغوي ونحوي بارز من آسيا الوسطى «ما وراء النهر» أيضاً، هو رضي الدين الحسن بن محمد بن حيدر العدوي العمري الصاغاني (١١٨١ ـ ١٢٥٢م) الذي تابع الطريق الذي بدأه الجوهري بمعجمات «العباب» و«مجمع البحرين» و«تكملة الصحاح».

ومن بينهم أيضاً السكاكي سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن بكر بن محمد بن علي الذي ولد سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م في خوارزم، وتوفي في قرية الكندي في سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، وكان علامة في المعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، ومتكلماً فقيهاً. ومن أشهر مؤلفاته «مفتاح العلوم» في ثلاثة أجزاء، خص الأول منه لعلم الصرف، والثاني لعلم النحو، والثالث لفرعي البلاغة: المعاني والبيان، وغيرها من العلوم ويعدّ من أهم الأجزاء الثلاثة، وقد صنف في مفتاح العلوم

اثني عشر علمًا. ومن مؤلفات السكاكي المهمة الأخرى: «الرسالة الولدية»، وهي رسالة وجهها إلى محمد ساجقلي زاده، أحد تلامذته وفيها ضوابط علم المناظرة وقوانينها. ومصحف الزهرة»، عن السحر والتنجيم والعرافة وغيرها.

والقائمة هذه يمكن أن تمتد كثيرًا، ولكننا سنكتفي بهذا القدر متمنين أن نكون قد تمكنا من التعريف بشيء يسير للدور الذي يقوم به المستعربون في آسيا الوسطى اليوم، لتحقيق تراث أجدادهم العظام والتعريف به في ما وراء النهر الذين أبدعوا خلال القرون الوسطى من أجل نشر علوم اللغة العربية ونحوها وأصولها وقواعدها.

ولا نبالغ إن قلنا: إن لعلماء ما وراء النهر دورًا بارزًا ومهمًا في تطوير علم اللغة الذي نشأ مع بداية القرن السابع الميلادي. وكان لهم الفضل في بلوغ علوم اللغة العربية أوجها. ونحن نفتخر بفضل أجدادنا العظام ونقدر عملهم الجليل وفضلهم في تطوير نحو اللغة العربية، وتطوير العلوم الإنسانية الأخرى، تلك المؤلفات الخالدة التي تركوها لنا من بعدهم نشبعها درسًا وتمحيصًا ودراسة وتطويرًا، والتي هي جزء مهم من الثقافة العربية والإسلامية والعالمية. واللغة العربية ليست ثروة وتراثًا قوميًا للعرب وحدهم، بل هي ثروة لجميع الشعوب الإسلامية وللعالم أجمع؛ لأنها لغة القرآن الكريم والحديث المطهر والسنة الشريفة. وهي حافظة للتراث العلمي والأدبي والتاريخ المشترك للشعوب الإسلامية قاطبة، وشاهد على إغناء الحضارة الإنسانية في مختلف العلوم. ومن هذا الفهم ينطلق حرص الدولة والأوساط العلمية في جمهورية أوزبكستان اليوم على تعلم وتعليم اللغة العربية وعلومها، التي من دونها لا يمكن الاطلاع على مضمون مخزون المخطوطات العلمية الثمينة التي كتبها جهابذة العلم في أوج ازدهار الدولة الإسلامية في القرون الوسطى، وهي المؤلفات التي هي بحق «الدرة الثمينة» التي لا تقدر بثمن.

المراجع والهوامش

١. انظر: د. محمد البخاري. عرب آسيا المركزية: آثار وملامح. دمشق. المعرفة. العدد ٤٤٥. تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٠. ص ١٨٤ - ٢٠٨.
- د. محمد البخاري. ود. تيمور مختاروف. تحقيق المخطوطات الإسلاميه في أوزبكستان... جهود متواصلة لحماية التراث. أبوظبي. الاتحاد. يومي ١١ و١٣/٣/٢٠٠١م.
٢. كان تعليم اللغة العربية خلال العهد السوفييتي يتم حتى مطلع الاستقلال من خلال كتب ألفها: فرانديه. وشاغال. وشرباتوف. وكافالوف. الروس وخالبدوف من تتار قازان المسلمين. وكلها تعتمد على اللغة الروسية. ومن ثم كانت الكتب المدرسية تعتمد عليها كثيرًا من حيث المنطق والمادة والأسلوب والمنهاج والإخراج.
٣. انظر الحاشية رقم (١).
٤. محمود الزمخشري. نوابغ الكلم. طشقند. كامالاك. ١٩٩٢م. ص٤ (باللغة الأوزبكية).
٥. أ.د/ علي بيك رستاموف. عضو أكاديمية العلوم الأوزبكستانية. له كتاب عن محمود الزمخشري صدر في طشقند عام ١٩٧١م. وعدة مقالات منشورة. وكل واحد من هؤلاء العلماء له مقالات ودراسات عن أعلام أوزبكستان الذين أغنوا الدراسات العربية.
٦. عبدالقادر زاهيدي. الثقافة العربية والإسلامية في القرون الوسطى بتركستان. طشقند. ١٩٩٣م (باللغة الأوزبكية).
٧. انظر مخطوطات: أحمد يوغناكي (نحو سنة ٧٥٠هـ). هبة الحقائق. يوسف خاص حاجب (نحو عام ١٠١٧م). قوتاد غوبيليك. محمود قشقاري (القرن ١١هـ). ديوان لغة الترك. أحمد يسوي (١٠٤١ - ١١٦٢م). حكمتلار. في مكتبة المخطوطات بمعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الأوزبكستانية.
٨. انظر الحاشية (٦).
٩. المصدر السابق نفسه.
١٠. انظر: كارل بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. ج٥. القاهرة. دار المعارف. ١٩٧٣م. ص٢٩٣.
- علي بيك رستاموف. محمود الزمخشري. طشقند. ١٩٧١م (باللغة الروسية).
- أبو القاسم محمود الزمخشري. نوابغ الكلم. طشقند. كمالاك. ١٩٩٢م باللغة الروسية).
- أحمد محمود الحوفي. الزمخشري. القاهرة. دار الفكر العربي. ١٩٦٦م. ص٥٨ - ٦٣.
١١. يحتفظ معهد أبي ريحان البيروني للاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الأوزبكستانية بسبع نسخ مخطوطة منه تحمل الأرقام التالية: ٢١٥١، ٨١٠٧، ٨٥٨٩، ٨٦٤٢، ١٢٤٧٤، ١٢٨٥٨، ١٢٨٨٨.
١٢. أبو القاسم محمود الزمخشري. نوابغ الكلم. طشقند. كمالاك. ١٩٩٢م. ص٢٥ (باللغة الأوزبكية).
١٣. المصدر السابق. ص٤٥.
- وفي مخطوطة «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» بخط أحمد بن محمود بن أحمد جمشيد شاشي. عام ١٣٥٨هـ. وفي مخطوطات أخرى محفوظة في الإدارة الدينية في طشقند.
١٤. أنكور قاريوف. قاموس للمحادثة. طشقند. منارة الشرق. ١٩٩٦م. ص٦ (باللغتين العربية والأوزبكية).
١٥. انظر الحاشية (١٢).
١٦. انظر: «مقدمة الأدب» قاموس مخطوط باللغات: العربية والفارسية والتركية والمغولية. محفوظ تحت رقم ٢٠٢ في مكتبة أكاديمية العلوم الأوزبكستانية. وهو نسخة وحيدة في العالم. وهناك نسخة كاملة أخرى باللغتين العربية والفارسية محفوظة تحت رقم ٤٢٩. ومخطوطة «أساس البلاغة» المحفوظة تحت رقم ٥٢٣٤.
١٧. انظر الحاشية (١٠).
١٨. د. أحمد محمود الحوفي. الزمخشري. القاهرة. دار الفكر العربي. ١٩٦٦. ص٤٧.
١٩. نعمة الله عبدالله. النظم في اللغة العربية في آسيا الوسطى وخراسان في القرون ١٠ - ١٢. طشقند. دار فن للنشر. ١٩٨٤م. ص٢٦٥ (باللغة الروسية).
٢٠. باطير بيك حسانوف. الصحاح اتجاه جديد في علم اللغة العربية ومعاجمها. طشقند. مجموعة مقالات. جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية. ١٩٩٩م. ص٩٢.



همذان.. مدينة لا تعرف الدفء

صادق العبادي
طهران - إيران



هَمَــذَان أو (هَمَــدان) من المدن القــديمة التـاريخـية في بلاد المسلمين، وفي التـاريخ البشري، يعود تاريخـها إلى مـا قبل الميـلاد، فقد قامت فيـها عدة حضارات قبل الإسلام، كحضارة «ماد» و«الأخمينية». دخلها الإسلام سنة ٢٣ أو ٢٤ للـهجرة، وذكـرت فـي التراث العـربي والإسـلامي كـثـيـراً، هذه المدينة التاريخية تضم في جنباتها آثاراً متـعددة من التاريخ الإسلامي، وتذكرنا بكثير من العلماء والأدباء والأعلام.

همذان الموقع الإستراتيجي

إن لتأسيس المدن تاريخياً أسبـاباً سياسيـة أو عسكرية أو تجارية أو معيشيـة، وهمذان تجمع كل هذه المواصفات، فهي ملتقى طرق شرق الجبال بغربها، ووجـودها على سفح جبل الوند (أروند) أعطاها مـوقـعـاً حـساسـاً (إسـتـراتيجـيـاً) من الناحية العسـكرية، وهواء ربيعياً في الصيف، ومـيـاهاً كثيرة للزراعـة، كل ذلك جعل الحـضارات الفـارسيـة القديمة قـبل

الإسلام منذ الماديين والآرابيين الأشكانيين والأخمينيين (الهخامنش)، وحتى الساسانيين يختارون هذه المنطقة إمّا عاصمة لهم، أو مركزاً عسكرياً للسيطرة على السهول الغربية من العراق حتى الشام ومصر، أو مصيفاً لحكام جنوب فارس الذين كانوا يقصدونها في الصيف هرباً من الحر.

وعندما دخل الإسلام بلاد فارس وفتحت نهاوند، كانت همذان الهدف الثاني للفتح الإسلامي، ومنذ دخول المسلمين إليها واستقرارهم فيها، أصبحت مركزاً مهماً من المراكز الإسلامية التي لا يخلو كتاب أدبي أو تاريخي أو فقهي من ذكر رجالها وأخبارها.

همذان في التراث العربي

لقد جاء ذكر جبل الوند (أروند)، وذكر همذان وبردها في التراث العربي كثيراً.

عندما كان عين القضاة الهمذاني مسجوناً ببغداد كتب رسالة من سجنه يحن فيها إلى همذان وجبل الوند:

ألا ليت شعري هل ترى العينُ مرةً
ذُرا قُلَّتي أرْوَند من همذان
بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي
وأرضعت من عِقَّانها بلبان(٢)

وقال عنها محمد بن بشار:

ولقد أقول تيامني وتشاءمي
وتواصلي ريما على هَمَذان
بلد نباتُ الزعفران ترابه
وشرابه عسلٌ بماء قنان
فكسا الربيع بلادَ أهلك روضة
تفترّ عن نفلٍ وعن حَوْذان
وإذا تبجّست الثلوجُ تبجّست
عن كوثرٍ شبمٍ وعن حيوان(٣)

وإذا كان بعض الشعراء قد مدحها، فقد ذم بردها آخرون.

لما قدم عبدالله بن المبارك همذان أوقدت بين يديه نارٌ فكان إذا سخن باطن كفه أصاب ظاهرها البرد، وإذا سخن ظاهرها أصاب باطنها البرد فقال:

أقول لها ونحن على صلاء
أما للنار عندك حرُّ نار
لئن خُيِّرتُ في البلدان يوماً
فما هَمَذانُ عندي بالخيار(٤)

ودخل عليها أعرابي في الربيع فاستمتع بهوائها ومائها،


من بقايا المدينة القديمة

ولكنه عندما أقبل الشتاء لم يتحمل بردها وثلوجها فأنشد:

بهمذان شَقِيَتْ أموري
عند انقضاء الصَّيف والحرور
والثلج مقرونٌ بزمهرير
لولا شعار العاقر النزور(٤)



قال كاتب بكر:

همذان متلفة النفوس ببردها
والزمهرير وحرّها مأمونُ
غلب الشتاءُ مصيفها وربيعها
فكأنما تموزُها كانونُ(٥)

أسماء المدينة تاريخياً

لقد ورد اسم المدينة في التراث الفارسي على هيئة (هَمَدان)(٦) - بالدال المتحركة - أما في التراث العربي فقد ورد على الهيئتين همدان وهمذان - بالذال - ، وجاء في تفسير أصل الكلمة عدة تفاسير:

ـ ذكر فخر الدين الطُّرَيحي (ت: ١٠٨٥هـ) في «مجمع البحرين ومطلع النهرين» أنها تنسب إلى مؤسسها همدان بن علوج بن سام بن نوح(٧).

ـ بينما ضبطها أكثر المؤرخين المسلمين العرب بـ «هَمَذان» ويرجعون ذلك إلى همذان بن فلوج بن سام بن نوح(٨). وهناك آراء أخرى.

ـ كانت تسمى في عصر الماديين «هكماتانا» Hegmatana، وتعني محل اجتماع الناس أو ملتقى الطرق، وبعد فكّ رموز الخط المسماري لألواح بيستون كتب اسم المدينة هكذا (هكماتانا)(٩).

ـ أما المؤرخ اليوناني هيرودوت Herodoutus فإنه ذكرها على شكل (اكباتانا) في تاريخه(١٠).

ـ وفي الكتابات الآشورية جاء اسم المدينة على هيئة «آمادانه» Amadana، وبما أن الآشوريين كانوا يسمون شعوب الماد بـ «آمادا»، فذلك يعني أن اسم المدينة مشتق من كلمة آمادانه أي أرض الماد أو الماديين (١١).

والأرجح، وهو رأي أكثر اللغويين، أن همدان تحوير وتبديل من كلمة «هكماتانا»، أي محل الاجتماع أو المدينة(١٢) كما ورد في المصادر الموثوقة.

حضارات همذان في التاريخ

لقد كانت همذان منطقة مأهولة بالسكان منذ الألف الثالث قبل الميلاد، فالآثار التي تم العثور عليها في مناطق هكماتانه والمعروضة في متحف الآثار بالمدينة تدل على وجود الحياة الاجتماعية منذ آلاف السنين.

فتلال نويشجان ـ بين همذان وملاير ـ فيها آثار من العهود السحيقة إلا أن أكثر الآثار المكشوفة والكتابات الحجرية تؤرخ الألف الأول قبل الميلاد، وبالذات منذ العصر المادي (القرن ٨ ق.م). وقد أُسّست المدينة حسب بعض الروايات على يد (دياكو) أحد ملوك الماديين بحدود ٧٠٠ق.م. ويذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت أن هذا الملك اختار اكبتانه عاصمةً لدولته، وبنى فيها قصراً محكماً وعجيباً على هيئة سبع قلاع متداخلة، وزينها على شكل قصور بابل، وكانت بحجم مدينة آتن، وكان فيها بين ٣٠٠ و ١٠٠٠ حصن وغرفة، وكانوا يسمونها اكباتانه، أي محل التلاقي والاجتماع.

والآثار القائمة إلى الآن على تلال المدينة هي من بقايا تلك المدينة القديمة.

وقد سقطت عاصمة الماديين عام ٥٥٠ق.م على يد كورش مؤسس سلسلة الأخمينية (الهخامنشيين) ولهذه الحادثة أهمية تاريخية كبيرة، وما زالت الكتابات الحجرية في بيستون على جبال الوند تؤرخ لفتوحات كورش وابنه، وقد مرّ عليها الإسكندر المقدوني مرتين: الأولى عندما هزم ملوك الفرس (٣٢٠ق.م) فقد هدم المدينة وقتل أهاليها، والثانية عندما رجع من الهند(١٣).

وبسقوط همذان على يد الإسكندر المقدوني (القرن ٤ ق.م)



صناعة الفخار في همذان



السوق القديم

سقطت آخر قلعة من قلاع سلسلة الأخمينية، ولكن سقوط قلعة همذان لم يكن بالأمر السهل، وتنقل الروايات أنه عندما عجز أحد قادة الإسكندر عن فتح المدينة، طلب الإسكندر منه أن يبعث خريطة القلعة والتلال والجبال والأنهار المحيطة بها حتى يدبّر الأمر، عنذ ذاك طلب من مشاوريه خطة لفتح هذه المدينة، وبعد أن اطلعوا على خريطة المدينة وضع خطة تقضي بأن يبني سداً خلف المدينة لكي تجتمع المياه خلفها، وبعد ذلك يتم فتح السد حتى تقتلع المياه أسوار القلعة، وبعد تنفيذ الخطة، دخل جنود الإسكندر مع مياه السد وفتحوا المدينة التي لم تقهر، وبعد أن قتلوا من فيها، أحرقوا المدينة وخربوا قلعتها(١٤).

وينقل ابن الفقيه الهمذاني في كتابه «أخبار البلدان»، أن داريوش الثالث آخر ملوك الأخمينية عندما دخل المعركة مع الإسكندر المقدوني، بنى كنزاً عظيماً فخبأه في همذان، وأوكل اثني عشر ألف جندي للحفاظ عليه.

وكانت في عهد الأشكانيين والساسانيين الذين اتخذوا طيسفون (المدائن) - الواقعة شرق العراق اليوم، وفيها طاق

كسرى - عاصمة لهم، فكانت همذان مصيفهم أيام الحر، وموقعاً إستراتيجيا في الحروب، واستمر على هذه الحال حتى سقطت في سنة ٢٤هـ على يد المسلمين بعد فتح نهاوند.

وحتى الماسانيون كانوا يواجهون صعوبات للوصول إلى همذان بسبب الجبال والثلوج الفاصلة بينهما، ولذلك نقل الشاعر العربي:

قد قال كسرى حين أبصر ثلجهم
همذان فانصرفوا فتلك جهنم

«أحسن التقاسيم» (ص٣٩٣).

تاريخ همذان بعد الإسلام

- الفتح الإسلامي

ذكرنا أن همذان كانت موقعاً مهماً للساسانيين قبل الإسلام، وقد فتحت بعد فتح نهاوند والدِّينور على يد جرير بن عبدالله البجلي وذلك في سنة ثلاث أو أربع وعشرين للهجرة على عهد يزدجرد الثالث، فقاتله أهلها، ودفع دونها، فأصيبت عينه بسهم فقال: أحتسبها عند الله الذي زين بها وجهي، ونور لي ما شاء، ثم سلبنيها في سبيله(١٥).

وكان خراجها والدِّينور من نصيب الكوفة؛ ولذلك سميت والدينور في تلك الفترة بـ (ماد الكوفة).

وينقل التاريخ لنا قصة قافلة العسل عند الفتح الإسلامي؛ وذلك أنه بعد أن انهزم فيروزان قائد الجيش الفارسي على يد المسلمين في نهاوند، هرب صوب همذان، ولكن قافلة كانت تحمل عسلاً واجهته على الطريق وأخّرت مسيره، وهذا التأخير كان سبباً لوصول المسلمين وانتصارهم عليه وأخذهم العسل غنيمة، ولذلك ردّد المسلمون: إن لله جنوداً من عسل، وسمي الوادي بـ «وادي العسل».

- العصر الأموي

شهدت همذان حضور العلويين في العهد الأموي، وفي سنة ١٢٧هـ قام بالكوفة العلوي: عبدالله بن معاوية(١٦) ضد الدولة الأموية، وانتشرت دعوته، ووصلت إلى همذان وأصفهان، سقطت همذان فترة بيد العلويين، وأصبحت مركزاً لهم، وما زالت آثارهم وقبورهم باقية.

- العصر العباسي

كانت همذان مسرحاً للصراع بين ولدي الرشيد: الأمين والمأمون، فقد شهدت معركة بقيادة عبدالرحمن حيلة أحد قواد الأمين ومعه ثلاثون ألفاً في مواجهة طاهر ذي اليمينين من قبل المأمون، وبعد أن انهزم عبدالرحمن والتجأ إلى المدينة، حاصر طاهر ذو اليمينين المدينة حتى استسلم الطرف الآخر.

وفي سنة ٣١٩هـ أصبحت مركزاً للصراع بين حاكم الدينور حسنويه وكاكوي أيام حكم الديالمة.



جزء من السوق القديم

ومن الذين هاجموها مرداويج الذي نهب المدينة، وقتل أبناءها، وأصابها الدمار، وهو الذي أنزل الأسد الحجري الذي كان على باب المدينة من العهد الأخميني، وما زالت بقايا هذا الأسد موجودة في وسط إحدى ساحات المدينة.

- العصر السلجوقي

ولأن السلاجقة (القرن ٥) كانوا يطمحون إلى الخلافة العباسية فإنهم اختاروا همذان عاصمة لهم، حتى تكون منطلقًا للهجوم على بغداد، وبقوا في هذه المدينة خمسين عامًا، واهتموا بعمرانها وتوسعها، وأصبحت (دار الملك) لهم، وما زالت آثارهم باقية إلى الآن. إلى أن هجم عليهم المغول وأحرقوها.

يقول المقدسي في «أحسن التقاسيم»: أما همذان فإنها كورة متوسطة في الإقليم، جليلة المدن، قديمة الرسم، اختطها همذان بن الفلوج بن سام بن نوح، وقد قيل: الجبال عسكرٌ وهمذان أميره، وهي أعذبها ماءً، واسعة الأقطار، غزيرة الأنهار، ملتفة الأشجار، لذيذة الثمار، كثيرة القافلة، وأعجبني رستاقها غاية الإعجاب(١٧).

- العصر المغولي والتيموري

مع هجوم التتار والمغول على مدن الشرق الإسلامي، كانت همذان إحدى ضحايا هذا الهجوم سنة (٦١٧هـ)؛ فبعد أن قاوم سكان همذان المهاجمين مقاومة شديدة، اضطروا إلى التراجع أولاً، ولكنهم بعد وصول الإمدادات فتحوا المدينة وقتلوا من فيها حتى الأطفال والنساء، وهدموا المدينة وتحولت إلى خراب وأنقاض.

وبعد أن جدد بناءها أحد ملوك المغول الإيلخانيين، وهو بايدوخان (٦٩٥هـ) توج نفسه ملكًا فيها، وأعاد إعمارها وبناءها.

- العصر الصفوي والقاجاري

منذ أن انتصر الصفويون في القرن العاشر الهجري بدأت المدينة تستعيد عافيتها، وعلى الرغم من أنها سقطت على يد أحمد باشا الوالي العثماني في بغداد (١١٣٨هـ ١٧٢٤م) إلا أن نادر شاه حررها بعد ست سنوات (١١٤٣هـ ١٧٣٠م) وأصبحت رسميًا جزءًا من التقسيم السياسي لإيران ضمن اتفاقية (١١٤٥هـ) بين الدولة العثمانية والإيرانية، ومنذ ذلك الحين وإلى اليوم تعيش همذان في ظل جبل الوند الشاهق، وتوسعت وأصبحت اليوم من المدن الكبيرة.



تشتهر همذان بصناعة السجاد

التنوع القومي والديني

إن وقوع هذه المدينة على ملتقى طريق الشرق بالغرب جعلها ملجأً لكثير من القوميات والملل والشعوب، التي حولتها إلى بؤرة من الثقافات والأديان واللغات؛ فبالإضافة إلى الفرس الذين استوطنوا فيها، سكنها العرب بعد الفتح الإسلامي، وكانت موطنًا لكثير من العلماء والفقهاء والتجار العرب.

هاجر إليها أعرابي ليسكن فيها فلما رأى هواءها وسمع كلام أهلها لم يطب له المقام فأنشد:

وكيف أجيب داعيكم ودوني
جبال الثلج مشرفة الرعان
بلاد شكلها من غير شكلي
وألسنها مخالفة لساني(١٨)

وهناك الأتراك الذين يتكلمون اللغة الأذربيجانية وعشائر اللور، وكذلك الأكراد، وأخيراً الفرس الذين يشكلون الأكثرية، وهم أقدم قومية سكنت المنطقة منذ الدولة المادية (القرن ٨ ق.م)، وعلى الرغم من أن أكثرية السكان من المسلمين إلا أن هناك مسيحيين ويهوداً يسكنون هذه المنطقة منذ القديم.

فمن الناحية الدينية والفكرية شهدت همذان التنوع الفكري والديني بعد دخول الإسلام إليها، لبعدها عن مركز الخلافة ببغداد فقد ظهر فيها أتباع بابك الخرّمي زعيم الفرقة الخرّمية المنحرفة عن الإسلام، التي قاومت الخليفة العباسي حتى انهزمت على يد إسحق بن إبراهيم بن مصعب سنة(٢٢٣هـ). وظهر فيها في القرن الثالث بعض العلويين والشيعة، وأصبحت مركزاً مهماً لدعوتهم، ولكن كانت الغالبية للشافعية.

وما زال هناك كثير من المقابر والمزارات من أبناء العلويين فيها. وأصبحت في القرنين الرابع والخامس مركزاً من مراكز المعتزلة، وقد ظهر فيها قاضي قضاة همذان أبو السائب المعتزلي الأسدآبادي (ت: ٣٥٠هـ)، وعبدالجبار الأسدي المعتزلي صاحب كتاب «المغني» (ت: ٤١٥هـ). وعلى الرغم من وجود بعض الإمامية فيها، فإن غالبية أهاليها كانوا حتى القرن الثامن من الشافعية(١٩) حتى غلب أمر الصفويين الذين نشروا التشيع في بلاد إيران ومنها همذان.

اليهود في همذان

كانت همذان موطناً لليهود منذ عهد الأخمينية والساسانية، وهناك عدة مواقع معروفة لليهود في تلك المناطق، وبقي هؤلاء حتى بعد الفتح الإسلامي.

ومن الآثار التاريخية والمقدسة عند اليهود مقبرة باسم «أستر» و«مردخاي»، ويقال إن أستر امرأة من نسل النبي يعقوب - عليه السلام - وزوجة أحد ملوك فارس، ويأتي إليها اليهود يوماً في السنة وهم صائمون، واسمه يوم الخلاص، وذلك يرجع إلى قصة مساعي مردخاي في نقض حكم القتل الذي صدر بحق اليهود في عهد أردشير الأول (الساساني) بواسطة زوجته اليهودية أستر؛ ولكن أكثر الباحثين الإيرانيين يشكون في انتساب هذه المقبرة إلى اليهود بسبب معمارها الإسلامي(٢٠)، وفيها نسخة من أقدم كتب (التوراة) مكتوبة على حجر رق الغزال، وعلى المقبرة كتابات باللغة العبرية.

وقد كان هؤلاء يعملون في التجارة منذ القديم، ويذكر أولياء جلبي - في القرن الحادي عشر الهجري - أن اليهود بكثرة في همذان، ويعملون في التجارة (٢١).



وهناك سوق خاص باسم سوق اليهود (ويسمى اليوم بسوق فلسطين)، وكان يعمل أكثرهم في تجارة الأقمشة والصيدلة والذهب وآلات الموسيقى والآثار القديمة، وهاجر كثير منهم. وقد قاموا بدور كبير في شراء الكتب المخطوطة والآثار القديمة وتهريبها من خلال كردستان إلى الأسواق الأوربية.



الميدان العام

ويذكر «جروته» أن يهود همذان كانت لهم علاقات تجارية بتجار اليهود في بغداد وكذلك اليهود في آسيا الوسطى(٢٢).

الموقع الجغرافي

تقع محافظة همذان على الجانب الغربي من إيران بين محافظات زنجان شمالاً وكرمانشاه وكردستان غرباً وآراك شرقاً. وتتألف من مرتفعات جميلة، وجبال شاهقة، وسفوح خضراء، وأراضٍ زراعية واسعة، ومراعٍ وجبال، وروابٍ تتجمع فيها الثلوج، وأودية وسهول دائمة الخضرة. أعلى وأشهر قمة فيها هي جبل الوند، وتتمتع بشهرة ليست أقل من قمة دماوند - أعلى قمة في إيران - وتتمتع همذان بشتاء قارس وطويل تبقى خلاله الثلوج متراكمة على قمم الجبال ثمانية أشهر

من كل عام، مما يجعل المحافظة تتمتع بصيف معتدل وطبيعة خضراء.

وترتبط همذان اليوم بشبكة طرق بمدن طهران وقزوين وساوه.

جبل الوند (أروند)

تقع المدينة على سفح جبال الوند - ضمن سلسلة زاكرس - التي يبلغ ارتفاعها ٣٥٧٤م، وتستمد المدينة مياهها وجمالها وطبيعتها من هذا الجبل الذي تغطي قممه الثلوج خلال ثمانية أشهر في السنة، ولذلك فإن همذان باردة شتاء ومعتدلة ربيعاً وصيفاً. ومن هذا الجبل تسيل الأنهار والعيون والشلالات التي زودت المدينة بالزراعة والمحاصيل الزراعية كالجوز واللوز والتفاح والمشمش والعنب.



مقبرة أستر ومردخاي لليهود

إن هذا الجبل هو الذي جعل لهمذان موقعاً (إستراتيجياً) منذ عهد الماد والأخمينية، وكانت مركزاً للصراع بين الإسكندر المقدوني والفرس، وحتى بعد فتحها بعيد معركة فتح الفتوح، وعند هذا الجبل انتصر أبو مسلم الخراساني، وانهزم جيش الأمين، واختارها هولاكو موقعاً للهجوم على بغداد. إن أي جيش استطاع عبور هذا الجبل وتحمل البرد والثلوج كان النصر حليفه، ونقل عن أبي سرح الهمذاني أنه قال:

النار في همذان يبرد حرُّها
والبرد في همذان داءٌ مسقمُ(٢٣)

ويسمع سكان همذان، في الليالي القارسة، أصوات تشقُّق الصخور داخل الجبال بسبب البرد، ولكن الناس تعوّدوا منذ مئات السنين على مقاومة الطبيعة القارسة، ولذلك فإن أهاليها يجمعون ما يحتاجون إليه لفصل الشتاء من وسائل غطائية، إلى وسائل تدفئة.

وقد جاء ذكر أروند ومياهها ووصف متنزّهاتها في أشعار أهل همذان كثيراً، يقول محمد بن بشار:

لعمرك ما في الأرض شيء نلذّه
من العيش إلا فوقها همذانها

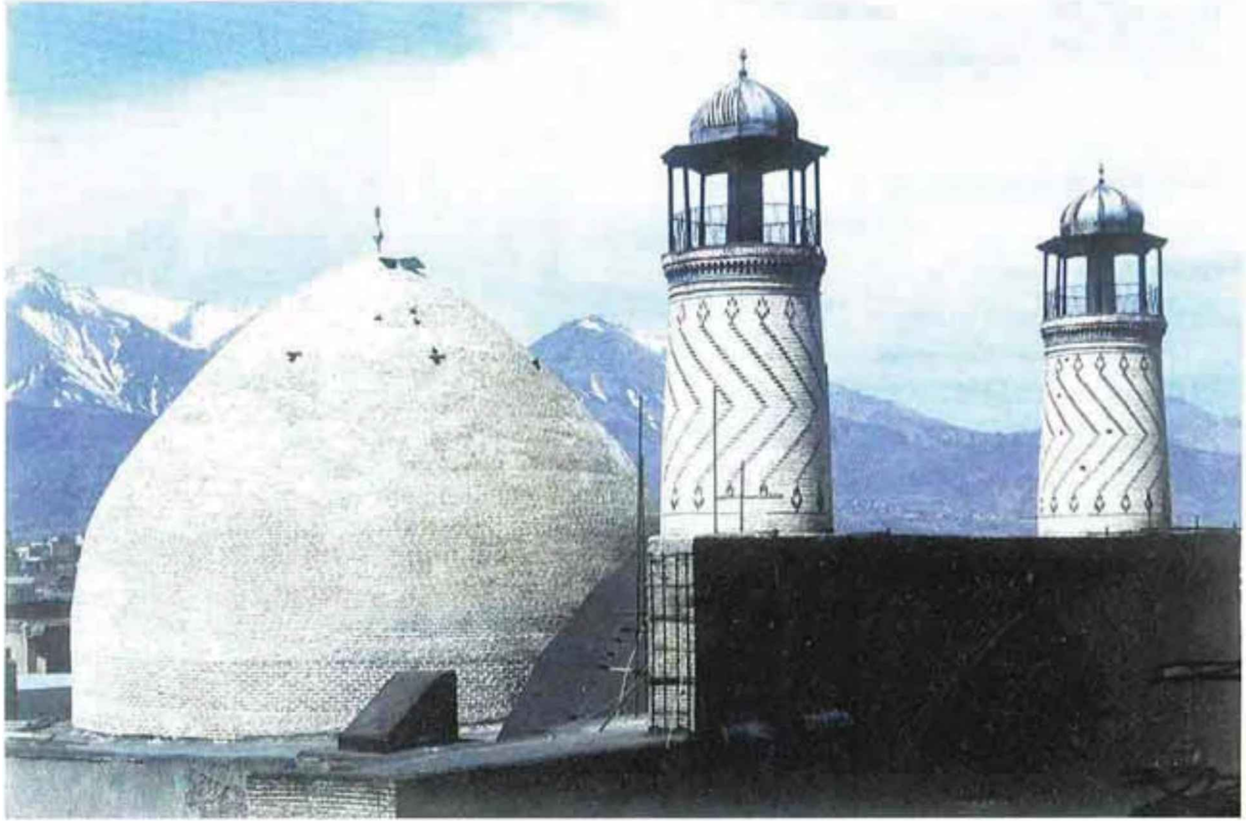
إذا استقبل الصيفُ الربيع وأعشبت
شماريخ من أروند شمّ قنانها

سقتك ذرا أروند من سيح ذائب
من الثلج أنهاراً عذاباً رعانها(٢٤)

مشاهير همذان

أنجبت همذان الكثير من العلماء والأدباء والمحدثين، وينسب إليها قاضي قضاة الشافعية أبوالسائب عتبة بن عبيدالله (ت: ٣٥٠هـ) الذي أقام ببغداد، وعبدالجبار المعتزلي الأسدآبادي (ت: ٤١٥هـ) قاضي قضاة ري وهمذان، والنحوي الشهير ابن خالويه الحسين بن أحمد الهمذاني (ت: ٣٧٠هـ) الذي كان مدرساً فاضلاً في بغداد وحلب، وتربى في أحضانها بديع الزمان الهمذاني (ت: ٣٩٨هـ) مبدع فن المقامات الذي هاجر إلى بلاد خراسان، وعين القضاة عبدالله بن محمد الميانجي الهمذاني (المقتول في سنة ٥٢٥هـ) بسبب آرائه الصوفية.

ومن مشاهير همذان ابن الفقيه أبوبكر الهمذاني (ت: ٣٤٠هـ) صاحب كتاب أخبار البلدان المفقود، وكذلك



المسجد الجامع

شيرويه بن شهر دار الديلمي (ت: ٥٠٩هـ) صاحب كتاب تاريخ همذان، وكان محدثاً ومؤرخاً قديراً.

ويرقد في همذان الكثير من مشاهير علماء المسلمين والعلويين، ففيها قبر الطبيب والفيلسوف أبي علي الرئيس ابن سينا، والحافظ أبي العلاء الهمذاني، ويحيى بن علي العلوي - وكثير من العلويين أحفاد علي بن الحسين، والشاعر بابا طاهر العريان صاحب رباعيات بابا طاهر.

المعالم السياحية

تضم همذان اليوم مجموعة معالم تاريخية وسياحية لتاريخها العريق، والحضارات التي استقرت بها، والحكومات التي تعاقبت عليها:

- **حجر بيستون(٢٥) و«كنجنامه»**: وإذا كان حجر رشيد وثيقة تاريخية أدت إلى فك رموز الكتابة الهيروغليفية، وفك رموز المدنية المصرية القديمة، فإن حجر بيستون يعدّ وثيقة مهمة جداً لفك رموز الكتابة المسمارية التي فتحت الطريق أمام الباحثين لدراسة حضارة الآشوريين والبابليين. ويقع هذا الحجر على الطريق بين همذان وكرمانشاه وبغداد.

ويقع على جبل باغستان البالغ ارتفاعه ٣٨٠٠ قدم، واشتهرت تسمية الحجر بهذا الاسم بين علماء الآثار والتاريخ.

استعار السير هنري رولنسون Sir H.Rawlinson هذه التسمية من ياقوت الحموي، فقد جاء في حديثه عن بهستون: قرية بين همذان وحُلوان. وجبل بهستون عالٍ مرتفع ممتنع لا يُرتقى إلى ذرونه، ووجهه من أعلاه إلى أسفله أملس كأنه منحوت، ومقدار قامات كثيرة من الأرض قد نحت وجهُهُ ومُلِّس(٢٦).

وكانت هذه الصخرة موقعاً مقدساً في ملتقى طرق رئيسة من طرق العالم القديم، وعلى ينبوع ماء، مما دعا داريوش الكبير (٥٢١-٤٨٥ق.م) أن يختار الواجهة الجبلية القائمة ليسجل عليها فتوحاته وانتصاراته قبل الإسلام. تعكس منحوتات الصخرة الملك داريوش وقادته وخمسة أعمدة متجاورة (٤١٤ سطراً) باللغة الفارسية القديمة، وبالأحرف المسمارية الجديدة التي ابتكرها الفرس، وقد ورد فيها نسب داريوش وغزواته وانتصاراته؛ وأفضل من عمل على اكتشاف كتابة هذا الحجر

ورسومه السير هنري رولنسن (١٨١٠ ـ ١٨٩٥م) الضابط البريطاني الذي أصبح حل الكتابة المسمارية مديناً لمجهوداته ومغامراته، فقد استطاع بعد دراسة اللغة الزندية القديمة والفهلوية أن يكتشف الكتابة البابلية، ثم اكتشاف الكتابة المسمارية الجديدة(٢٧) عند الفرس.

إن هذا الحجر المكتوب بثلاث لغات، على الرغم من مرور نحو ٢٥٠٠ عام على كتابتها، ما زالت قائمة، ومن المعالم السياحية خارج مدينة همذان وكرمانشاه.

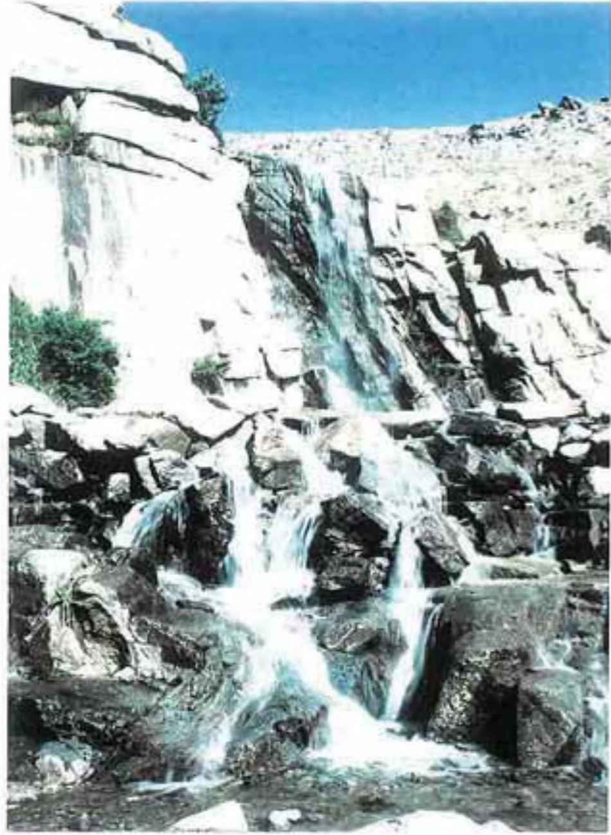
أما حجر كنجنامه فإنها كتابات حجرية من العهد الأخميني أيضاً (قبل الميلاد) ومحفورة على جبل الوند بالخطوط الثلاثة الفارسية القديمة، والعيلامية، والبابلية في ثلاث فقرات من عشرين سطراً، وهي من آثار الملك داريوش وخنايار حيث كتب فيها نسب الملوك وإيمانهم بالإله (أهورا مزدا).

ـ **الأسد الحجري**: ومن معالم المدينة تمثال الأسد الحجري المنصوب في إحدى ساحات المدينة، وهو بقايا أسدين كانا منذ عهد الأخمينية منصوبين على أبواب المدينة للزينة، طول كل منهما متران ونصف المتر، وقد اشتهر عنهما القصص والأساطير، وجاء ذكرهما في أكثر كتب الجغرافيا العربية. قال محمد بن أحمد السلمي قصيدة هذا مطلعها:

ألا أيها الليثُ الطويلُ مُقامُه
على نُوب الأيام والحدثان
أقمتَ فما تنوي الرواح بحيلةٍ
كأنكَ بوّاب على همذان

وقد أراد أحد الخلفاء العباسيين، وهو المكتفي، نقلهما إلى بغداد فامتنع الناس عن ذلك لاعتقادهم أنهما طلسم لحفظ المدينة. وعندما سيطر الديالمة سنة (٣١٩هـ) على همذان بقيادة مردآويج أنزلهما وكسرهما، ولم يبق من أحدهما إلا الجسم الأصلي المنصوب في إحدى ساحات المدينة.

ـ **آثار قصر هكمتانا وتل المصلى**: تقع آثار قصر هكمتانا على تلال تقع في وسط المدينة الآن، وهي من المناطق الأثرية المهمة، وقد تم العمل على التنقيب فيها واكتشاف ما فيها من الآثار الباقية للألف الأول قبل الميلاد، ووسائل أثرية من العصور المادية والأخمينية



مناظر طبيعية



مقبرة العلويين



مغار علي صدر في همذان

والساسانية، ويُقال: إنها كانت كنزاً للملوك السابقين. وفي شرق همذان آثار باسم تل المصلى ويبدو أنها آثار (معبد ديانا) أو (أناهيتا) المشهورة قبل الإسلام.

ـ **أسواق همذان:** لقد كانت همذان مركزاً تجارياً منذ عصر كورش الكبير (٣٥٧ ق.م). في مجموعة ألواح بابل الطينية التي اكتشفت في القرب من بابل - في العراق - هناك لوح طيني تدل كتابته على أنها كتبت في أكباتان (اسم همذان القديم)، وهي حسابات مالية لأناس أخذوا قرضاً مالياً من أحد تجار بابل(٢٨).

وحسب معجم البلدان فإن همذان كانت من أكبر المدن الجبلية، وفيها أسواق عظيمة، ولكنها أحرقت ودمرت بعد حملات المغول (٦١٨هـ).

وفي القرن الحادي عشر يصف أولياء جلبي في مذكراته همذان بأنها كانت مركزاً تجارياً رأى فيها تجاراً من الهند والسند والروم والعرب والعجم واليهود، وفيها من كل الصناعات والمحاصيل(٢٩).

وتنتشر الأسواق والأجنحة الخاصة في أسواق همذان، فهناك سوق الحدادين، وسوق السكاكين، وسوق الصاغة، وسوق السجاد، والنجارين، والصفارين وغيرها من الأسواق، مما يعكس حجم العمل التجاري فيها، والسوق القائم الآن مبني على الطراز المعماري الإسلامي، ويشتمل على محال وخانات وسراي.

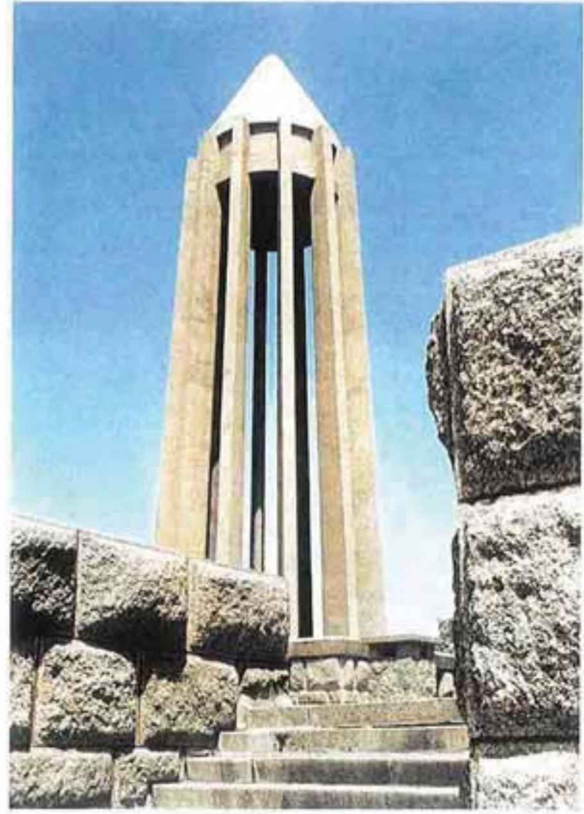
ـ **مغار علي صدر:** بسبب وقوع همذان في منطقة جبلية فإن هناك عدداً من الكهوف والمغارات في المنطقة، إلا أن مغار علي صدر هو الأكثر جمالا وروعة لطبيعة مناظره، وهو من أجمل المشاهد السياحية اليوم، ويقع شمال همذان، وكبير جداً، ويحتوي على بحيرة مختلفة الأعماق تصل إلى ١٤ متراً، وطرق مائية ملتوية

وطويلة تزينها قناديل طبيعية بديعة الجمال، يمكن للزائرين التمتع برؤية مناظرها، وهم يتوغلون عدة أكيال في أعماق المغار باستخدام الزوارق المائية، كما يمكن للزوّار التمتع برؤية الماء الصافي الذي يصل أحياناً إلى رؤية عمق عشرة أمتار.

أما جدران الكهف وقعره فهما مزيّنان بكثير من قناديل كاربونات الكالسيوم المتبلورة بأشكال جليدية بيضاء تتدلى من السقف والجدران، ورسوبات بيكاربونات الكالسيوم في القعر الذي لا تمنع رؤيته المياه الصافية، بل تزيده جمالاً، بالإضافة إلى الأعمدة الصخرية الطبيعية التي كأنها نُحتت على شكل حيوانات أو هياكل منوعة. وهناك الجزر البديعة الجمال التي ظهرت وسط المغار.

وبسبب انعدام ضوء الشمس فليس هناك أيّ أحياء مائية.

ويعدّ هذا المغار من أطول الكهوف والمغارات في العالم حسب تصريح باحثين من جامعة ستراسبورغ الفرنسية. ويقع تحت جبل متوسط يرتفع ٢١٨٠م فوق سطح البحر، ويتغذى من المياه الجوفية، ودرجة حرارته **ثابتة على ١٢ درجة طوال العام.**



من المعالم الهندسية في همذان



كتابات مسمارية على حجر بيستون



من مشاهير همذان

بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات

ولد بديع الزمان في همذان سنة ٣٥٨هـ، وقضى طفولته وفتوته في همذان حيث تلقى علومه. وفي سنة ٣٨٠ هـ انتقل بديع الزمان إلى هراة، واتصل بالصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة ابن ركن الدولة ثم أخيه فخر الدولة في عهد الدولة البويهية، فأعجب الصاحب بذكائه، وجعل له مكانة في مجلسه. ثم قصد بديع الزمان جرجان حيث خالط علماءها وهم من الإسماعيلية، ومنها انتقل إلى نيسابور سنة ٣٩٢هـ فدخلها «ولا حيلة إلا الجلدة ولا بردة إلا القشرة»، على حد وصفه في إحدى رسائله، بعد أن دهمه اللصوص في الطريق، وسلبوه جميع ما ملكت يداه. وفي نيسابور جرت المناظرة بين الهمذاني وأبي بكر الخوارزمي، وهي المناظرة المشهورة التي ورد وصفها في كتاب «يتيمة الدهر» للثعالبي. وفي نيسابور أيضاً بدأ بديع الزمان كتابة مقاماته، ثم لم يلبث الهمذاني أن غادرها لينتقل متجولاً في بلاد خراسان وسجستان وغزنة وكرمان حتى استقر في هراة، وفيها تزوج ابنة أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي. وقد توفي الهمذاني مسموماً سنة ٣٩٨هـ وقد أربى على الأربعين سنة.

وتذكر بعض المراجع عن موته أنه - على ما ذكر الحاكم أبو سعيد عبدالرحمن بن دوست معلقاً على آخر رسائل الهمذاني التي جمعها - : «مات (بديع الزمان) من السكتة وعمل دفنه فأفاق في قبره وسُمع صوته في الليل. وأنه نُبش فوجدوه وقد قبض على لحيته ومات من هول القبر»!

وينقل أهالي القرية المجاورة أن مياه هذا المُغار كانت معروفة منذ عهد السلاجقة لكونه خزاناً للمياه، إلا أن أول اكتشاف لأعماق هذا المغار الذي يمتد عدة أكيال كان عام ١٩٦٢م عندما تسلل إليه فريق من متسلقي جبال همذان، واكتشفوا أعماقه؛ وفي عام ١٩٧٤م جاء فريق ألماني لدراسة المغار، ومنذ عام ١٩٩٠م أسست أول شركة سياحية لتقديم خدمات للسيّاح، وهيأت الوسائل اللازمة من مداخل وإنارة وقوارب لدخول السيّاح إلى أعماق هذا الكهف المائي الذي يعدّ من الكهوف المائية المثيرة، ويؤمّه كثير من السيّاح، خصوصاً من دول الخليج العربي.

الحرف والصناعات

إلى جانب الزراعة والرعي والتجارة، تنتشر في همذان مجموعة من الصناعات والحرف اليدوية التي تكشف عن الذوق والفنون التي يمتاز بها أبناؤها.

- السجاد الهمذاني والساروقي: لكل مدينة في بلاد فارس نوع خاص من السجاد من حيث الشكل والألوان والحياكة، وتعدّ همذان من المراكز الأساسية - إلى جانب أصفهان وقم وتبريز ونائين - في إنتاج السجاد، ولكونها ملتقى الطريق التجاري في غرب إيران، فقد تحولت قراها إلى مراكز لإنتاج السجاد. وهناك اليوم آلاف العوائل في قرى همذان تقوم بإنتاج السجاد، وهذا التنوع والكثرة جعل لكل قرية أو مجموعة قرى طابعها الخاص وألوانها المعينة، حتى إن بعض أنواعها حصلت على شهرة عالمية في هذا المجال.

وعندما أراد الشاه طهماسب الصفوي (ق١٢) أن يهدي سجاداً خاصاً إلى السلطان سليمان العثماني، طلب أولاً من السلطان القياس الخاص بجامع السليمانية في إسطنبول، ثم أمر حياكتها في همذان، وذلك لشهرتها في السجاد(٣١).

وأصبحت همذان في القرن التاسع عشر من أشهر مراكز تصدير السجاد إلى أوربا وأمريكا.

- صناعة الجلود: بسبب كثرة المراعي والأغنام، أصبحت هذه المدينة من المراكز الأساسية لإنتاج الجلود وصناعتها وتصديرها إلى أوربا، وقد كان فيها ٤٠٠

همذان



همذان بالذال المعجمة، مدينة من عراق العجم في كور الجبل، كبيرة جدًا فرسخ في مثله، محدثة إسلامية. ولها أربعة أبواب، وهي كثيرة المياه والبساتين والزروع.

وقيل: بل هي قديمة البناء، ولذلك قالوا: بهمذان باب يعرف بباب الأسد لأن أسدًا من حجارة كان على قرب من هذا الباب على الطريق المؤدية إلى الري، وكان هذا الأسد كأعظم ما يكون من الخلقة، قد صوّر أحكم تصوير وأتقن أتمّ إتقان، وكان أهل همذان يتوارثون في أخبارهم عن أسلافهم مستفيضًا فيهم، أن الإسكندر لمّا أتى همذان منصرفًا عن بلاد خراسان وصادرًا من مطافه بالهند والصين وغيرهما، جعل ذلك الأسد طلسمًا للمدينة وسوّرها، فكانوا يرون أن خراب البلد وفناء أهله يكون عند كسر ذلك الأسد أو قلعه، فكان أهل همذان يمنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة أن يمسّوا ذلك الأسد ويكسروا منه شيئًا، ولم يقلب لعظمه وصلابة حجره إلا بالخلق الكثير من الناس، فبقي كذلك حتى كان من أمر مرداويج الجيلي ما كان، فكسرت جيوشه ذلك الأسد وقلبوه، فكانت الدبرة لأهل همذان عليهم فقتلوهم كيف شاؤوا، ثم عاودهم مرداويج بنفسه في نحو سنة عشرين وثلاثمئة فغلب على همذان واستأصل أهلها ونساءها وذريتها سبيًا، وديارهم تخريبًا وإحراقًا.

وفتح مدينة همذان بديل بن عبدالله بن ورقاء سنة ثلاث وعشرين، وفتح الري وأصبهان.

وهمذان شديدة البرد، وقال الشاعر:

همذان متلفة النفوس ببردها
والزمهرير، وحرّها مأمونُ
غلب الشتاء بصيفها وخريفها
فكأنما تموزها كانونُ

ونزل التتر على همذان سنة ثمان عشرة وستمئة فلم يزل أهلها يقاتلونهم حتى فنيت الأقوات فضعفوا، وكان رئيس همذان عزالدين بن علاء الدين الحسيني، فتقدم بين أيدي الناس للقتال: معه الفقهاء والصالحون، فقتلوا من التتر خلقًا، ثم إن الرئيس المذكور أيقن بالغلبة، فدخل من سرداب كان قد أعده، فنفذ إلى خارج المدينة في وادٍ غامض وشعاب مضلّة. فخرج منه إلى قلعة له في الجبل جعل فيها ذخائره وأهله، فلم يستطع أحد عليه، وبقي أهل همذان بعده في حيرة. إلا أنهم أجمعوا على القتال والشهادة، إلى أن دخلها التتر عنوة بعد أشهر. في رجب من السنة المذكورة، فقاتلهم أهلها داخل المدينة قتال من باع نفسه لله تعالى. حتى بطل حكم السلاح من الزحمة. فاقتتلوا بالسكاكين، فقتل من الفريقين ما لا يحصيه إلا الله تعالى.

وتكاثر التتر واشتدوا بالأمداد المستريحة الواصلة إليهم في كل يوم، فأفنوا أهلها قتلاً. ثم ألقوا النار في المدينة وساروا إلى قلعة الرئيس، فرأوا أن مرامها يصعب، فراسلوه فاتفق معهم على أن يعمر البلد بمن بقي في أطراف الجبال والقلاع، ويكون واليهم على تلك الجهة، ويحمل لهم الأموال، فقنعوا بذلك.

وخبر الهمذاني مع أبي جعفر المنصور، وسقوط السهم العائر بين يديه قد تقدم في رسم مدينة المنصور من حرف الميم.

• الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبدالمنعم الحميري، مكتبة لبنان، بيروت، ص٥٩٦ (همذان). ط١، ١٩٧٥م.

محل لبيع وإنتاج الجلود في بداية هذا القرن، ولكن بدأت هذه الصناعة تتحول إلى المصانع الكبيرة، وأول مصنع للجلود أُسّس في هذه المدينة كان في عام ١٩٣٣م خارج المدينة(٣٢).

ـ الخزف والفخار: تشتهر همذان ـ خصوصًا منطقة لعلجين ـ بصناعة أنواع الفخار والخزف التي تُصدَّر إلى المدن الأخرى، وحسب رواية الأقدمين، فإن هذه الصناعة انتقلت من خلال مهاجرين من هذه المنطقة هاجروا إلى الصين بعد الهجوم المغولي على همذان، وبعد رجوعهم نقلوا صناعة الفخار على الطريقة الصينية وتوسعوا فيها، وأصبحت اليوم جزءًا من الهدايا التي يشتريها السيّاح.

همذان اليوم

تقع على بعد ٣٣٠كم من العاصمة طهران، وتتوسط المدينة ساحة سداسية كبيرة هي إحدى معالمها التاريخية التي تمتاز بمعماريتها الجميلة في الوقت الحاضر، وتتفرع من هذه الساحة التي صممت على شكل سداسي، ستة شوارع متناظرة. وقد شهدت المدينة في القرن الأخير حركة إعمار وإعادة بناء عظيمة تكاد تطغى على طابعها التاريخي. ولكن بالإمكان مشاهدة المناطق والمحلات القديمة التي تحتفظ بأسمائها وطابعها التاريخي، إلى جانب شوارع عريضة وحدائق ومتنزهات جميلة ومعالم سياحية وتاريخية.

ويسكن فيها اليوم أكثر من نصف مليون نسمة، وفيها نحو ٣٦٠ مسجداً، وخمس مدارس شرعية، وخمسة مراكز دينية للأقليات الدينية (مسيحيين وزرادشت) بالإضافة إلى ٤٤ متنزهاً سياحياً.

وما زالت همذان مصيفاً لأهالي خوزستان وشوش - جنوب إيران - الذين ينتقلون إليها في الصيف هرباً من حر الشمس، كما كانت مصيفاً للملوك والأمراء سابقاً.

وانتقلت إليها الصناعات الحديثة والمعامل الكبيرة، وتضم في جنوبها مطاراً واسعاً، وجامعة كبيرة باسم جامعة أبي علي بن سينا وهي في طريقها نحو النمو والتوسع.

المراجع والهوامش

١. جاء ذكر المدينة في التراث العربي على الوجهين (همدان) ومعربها (همذان)، أما الفرس فكانوا يلفظونها همدان وهكذا تطلق اليوم أيضاً.
٢. وينسب هذا الشعر إلى عين القضاة عبدالله بن محمدالميانجي الهمذاني والعقان: بقية اللبن في الضرع، معجم البلدان، ج١، ص١٣٥.
(٣ - ٥) - المصدر السابق، ج٨، ص ٤٨٣ و ٤٨٤.
٦. همدان (بفتح الميم) اسم مدينة في غرب إيران، وهمْدان (بسكون الميم) اسم قبيلة في اليمن، وفي كتب التاريخ والرجال تكتب بشكل واحد، ولذلك وقع الخلط بين من ينسب إلى همدان المدينة ومنْ ينسب إلى همْدان القبيلة، لذلك نطق بها العرب بالذال: همذان لأمْن اللبس.
٧. الطريحي، مجمع البحرين، مادة همد.
٨. انظر:
- ابن خلكان، وتاريخ بغداد.
- والفيروز أبادي، قاموس اللغة.
- النويري، منتهى الأرب.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان.
- ابن الفقيه، أخبار البلدان.
٩. مهر الزمان نوبان، نام مكانهاي جغرافياي در بستر زمان (أسماء الأماكن الجغرافية تاريخياً)، طهران ١٩٩٧م، ص٥٠١.
١٠. هيرودوت، الكتاب الأول، الفقرة ٩٨/٩٩.
١١. عبدالحسين نهجيري، جغرافياي تاريخي شهر (الجغرافيا التاريخية للمدن)، نشر المدرسة، طهران ١٩٩١م، ص٢٢٧.
١٢. مقدمة مراغة اي، تطبيق لغات جغرافياي قديم وجديد، إيران - طهران ١٩٨٥م، ص٧٥.
١٣. بيرنيا، إيران باستان.
١٤. وهذه القصة ينقلها ياقوت الحموي في معجم البلدان، ولكن ينسبها إلى بخت نصر ملك بابل، ويروي مثيلها عن الإسكندر.
١٥. البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٠٦، وقال الواقدي في فتح جرير نهاوند في سنة أربع وعشرين، ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان ج٢، ص٤٨٢ إن المغيرة بن شعبة (ت نحو ١٢٩هـ) ضمها إلى كثير بن شهاب والي الدينور.
١٦. هو عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (نحو ١٢٩هـ).
١٧. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٨٦.
١٨. معجم البلدان، ج٨، ص٤٨٥.
١٩. حمدالله مستوفي، تاريخ كزيده.
٢٠. يشك بعض الباحثين الإيرانيين بأصالة هذه المقبرة وانتسابها إلى اليهود؛ فمنهم من يعتقد أنها تابعة للفرقة المانوية (ذبيح بهروز، هكمتانه ص ١٨٢)، بعضهم الآخر يعتقد أنها مقابر السلاطين السلاجقة: طغرل، والسلطان محمود، خصوصاً أن هناك مقبرة بجنوب أصفهان باسم (أستر ومرداي)، مما يدل على أنه ليس هناك دليل على أنها لليهود سوى الشهرة (صابري همداني، تاريخ مفصل همدان، ج١، ص٢١٠).
٢١. أولياء جلبي سياحتنامه سي، طابعي أحمد جودت (إستنبول، ١٣١٤هـ)، ج٤، ص٣٤٦ - ٣٥٤.
٢٢. هوجو جروته، سفرنامه جروته (رحلة جروته)، ترجمة مجيد جليل وند، شركت نشر مركز (طهران ١٩٩٠م)، ص١٨٥.
٢٣. معجم البلدان، ج٨، ص٤٨٣.
٢٤. المصدر السابق، ج١، ص١٣٦.
٢٥. تلفظ بالفارسية بيستون Behistor وقد وردت في المصادر العربية «حجر بهشتون» أو بهستون».
٢٦. معجم البلدان، ج٢، ص ٤٠٥.
٢٧. سوف ينشر كاتب المقال دراسة موسعة عن هذا الحجر والكتابة المسمارية وكيفية اكتشافها في مجلة (الفيصل) مستقبلاً - إن شاء الله -.
28 - History of the persian Empere, Olmstead, P. 58
٢٩. أولياء جلبي سياحتنامه سي، طابعي أحمد جودت، (إستنبول، ١٣١٤هـ)، ج٤، ص٣٤٦.
٣٠. سيسيل إدوارز، قالي إيران (السجاد الإيراني)، ترجمة ميهن دخت صبا، نشر فرهنكسرا، طهران ١٩٨٩م، ص١٠٣.
٣١. شيرين حور إسرافيل، فرش همدان (السجاد الهمداني)، طهران، ١٩٩٦م.
٣٢ - ربيع بديعي، جغرافياي مفصل إيران (جغرافية إيران المفصلة) نشر إقبال، طهران ١٩٩٣م، ج٣، ص٤٠٤.

لماذا لا نأخذ بالأرقام الأوربية في نظامنا الكتابي؟

صالح إبراهيم الحسن
الرياض - السعودية

دخل العالم العربي العصر الحديث وهو مثقل بأعباء قرون من الضعف والهزيمة المدنية، وأمسك بخناقه زمرة من أشرس الأعداء، أرغموا شعوب الأمة على الاستسلام، فكان الاستعمار الأوربي للعالم العربي، لكن هذه الهزيمة العسكرية كانت في السلاح والمدنية، ولم تكن هزيمة في الهوية والحضارة، وبعبارة أخرى فإن النفوس لم تخضع، وإن خضعت الأبدان، لهذا فإن الشعوب العربية لم تستكن، بل حملت السلاح، حتى خرج المستعمر العسكري إلى غير رجعة.

كانت هذه حال الأمة العربية حتى بعد منتصف القرن العشرين، عزيزة في هويتها الإسلامية، معتزة بحضارتها العربية السامقة، حتى وإن كانت مهزومة عسكرياً ومدنياً. لكن الحال تغير في الثلث الأخير من هذا القرن، إذ كثف المستعمر القديم حملاته الثقافية لاختراق الأمة في حضارتها وفكرها، ذلك «أن الأبدان تنحني أمام المدافع في حين تظل القلوب تغذي نار الحقد والرغبة في الانتقام»(١) حسب تعبير هاردي مدير التعليم إبان الحماية الفرنسية للمغرب. فقامت الحملات الثقافية بتأدية مهمتها بصورة فاقت جهود العسكر والمدافع. وفي حين لم يسمع إبان الاحتلال العسكري من يؤيد المستعمر في هجمته، أو يفت في عضد المقاومين، سمعنا إبان الغزو الثقافي من يمقت الحضارة العربية، ومن يستنكف عن رموزها الثقافية ومعطياتها الفكرية. فتنادى أقوام من العرب بأنساب وقوميات عفاها الزمن، ورأوا في العربية الفصحى الجامعة سبب تخلفهم، وأرادوا لهم لهجات إقليمية، لا تكاد تفصح بين أبناء المدينة الواحدة، وزهدوا في الحرف العربي، ورأوا في كتابة العربية بالحروف اللاتينية ما ينتشلها من ضعفها، على حد زعمهم. وسلاسل الانتكاسات الثقافية والفكرية لا تنتهي و«أخطار طفيلية المزاج تتحرك وراء أقنعة كثيرة حتى لا يفطن إليها الحراس، وأحياناً كثيرة ترتدي هي ملابس الحراس!»(٢).

وإذا كانت بعض الدعوات قد انـدحرت لانكشاف أمرها، أو توارت إلى أجل! فإن دعوى الأخذ بالأرقام الأوربية - أو العربية كما يقول دعاتها - استشرى خطرها، وعلا سهمها، حتى صدقها كثير من عقلاء الأمة بعد أن شبه لهم فيها، وأخذت أغلب وسائل الإعلام تروج لهذه الهجمة الضارية على أرقامنا، وتعلي من شأن الأرقام الأوربية. ولعل هذه الدعوة تتميز من غيرها بلبس قناع العروبة، وارتدائها مسوح الإخلاص للهوية العربية؛ لذلك كثر التباكي من دعاتها على الحق الذي ترك نهباً للغرب، ولم نشاركهم في الأخذ به! وكيف لنا أن نتنازل عن اختراع عربي «يسمى بالأرقام العربية في القارات كلها باستثناء الأمم العربية الشرقية الذين يستعملون الأرقام الهندية، أي الأجنبية» على حد تعبير الدكتور محمد الفاسي(٣)! وهذه هي حجج الداعين إلى هذا التوجه التغريبي، دموع على العروبة للترويج لبضاعتهم، ولا غيرها.

إن أول مرة يتم فيها بحث هجر الأرقام العربية المشرقية

كان عندما عقد أول مؤتمر للتعريب في المملكة المغربية عام ١٩٦١م، فقد طرح رسمياً فكرة العمل على توحيد الأرقام بين مشرق العالم العربي ومغربه. والباحث في أدبياتهم عن أسباب هذه الدعوة يتبين له أنها أسباب واهية لا تقوم أمام العقل والمنطق والبحث المتأني الذي يسعى إلى الكشف عن الحقيقة والأخذ بها، وإنما هي أسباب تحف بها الأهواء، فتظهرها أمام الملأ على أنها هي الحقيقة. وعامة الناس، وكثير من المثقفين يجدون في التعلق بما أخذ به الغرب نوعاً من التمدن الذي لم يبلغوه بوسائله، ولم يحققوا أسبابه. كما أن التسمية الاصطلاحية التي أطلقها الغرب على الأرقام، حين أسماها الأرقام العربية تريح الضمائر القلقة لهذه التبعية. وبصفة عامة، فإن الأسباب الداعية إلى التحول لا تكفي لإحداث هذه النقلة في نظامنا الكتابي، الذي ستتبعه تحولات كبيرة قد تهز كثيراً من مقوماتنا الثقافية.

شكل يوضح اتجاه الكتابة من اليسار إلى اليمين في الأرقام الأوربية، ومن اليمين إلى اليسار في الأرقام العربية

الاتجاه المتياسر

ولكن قد يرد سؤال ملح، لماذا لا نأخذ بما أخذ به العالم في العصر الحديث؟ أو كما يقول عبدالعزيز بنعبدالله: «فإن الوطن العربي في حاجة الآن إلى أن يوحد اختياراته مع العالم الحديث في هذا المجال»(٤).

إن الأخذ بما أخذ به العالم الغربي سيجرنا إلى مخاطر متعددة، وإلى أمور لا تحمد عقباها. وتكمن خطورة الأخذ بالأرقام الأوربية في أمر أساسي يتعلق بتكوينها وطريقة رسمها، وارتباطها فكرياً وبصرياً بالحروف اللاتينية ولغاتها، فهي يسارية الاتجاه في رسمها، تبدأ من اليسار، وتتجه إلى اليمين في أغلب أشكالها وطرائق رسمها، وجسمها يستلقي إلى جهة اليمين، وهذا شبيه بأساليب كتابة الحروف اللاتينية، ويتسق معها.

ومما هو مرتبط بالتياسر في رسم جسم الرقم، التياسر في بدء الكتابة، والخطر في هذا أكبر من أي خطر آخر، لأن الغرب يكتب لغاته من الجهة اليسرى، فيبدأ السطر لديه من اليسار وينتهي في اليمين، وقد فعل الشيء نفسه في كتابة أرقامه، ليتم التجانس في الاتجاه. وقد تغافل دعاة التحول إلى الأرقام الأوربية عن هذه الناحية على خطورتها؛ لما يترتب عليها من مشكلات في كتابة الحدود والمعادلات الرياضية، وكذلك لتعارضها مع النسق العربي في الكتابة والقراءة، فنجد أن المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس توصي أجهزة التقييس بالعمل على استخدام هذه الأرقام « حيث ما لزم الأمر مثل الجداول والمعادلات الكيماوية والحدود الرياضية»(٥) ولم تشر إلى قضية الاتجاه وكيفية معالجة مشكلة الحدود الرياضية والرموز التي تختلف مدلولاتها تبعاً لاتجاهها. مع أن هذه النقطة بالذات قد أثيرت في وقت مبكر من تاريخ الدعوة إذ تطرق إليها المجتمعون في حلقة تونس(٦) التي عقدت في ١١ - ١٤ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٦٣م لتوحيد الأرقام العربية، واختلفوا في طريقة تنفيذ التوصية بالأخذ بهذه الأرقام، فقد اختلفوا حول اتجاه كتابتها فهل تكتب من اليمين إلى اليسار أم العكس؟ وهذا يثبت بالدليل القاطع أن الدعوة من أساسها دعوة للتغرب لا للتعرب.

وكما أن الأرقام الأوربية اكتسبت سمات الخط اللاتيني واتجاهه في الكتابة فقد أصبحت ملازمة له في الأذهان والوجدان، لصيقة به، فلا يتصور هذا الرقم إلا وهو مجاور

لكتابة أوربية، وفي نص أجنبي، وما يرى الرقم الأوربي إلا ويتبادر إلى الذهن نطقه الإنجليزي أو الفرنسي حسب اللغة الأجنبية السائدة في البلد العربي. وعلى العكس منه الرقم العربي المشرقي فإنه لصيق في الأذهان بالسياق العربي، ولا يتبادر إلى الذهن عند مرآه إلا النطق العربي لهذا الرقم.

ومما يزيد الأمر سوءاً أنه في موجة التبعية أخذت بعض البلدان العربية تستعمل في تمييز الأعداد حروفاً لاتينية مما أكّد قراءة الرقم بنطقه واسمه الأجنبي، فأصبحت ٤كم تكتب Km٤ و٢٠س تكتب h٢٠.. وهذا في نص عربي كامل لا علاقة له بلغة أجنبية، وهذا سيؤدي أخيراً إلى حتمية نطق اسم الرقم باللغة الأجنبية ما دام التمييز قد كتب بتلك اللغة.

تبعات التحول إلى الأرقام الأوربية

ومن خلال هذا كله يمكننا أن نوجز أبرز المخاطر المنظورة الناتجة من مثل هذا التحول إلى الأرقام الأوربية، أما ما يجدّ من تبعات لمثل هذا التحول لو حصل - لا قدر الله - فذلك أمر ليس في وسعنا التنبؤ به لشموليته، وبعد مداه وأثره في حياتنا الثقافية والمعاشية، كما لا نود الخوض فيه حتى لا يغلبنا التشاؤم:

الأخذ بالتياسر في كتابة المسائل الحسابية والحدود الرياضية سيجر وراءه الكثير من صور التياسر الأخرى، مثل تصميم الجداول باتجاه يساري، إذ تبدأ من الجهة اليسرى متجهة إلى الجهة اليمنى، وكذلك الأخذ بالنظام الغربي في كتابة التاريخ

- في حالة التحول إلى الأرقام الأوربية في الكتابة فإنه سيحدث ملابسات تنشأ من كتاب الحدود الحسابية مثل (-، ‹، ›..) نتيجة لاختلاف اتجاه الكتابة، وهذا يؤدي إلى إعطاء نتائج خاطئة عند حل المسائل الرياضية فمدلول ٦÷٢، ٧-٣، ٨‹٦ واضح لا لبس فيه، لكن كتابته بالأرقام الأوربية يجعلها ملبسة لدى القارئ العربي، حيث تختلف النتيجة حسب الاتجاه المتياسر المرافق لتلك الأرقام، كما هو معروف عنها في الكتابة الأوربية للغاتها، حيث تكون المسائل العربية السابقة في صورتها الأوربية كالآتي: 2÷3,6-7و،8›6 وهو إن كان واضحاً لدى القارئ الغربي لارتباطه باتجاه لغته وكتابتها، فإنه يشكل صعوبة ولبساً كبيرين لدى القارئ العربي الذي يكتب لغته من الجهة اليمنى. ويصور أثر الشعور بالاتجاه في الطالب عالم الرياضيات العربي الدكتور أحمد سعيدان - رحمه الله - حين يقول(٧):

«جاءتني طالبة تسأل باستحياء: هل X-4 هي ٤ - س أم س - ٤؟ ولم يغنها جوابي، فهي تقرأ كما أعلمها، ولكنها تسبق إلى التفكير كما تألف». وتؤكد خطورة هذا الاتجاه في حصول اللبس لدى القارئ لجنة الأرقام في كلية العلوم، قسم الرياضيات في جامعة الملك سعود، فهي تبيّن صعوبة التأليف باللغة العربية في مثل هذه الازدواجية في الاتجاه، حين تقول(٨): «إن عملية التأليف باللغة العربية ستصبح أكثر صعوبة بالنسبة إلى كتابة الحدود الحسابية، إذ إن الطالب سيتعود قراءة الحدود من اليمين إلى اليسار، ثم يفاجأ بأنه يجب أن يعكس طريقة قراءته عند استعانته بالمصادر الأجنبية مع بقاء الأرقام ذاتها، وهذا اللبس لا يحصل في الوقت الحاضر لاختلاف الأرقام الهندية المستعملة عن الأرقام الغبارية (حسب المصطلح الشائع)».

- وعندما يتمادى دعاة التحول إلى الأرقام الأوربية، ويأخذون بما صرحوا به منذ سنة ١٩٦٣م، ويكتبون مسائلهم الرياضية من الجهة اليسرى كما يكتب بها الغرب، فإن هذا سيؤدي إلى فقدان التجانس في كتابة اللغة العربية وقراءتها، إذ القارئ يقرأ مبتدئاً السطر من الجهة اليمنى كما اعتاد في لغته، ثم فجأة ينتقل إلى الجهة اليسرى ليبدأ قراءة المسألة الرياضية، ويشير إلى هذه المعضلة في فقد التجانس الدكتور أحمد سعيدان - رحمه الله - إذ يقول(٩) «فماذا يجري إذ نقرأ الكلمات من اليمين إلى اليسار، ونقرأ ما بينها من صيغ رياضية من اليسار إلى اليمين؟ إن ما يجري لي - وأقولها بصدق - شعور بالدوخة، إذ مضى نظري يمنة ويسرة، في قفزات بهلوانية، وإن ما جرى لطلابي، وقد علمته علم اليقين، التباس عقّدهم حتى أجفلوا من الرياضيات، وفقدوا الشعور بالاتجاه».

- إن الأخذ بالتياسر في كتابة المسائل الحسابية والحدود الرياضية سيجر وراءه الكثير من صور التياسر الأخرى، مثل تصميم الجداول باتجاه يساري، إذ تبدأ من الجهة اليسرى متجهة إلى الجهة اليمنى، وكذلك الأخذ بالنظام الغربي في كتابة التاريخ، بحيث تكون بدايته من الجهة اليسرى لينتهي إلى الجهة اليمنى.

ـ في ضوء استمراء الأخذ عن الغرب في تقاليده الثقافية وأساليبه، واستعمال مختصراته واصطلاحاته، فإن كتابة الأرقام بصورتها المستعملة في أوربا سوف تؤدي إلى اقتباس رموزهم اللاتينية ومختصراتهم في الأطوال والأوزان والأحجام والوقت.. وبدل أن تكتب الرموز العربية مثل (ملم، سم، م... وطن وكجم، و«س» للساعة و«د» للدقيقة و«ث» للثانية) سوف نجد كتابتنا العربية قد مزجت بمثل 25CM (20KG, 3T, 30MIN, 60SS) في خليط متنافر في الكتابة والأصوات الأجنبية.

ـ ونتيجة لارتباط الأرقام الأوربية بنطقها في لغاتها الغربية، وكذلك لالتصاقها بما يلازمها من رموز بالحروف الأجنبية السالفة، فإن النطق العربي لهذه الأرقام سيختفي، وسيحل محله النطق الأجنبي للرقم (إنجليزي أو فرنسي) فلا يمكن لأحد مهما كان التزامه النطق العربي أن يعزل الرقم عما يلاصقه من حروف أجنبية، فينطق الاسم العربي للرقم، في حين ينطق ما يميزه نطقًا إنجليزيًا أو فرنسيًا.

ـ وأخيراً فإن هذا التغيير ليس له مسوّغ مقنع كما ذكرنا «يتناسب وضخامة عملية التحويل، إذ إن عملية التغيير شيء كبير، وحدث مهم يلفت النظر، لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة والاقتناع بإخفاق النظام المعمول به»(١٠). وهذه الضرورة لم تحصل ولم تقتنع بها الجهات العلمية العربية، إذ إن مجلس الجامعة العربية المنعقد في عام ١٩٦٥م الذي وافق على توصيات حلقة تونس عام ١٩٦٣م عرض التوصية باستخدام الأرقام الأوربية على جهات علمية عربية كثيرة ولم تقدم رأيًا نهائيًا فيها؛ لعدم توافر القناعة الكاملة بهذا القرار حتى الآن(١١). وسوف يفتح هذا التحول المجال على مصراعيه على دعوات مستقبلية تمس كرامة الأمة في إسلامها وعروبتها «وهي خطوة من خطوات التغريب للمجتمع الإسلامي تدريجيًا»(١٣). وتلك أمور بدت بوادرها في مناهج المملكة المغربية.

التجربة المغربية

وفي محاولة لرصد خطورة هذا التغيير، وما يمكن أن يؤدي إليه، ولإثبات ذلك من خلال الواقع لا التوقعات من خلال تجربة عربية، قمنا بدراسة لعينة من كتب الرياضيات في المملكة المغربية (انظر الصور المرافقة من الكتب المغربية). والمغرب من الدول التي أخذت بهذا الاتجاه، وخطت فيه خطوات واسعة، واستمرأت الأخذ به من دون حدود، ويمكننا الإشارة إلى أبرز هذه السلبيات التي ظهرت في تلك المناهج في الأمور الآتية:

أولا: أخذ بالاتجاه الأيسر في كتابة المسائل الرياضية في وقت مبكر في الكتب المغربية فجاء في كتاب الرياضيات للسنة الأولى من التعليم الأساسي، إذ يبدأ بكتابة المسألة من الجهة اليسرى، وتتجه إلى الحل في الجهة اليمنى، وهذا هو المعمول به في الكتب الغربية، لا كما يكتب في الكتب العربية، ويلائم نظام الكتابة العربية، التي يكتب ويقرأ بها الطالب العربي، إذ تتجه الكتابة عامة ومنها المسائل الرياضية من جهة اليمين إلى اليسار.

لاحظ المثال الأول، وأكمل ملء الجدول :

3/2/89	3 فبراير سنة 1989
2/3/89	
9/7/88	
/ /	21 أكتوبر سنة 1989
31/8/99	
/ /	فاتح نونبر سنة 1920
/ /	18 نونبر سنة 1955
1/5/87	

نموذج من كتاب مقرر لمرحلة التعليم الأساسي في المغرب

كما أخذ بهذا الأسلوب في ترتيب الأعداد، فقد رتبت تصاعديا ابتداء من اليسار إلى اليمين. وقد أدى هذا النهج إلى الأخذ بالأسلوب الغربي في استعمال الحدود الرياضية إذ نأخذ بعلامة (‹) لأكبر، وعكسها لأصغر. وقد دعم هذا الاتجاه جميع الرموز الرياضية، فأخذ بالرمز الغربي للجذر.

ثانيا: استعمال رموز الوحدات بالحروف اللاتينية (الفرنسية) فاستعملت للمتر والسنتيمتر والمليمتر، فكتب لطالب السنة الثالثة الابتدائية: 10M, 10CM, 10MM، كما استعملت له أيضاً رموز الموازين بالفرنسية، فكتبت له الرموز T, KG, G, K بدل أن يكتب له: طن، و(كجم) للكيلو جرام، و(جم) للجرام.

واستمرئ الاندفاع في هذا الاسلوب، فاستعملت الحروف اللاتينية (الفرنسية) لتمثيل وحدات الوقت، فمثلت في كتب الطلاب في السنة السادسة الابتدائية بهذه الصورة: MIN,٣٠ 45S, 11H.

ثالثًا: تصميم الجداول بحيث تكون يسارية الاتجاه في رسمها، فتتجه الكتابة فيها، ومن ثم القراءة، ابتداءً من جهة اليسار إلى اليمين، وهذا موجود في كتب السنة الأولى الابتدائية.

رابعًا: تمثيل المجهولات ورموز المعادلات الرياضية بالأحرف اللاتينية منذ المرحلة الابتدائية، كما استعملت أيضًا لتسمية النقاط في الرسم الهندسي ابتداءً من السنة الأولى الابتدائية.

خامسًا: الأخذ بالنظام الغربي في كتابة التاريخ إذ يبدأ من الجهة اليسرى بكتابة اليوم يليه الشهر ثم السنة، وقد ظهر ذلك مبكرًا في المناهج المغربية فاستعمل في كتاب الرياضيات للسنة الثالثة الابتدائية، ولا شك أنه مستعمل بهذا الأسلوب ابتداءً من السنة الأولى، لأن هذا نظام عام للجميع، وليس مخصصًا لسنة دراسية معينة.

سادسًا: استعمال اللغة الفرنسية لعنونة الموضوعات الرياضية، وقد لوحظ ذلك ابتداءً من السنة السابعة من التعليم الأساسي.

سابعًا: عند قراءة الأرقام الغربية مع ما يكتنفها من رموز لاتينية للمجاهيل أو الوحدات أو الحدود، فإن المسألة تقرأ بلغة فرنسية كاملة، سواء كان ذلك للحرف اللاتيني (الفرنسي) نفسه أو الرقم المغترب (الأوربي)، فينطق باسمه الفرنسي لا العربي.

وفي هذه الأجواء المتغربة أهملت مصطلحات رياضية عربية عريقة مثل الزائد والناقص والقسمة (على) والضرب (في) والجذر التربيعي والتكعيبي، والأس والنسبة المئوية، وما إليها من مصطلحات عربية متأصلة في الرياضيات، إذ أخذ بنظيرها الفرنسي، اعتمادًا على هذا التحول في شكل الرقم، واتجاه كتابته، وكتابة الرموز، وبالطبع لن نسمع كلمة ساعة أو دقيقة مادامت كتبت للطلاب في بداية تنشئتهم على مثل 11H, 30MIN, 45S، بل سنسمع أسماءها الفرنسية. وهذا ليس تخمينًا أو استنباطًا، بل إن مخالطة إخواننا في المغرب العربي، وسماعهم يقرؤون مثل هذه النصوص يثبت ذلك.

ونود أن نؤكد أن هذه السلبيات قد برزت بشكل واضح في التعليم الأساسي. وهذا أمر ما كان متوقعًا، إذ كان المتوقع تحصين الصفوف الابتدائية عن الاتجاه التغريبي، لكن يبدو أن الأمر مستمر على أوسع نطاق، حتى عمت نتائجه السيئة، ولم يستثن منه الأطفال في تنشئتهم الأولى.

ومن خلال هذا العرض السريع لأبرز سمات هذا الاتجاه من خلال الكتب التعليمية في التعليم العام في المملكة المغربية يتبين خطر هذا التحول، إذ سنجد أنفسنا نتغرب، ونحث الخطا لترك كل ما هو عربي بدعوى «العودة إلى الأرقام العربية».

ولن يقصر هذا الخطر على دولة دون إخرى، لأن الطريق يؤدي إلى نتائج واحدة، وأمامي مثال يثبت هذا القول، وهو دليل صادر عن وزارة التخطيط كتبت أرقام الجداول بالأرقام الأوربية، مما أدى إلى الأخذ بالاتجاه المتياسر في جميع محتويات الصفحة.

فهل ما زلنا نريد التحول إلى الأرقام الأوربية؟!.

المراجع والهوامش

١. محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، ص١٨٩.
٢. أحمد موسى سالم، استخدام الأرقام الأوربية في الكتابة، مجله الأزهر، ج٤، س٤٦، ربيع الأخر ١٣٩٤هـ ص٣٦٨.
٣. الأرقام العربية الحقيقية، مجلة المنهل، ع٤٥٢، رجب ١٤٠٧هـ ص٤٠.
٤. اللسان العربي، الأرقام العربية، م١٦، ج١، ص١٠.
٥. تقرير المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس (العودة إلى استعمال الأرقام العربية الأصيلة) ضمن تقرير حول استعمال الأرقام العربية، ص٦٩.
٦. الأرقام العربية نشأتها وتطورها التاريخي، المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، ص٤٩.
٧. حول تعريب العلوم: مشاكل وحلول وأراء، مجلة مجمع اللغة الأردني، ع٢، شعبان ١٣٩٨هـ/يوليو ١٩٧٨م، ص١٠٢.
٨. في رسالة مؤرخة في ١٤٠٣/٥/٦هـ، ضمن «تقرير حول استعمال الأرقام العربية» ص٤٧.
٩. حول تعريب العلوم: مشاكل وحلول وأراء، مرجع سابق، ص١٠٢.
١٠. رأي الدكتور سليمان عبدالرحمن السليمان، الأستاذ في قسم الرياضيات، جامعة الملك سعود، في رسالة مؤرخة في ١٤٠٣/٥/٦هـ، ضمن «تقرير حول استعمال الأرقام العربية» ص٤٧.
١١. الأرقام العربية، نشأتها وتطورها التاريخي، مرجع سابق، ص٥٨.
١٢. من كتاب الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - إلى معالي وزير العدل، ضمن «تقرير حول استعمال الأرقام العربية»، ص٧.
١٣. أحمد مطلوب، الأرقام العربية، ص٢١.

الروح الجماعية في المجتمع العربي

أحمد صدوق صافي
السالمية - الكويت

من الثابت والأكيد أن الإنسان العربي يتمتع بعقل ذكي، وذهن متفتح، ربما تميز به من باقي الشعوب، وهذا ما يؤيده الواقع العملي، وما يشاهد في كل مكان من أنحاء العالم، على الرغم من الدعايات التي تحاول أن تحط من قدره، وتشكك في قدراته، بصفته فرداً من أفراد الدول النامية أو المتخلفة في رأيهم، وهو الذي يملك قدرةً على استيعاب الأفكار وتفهمها، والتعامل مع التقنيات الحديثة وتمثُّلها، ويستطيع التأقلم بسهولة مع البيئة الجديدة التي يحل بها، ومع المحيط الجديد الذي يعيش فيه.

ولعلك تلحظ هذه الخواص بوضوح عند المهاجرين العرب الذين يتركون وطنهم وأهلهم ومجتمعهم، ويعيشون في مجتمع جديد متطور، طلباً للعلم والمعرفة، أو سعياً وراء الكسب والحصول على لقمة العيش، فإن الواحد منهم كثيراً ما يتفوق في معاهد العلم على أقرانه وزملائه من الجنسيات المختلفة، وسرعان ما يتأقلم مع عمله، ومع الوضع الجديد، ومع التقنيات الحديثة التي يحتاج أن يتعامل معها.

وهو سريع التعلم لتشغيل الآلات التي يصادفها خلال عمله أو خلال إقامته وتعامله مع المؤسسات والمرافق العامة. ولعل الأقرب دلالة إلى هذا المنحى هو سرعة تعلم الفرد العربي للغة الأجنبية، لغة البلد التي يسافر إليها ويعيش بين ربوعها ردحاً من الزمن، في الوقت الذي يصعب على باقي الجنسيات تعلم اللغات الأجنبية، على مدى سنوات من عيشهم في البلد الأجنبي.

كما أننا لا يمكن أن نطلق صفة التخلف على الفرد العربي بشكل عام، والذي يعيش في دولة متخلفة أو نامية، ذلك الذي يحصل على الدرجات العلمية المتاحة في بلده، ويسعى لاستكمال دراسته في الدول الأوربية، وهو يساير التقدم



الألعاب الجماعية نموذج للعمل الجماعي المحدد الهدف

الحضاري، ويلحق بالركب المدني المتطور في جميع مظاهر حياته، في طعامه ولباسه وأثاثه المنزلي، ويسعى لاقتناء كل الوسائل الحضارية التي تؤمن الراحة والرفاهية له ولأفراد أسرته.

وفي مجال الحاجات والممارسات الشخصية، فإنه لا يقل شأناً عن الفرد الغربي في نظافته الشخصية، ونظافة مأكله ومشربه وملبسه، يعتني بنفسه أي اعتناء، ويحاول أن يجعل من نفسه مثالاً للشخصية الناجحة الراقية.. ويساعده في ذلك كله دينه الإسلامي الذي يعتنقه، والذي يحضه على الاهتمام بالنفس والاعتناء بها، وبذل كل الجهود ليصل بالنفس إلى ما يريده الله لها من حياة صحية طيبة، واهتمام بالمظهر والمخبر، بالشكل والمضمون.. فالنظافة مثلا من الأوليات التي يحض الإسلام أفراده على الاعتناء بها. فالنظافة شطر الإيمان و«الطهور شطر الإيمان»(١) و«الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة»(٢). والإسلام يريد من أتباعه أن يعتنوا بصحة أجسامهم وأنفسهم، لأن النفس أمانة في يد صاحبها يسأل أمام الله عن صحتها واستقرارها وحياتها، فقتل النفس جريمة عظيمة تودي بصاحبها إلى النار: *ولا تقتُلوا أنفسَكم إن الله كان بكم رحيماً*. النساء:٢٩، والعزوف عن الدنيا غير مرغوب فيه، ولا رهبانية في الإسلام، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٣). ويقول «إن لنفسك عليه حقاً»(٤). كل ذلك يهتم به الإنسان العربي بصفته مسلماً يلتزم أوامر دينه وما سنّه له وحضه عليه.

التصرفات السلبية لبعض الأفراد

ولكن ما إن يخرج الأمر عن النطاق الشخصي، عن نظافة الشخص مثلاً، وربما عن نظافة الأسرة، فإن وضعه الاجتماعي والعادات والأعمال الجميلة التي يتبعها في حياته الخاصة، سرعان ما تتدهور، والخط البياني للمدنية والتحضر في السلوك وفي التصرفات سرعان ما ينحدر إلى الأسفل، وذلك بالنسبة إلى شريحة كبيرة من المجتمع. وهذا في الواقع أمر محير، يحتاج إلى وقفة ودراسة وتأمل؛ ولعل هذا الأمر هو أكبر داء أصيب به المجتمع العربي والأمة العربية، وعلينا أن نتحرى الأسباب التي تجعل الفرد العربي يتصرف ضمن مجموعة من الأفراد على نحو سلبي، وبشكل مخالف لتصرفاته الحسنة وأسلوبه الحضاري عندما يتعلق الأمر بنفسه وبشخصه ثم بأسرته وبمن يعول.

على صعيد النظافة

فعلى صعيد النظافة، تراه نظيفاً يقوم بتنظيف بدنه باستمرار، ويأتي الوضوء والغسل المتكرر، ليجعله نظيفاً مثالياً في النظافة، لا يجاريه أحد في المجتمعات الأخرى، ثم ننظر إلى بيته فنراه نظيفاً تحرص زوجه وأسرته على نظافة البيت والمسكن، ويكون هذا الاهتمام منسجماً مع الآداب الإسلامية، ومتفقاً مع أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يقول «نظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود»(٥).

أما إذا خرج عن دائرة شخصه وأسرته، فإن النظافة تتدهور وتتراجع، بمجرد أن يصبح خارج سور منزله، وعلى رصيف شارعه، فهو لا يهتم بما هو خارج هذا السور، لا يهتم بنظافة مكتبه أو مقر عمله في الدائرة الحكومية، أما إذا كان محل عمله خاصاً به في مخزن أو متجر أو شركة خاصة فإنك تراها مثال النظافة والترتيب.. وهو في الطرقات والساحات والمتنزهات والأماكن العامة لا يلتزم آداب النظافة وأصولها، فتراه يلقي بالقمامة ويتخلص من أشيائه غير المرغوب فيها، وسط الشارع وعلى قارعة الطريق، وعندما تجد المنافع الصحية في مسكنه غاية في النظافة فإنك ترى المنافع العامة بأبشع صورة وأقبح منظر، نتيجة ممارساته الخاطئة وغير الحضارية وغير المسؤولة.

المحافظة على المرافق العامة

وعلى صعيد الاهتمام بالوسائل التي يتعامل معها، فأنت تراه يحافظ على تقنياته من أدوات كهربائية وميكانيكية ووسيلة نقله، ويتعامل معها بكل لطف واحتراز، أما مع الوسائل العامة فنراه لا يكترث ولا يحترز، بل يخيل إليك أنه يتعمد تشويهها وإلحاق الضرر بها!

والأمثلة عن التصرفات الشاذة وغير الحضارية كثيرة، وهي معروفة لدى كل الناس الذين يعيشون على أرضنا، يرددونها متذمرين وشاكين، وهم أنفسهم أفراد هذا المجتمع الذين يمارسون هذه التصرفات المتناقضة، ويتحولون من تصرفاتهم الشخصية إلى تصرفاتهم العامة من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال.

وإذا كان هذا الشخص يحب الخير لنفسه ولأسرته، ويسعى لتحقيقه بكل الوسائل، تراه يبخل بالخير على

الآخرين، ولا يسارع إلى تقديمه لهم، أو معاونتهم على تحقيقه، وكأنه لا يهمه من أمرهم شيء. مع أن دينه الذي يحض على الاعتناء بالنفس والاهتمام بها والمحافظة عليها، يهتم أكثر وأكثر بالمجتمع، ويؤكد ضرورة معاملة الأفراد بعضهم لبعض بكل ما يبرز أخلاقهم الحميدة وصفاتهم الحسنة، وبكل ترابط وتماسك، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»(٦). ويقول أيضاً «ومن نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كُربةً من كُرب يوم القيامة.. والله في عونِ العبد ما كان العبدُ في عونِ أخيه»(٧) ويقول صلى الله عليه وسلم «كل سلامى من الناس عليه صدقة، وكل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»(٨). و«لا يؤمنُ أحدكُم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه»(٩). ولكن الذي يحصل هو العكس تماماً، إذ خفّت المساعدة ومد يد العون، وجفَّ الاهتمام بالجماعة، وقل التساند والتعاضد والتكاتف.. وأصبح مبدأ كل شخص (يارب نفسي) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في مبدأ عام حيث (يقال يا محمد ارفع رأسك سل تُعطه واشفع تُشفَّع فارفعُ رأسي فأقول: أمتي.. ياربِّ أمتي.. ياربِّ أمتي فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة»(١٠) وفي المنهج القرآني يؤيد الله المؤمنين بنصره لما يكون بينهم من تآلف وتماسك في وجه عدوهم، والله تعالى يقول في كتابه الكريم مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم:



الروح الجماعية في العمل تزيد من ارتباط الفرد بمجتمعه

هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنَّ الله ألّف بينهم. الأنفال: ٦٢، ٦٣. ويحذر القرآن من التنازع والفرقة بين المؤمنين في عملهم وفي مواجهاتهم لأعدائهم فيقول: *وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنَّ الله مع الصابرين.* الأنفال: ٤٦. وما ينطبق على الجهاد الأصغر لا بد أن ينطبق على الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس داخل المجتمع.

في مجال العمل

والشيء اللافت أيضاً، والذي يحتاج إلى دراسة ومعالجة، أن الفرد العربي عندما يعمل بمفرده ولمصلحته، فإنه غالباً ما يبدع ويتميز؛ فعندما يكون للفرد شركته الخاصة به، أو عمل مستقل لا يشاركه فيه أحد، فإن عمله يكون مضاعفاً ويكون متقناً، ليحصل من وراء ذلك كل كسب مادي ومعنوي، أما إذا كان يعمل ضمن مؤسسة عامة حكومية، فإنه يبذل الحد الأدنى من الجهد والفكر ما يبقيه في عمله، ويحقق له دوام المورد الشهري، دون أن يتضمن عمله أي إبداع، ولا اكتساب مهارات، أو تحقيق منفعة عامة لها قيمة.

النزعة الفردية وأسبابها

وقد فطن إلى هذه الناحية الأستاذ الدكتور حافظ الجمالي في كتابه «حول المستقبل العربي» وفي كتابه «بين التخلف والحضارة في المجتمع الغربي»، والذي عزا فيهما تخلف الدول العربية والمجتمعات العربية عن ركب الحضارة وتأخرها عن مسايرة الدول المتقدمة، وانهزاماتها الداخلية والخارجية، عزا ذلك إلى طبيعة الفرد العربي بتفرده وانعزاله عن الجماعة، والإخفاق في تقديم عمل جماعي يخدم الأمة وتتضافر فيه جهود الأفراد في المؤسسات والهيئات، في حين يبرز هذا الفرد العربي وتبرز مواهبه وقدراته في عمل يؤديه بنفسه ولحسابه الخاص! ويعدُّ ذلك طبعاً في روح الإنسان العربي، فيقول: «أما الطبع العربي فأرى أنه موغل في الفردية عريق بحب التميز برفع (الأنا) إلى مستوى المطلق، ويكاد ينفي الآخرين، كما لو أنهم غير موجودين، ومن الطبيعي أن تكون هذه الفردية منافية لقيام الحياة الاجتماعية المنتجة، ذلك لأن هذه الحياة تقتضي اعترافاً متبادلاً من كل فرد بوجود الآخرين، وتقابلا في

الحقوق والواجبات، وتساويًا في الشروط العامة ومصالحات متصلة بين وجهات النظر المختلفة. فإذا دخلت الفردية أو ما كان يسمى قديمًا باسم الجاهلية أو العصبية القبلية فقد انقضت إمكانيات الحياة الاجتماعية أو غدت صراعات لا متناهية»(١١) ومن هنا فإن تقديس الإنسان العربي للفرد، رئيسًا أو زعيمًا أو مفكرًا، واضح في مجتمعاتنا العربية، بسبب النزعة الفردية المترسخة لهذا الإنسان، وتربيته على تضخيم الذات، والتعويل على سيد القوم ورب العمل أو رب الأسرة، دون الجماعة، في حل المشكلات العالقة، وفي تحقيق المتطلبات الحياتية، وبلوغ الأهداف المنشودة.

وعندما تتطور هذه النزعة الفردية، والاهتمامات الشخصية، على حساب النظرة الجماعية والعمل الجماعي، فإن سلبيات كثيرة تظهر وتطفو على السطح، منها الأنانية وحب الذات، وتفضيل المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، وضعف الكفاءات والخبرات التي تحتاج إلى تجميع القوى، وتجميع المعلومات واستكمال النقص فيها، وتوحيد الآراء حول رأي واحد تجتمع عليه الجماعة.. وتضافر الجهود لإنجاز عمل حضاري لا يمكن إنجازه إلا عن طريق فريق عمل متكامل، يقوم كل فرد فيه بتغطية ناحية محددة، يختص بها ويجمع جهده ووقته لمعالجتها والوصول إلى مشروع بشأنها، بحيث يتم بعد ذلك التوصل إلى صيغة موحدة نتيجة تجميع المشاريع الجزئية وصياغتها بمشروع حضاري شامل ومكتمل، لا يدعي شخص بمفرده أنه يستطيع أن يبلغه بجهوده وأفكاره وعمله دون باقي المجموعة أو الفريق.

وكثيرًا ما نشهد في كل فريق عمل، أو كل لجنة تتولى مهمة محددة في إنجاز حضاري، أن واحدًا من أعضاء هذه اللجنة هو الذي يعمل وحسب، باحثًا ومنسقًا ومقررًا، ويقوم باقي أعضاء الفريق بالتوقيع على المحاضر التي ينجزها هذا العضو، الذي يكون متحمسًا للعمل، ومتشوقًا إلى الحصول على النتائج المرضية، التي ينشد من ورائها تحسين مستواه العلمي والمهني، وخدمة وطنه وأمته إن كان صادقًا، أو يبغي مردودًا ماديًا يعود إلى نفسه دون الآخرين. في حين يخفق مجموع الفريق عندما يعمل متحدًا متكاتفًا تتوزع فيه المسؤولية على جميع الأعضاء، فيتناول كل فرد ناحية من النواحي، فيظهر في هذه الحالة تضارب الآراء وتشتت الأهواء وتباين الرغبات، ويحصل النزاع والخلاف حول الآراء المطروحة، وحول طبيعة العمل وتوزيعه، ثم يحصل بعد ذلك النزاع والخلاف على نتيجة العمل وثماره، يريد كل عضو أن يحصد نتائج العمل، ويحاول أن يجعل من نفسه البطل والمتفرد والمتميز في إنجاز هذا العمل دون أقرانه، ليحصد بعد ذلك الفوز والمكافأة والترقية دون غيره من الزملاء.

ولكن! هل يرجع السبب في النزعة الفردية في المجتمع العربي إلى طبيعة الفرد العربي وتكوينه وتربيته عبر السنين، أم إن هناك أسبابًا أخرى تتعلق بطبيعة العلاقة بين الفرد والجماعة، بين الرئيس والمرؤوس، بين القمة والقاعدة؟ إذا استطعنا أن نتوصل إلى أسباب هذه الظاهرة فإنه يسهل بعد ذلك معالجتها والتوصل إلى حل لها، والوصول إلى أرضية مشتركة تواصل بين أفراد المجتمع، ليتم العمل بشكل جماعي يحقق التكامل والتلاقي والتآلف.

يجب أن تكون المحاولات منصبة على تجميع المواهب وتلاقي الإبداعات، لتنتج عملاً جماعيًا يفيد الأمة ويعمل على تقدمها.. وبذلك تنتفي سلبيات الروح الفردية، التي تتمثل في الأنانية وتضخيم الذات، وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة

لا شك أن تميز الرئيس في كل مجال وفي كل مؤسسة من بقية الأفراد، سواء من الناحية المادية أم من الناحية المعنوية والأدبية، من الاحترام والسطوة والنفوذ، هو ما يجعل الفرد يبحث عن الوسائل والعوامل التي تجعله متميزًا ومتفوقًا دون أقرانه، حتى يحظى بالترقية والمنصب الأعلى في المؤسسة، إضافة إلى أن تقدير الإنتاج والكفاءة لا ينطلق من مبدأ تقويم عمل الفريق المتكامل، وإنما من تقويم عمل الشخص وما أنجزه بمفرده من عمل يميزه من غيره، مما يجعل كل فرد في المؤسسة يعمل بمفرده، كي يحقق إنجازًا يستحق عليه مكافأة وترقية ومكانة مرموقة.

ما الحل؟

فإذا ما عرفنا ذلك، فإن الأنظار ستتجه بشكل تلقائي إلى حل هذه الأزمة المستحكمة، التي تتلخص في تشتت القوى وبعثرة الجهود في أعمال فردية بحتة، لا تشكل بتفرقها عملاً كبيرًا وإنجازًا لافتًا، والحل يكمن في تشجيع العمل الجماعي

والإثابة عليه، ومحاولة التقليل من أهمية فكرة النجومية والزعامة، دون هدم الأعمال الفردية، ودون محاربة التميز الفردي وإعاقته، فلا ينكر فضله في خلق المواهب، وفي الإبداع الفكري والعلمي، انطلاقاً من الفطرة الإنسانية والموهبة الربانية التي زرعها الله وأنشأها وخلقها لدى أفراد دون أفراد، وكما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «كلٌ مُيسَّر لما خُلق له»(١٢). ولكن يجب أن تكون المحاولات منصبة على تجميع المواهب وتلاقي الإبداعات، لتنتج عملاً جماعياً يفيد الأمة ويعمل على تقدمها.. وبذلك تنتفي سلبيات الروح الفردية، التي تتمثل في الأنانية وتضخيم الذات، وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة.

فمن المفضل في مجال الرياضة مثلاً، أن يتم تشجيع الألعاب الجماعية، التي يتكون الفريق الواحد فيها من عدد من الرياضيين، كلعبة كرة القدم، وضرورة التركيز في التعاون بين أفراد الفريق والتنبيه على عدم التفرد بالكرة وباللعب، بحيث يكون الهدف المحقق ثمرة جهود جميع أفراد الفريق وتضافرهم وتآلفهم وانسجامهم، ومن ثم فإن التكريم يكون لأعضاء الفريق جميعاً، وعدم توجيه المديح والمكافأة لعنصر دون آخر.. وهذا مطبق فعلا في أكثر الأحيان.

وفي مجال الفن، فلابد أن نشجع العمل الجماعي، كالفرقة الموسيقية والأداء الجماعي في الإنشاد والغناء، والتقليل ما أمكن من ظهور المطرب الفرد، والنجم المتألق، الذي يظهر بكل مظاهر التفرد وتضخيم الذات، وما يؤدي بالنتيجة إلى التعلق بالفرد، وإلى الأنانية والتعالي على الآخرين.

وفي المجال الاجتماعي، فإن العمل التطوعي الجماعي من أفضل الأعمال التي تنمي روح الجماعة وروح الإيثار، وتدرب الفرد على الانخراط في خدمة المجموع، دون أن يحقق أي كسب مادي أو شخصي، بل بالعكس فإنه يقدم من وقته وجهده في سبيل إسعاد المجتمع وتخفيف معاناته، مكتفياً بالكسب النفسي والأدبي، والثواب من الله. والغريب أن أمة كأمة الإسلام التي تحض على أعمال الخير والبر - بل إن هذه الأعمال من صميم منهجها وتشريعها - تظهر فيها بعد ذلك روح الفردية على حساب الروح الجماعية.

والله تعالى يقول: *وتعاونُوا على البرّ والتقوى ولا تعاونُوا على الإثم والعُدوان*. المائدة: ٢، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»(١٣).

ومن العجيب أيضاً أن تظهر ظاهرة غريبة، وهي أن يطلب المسلم أجراً لقاء العمل التطوعي، ويخصص له فعلا نصيب من جمع التبرعات والصدقات، على أساس نصيب (العاملين عليها) والتي تنطبق شرعاً على الزكاة لا على الصدقات. وكأن عمل الخير والحض عليه يحتاجان إلى أجر دنيوي أو مقابل مادي! وهم ينطلقون من مبدأ أن الأجر مقابل الوقت الذي يقتطعه من يومه وحياته ليقوم بهذا العمل، وبأن هذا المبلغ الذي يدفع للعامل على جمع الصدقات بمنزلة حافز على الاستمرار في هذا العمل، وإلا فسوف يضمر هذا العمل، ويخف إنتاجه، ولا يؤدي أهدافه. وهذا منطق عجيب، إذن، فأين العمل التطوعي، واقتطاع جزء من الوقت في سبيل الله، وفي سبيل عمل البر والتقوى الذي ينال به الفرد الأجر من رب العالمين، ويخفف عنه مصائب الدنيا، ويقيه مصارع السوء؟! والناس تدفع أموالها وما تملك في سبيل الله وبراً وتقوى، فلا أقل من أن يساهم الأفراد الآخرون بوقتهم لقاء ذلك.

تقديس الإنسان العربي للفرد، رئيساً أو زعيماً أو مفكراً، واضح في مجتمعاتنا العربية، بسبب النزعة الفردية المترسخة لهذا الإنسان، وتربيته على تضخيم الذات، والتعويل على سيد القوم ورب العمل أو رب الأسرة، دون الجماعة، في حل المشكلات العالقة

وللحد من ظاهرة الاتجاه الفردي في المجتمع المسلم، فقد سعى الإسلام في كل مجال إلى تشجيع العمل الجماعي، ونبذ الأعمال التي تعزز دور الفرد، والحض على التعاون والتآزر في كل مجال وفي كل ميدان. فقد حرّم الربا لأنها تؤدي إلى كسب الفرد وإغنائه على حساب الآخرين من إخوانه وأبناء وطنه، كما أن الشرع له رأي مخالف لإحداث شركات التأمين، بالشكل الذي أحدثت عليه، حيث يعمد أصحاب الشركات إلى استجرار أموال الناس واستثمارها لمصلحتهم، نظير تقديم خدمة تؤدى لأعداد منهم، ووجد الشرع في أهداف المؤسسات والجمعيات التعاونية، وأسلوب التكافل الاجتماعي بديلا صالحاً وعادلا، فيما لو تم تأصيله وتطويره.

ومن المشروعات والأفكار التي تحيي روح العمل الجماعي والتكافل الاجتماعي، يمكن أن نذكر مشروع

الصندوق التعاوني داخل العائلة أو العشيرة أو الحي، يشارك فيه أبناؤها كلٌ بما يتيسر له وحسب مقدرته ودخله المادي، لتصرف على المريض منهم وعلى الفقير وذي الحاجة، ومثل ذلك ما ينشأ من صندوق إعانة المرضى على مستوى البلدة، وجمعيات البر والخدمات الاجتماعية التي تنشط في بعض البلدان العربية والإسلامية، والتي تحتاج إلى تنشيط وتفعيل ورعاية ودعم، كما تحتاج إلى مساهمة من أفراد المجتمع بجهدهم ووقتهم، ليقوموا بحمل الأعباء الكثيرة في العمل الإداري، ولتنشيط روح العمل الجماعي التكافلي.

وعندما نقرأ التاريخ الإسلامي قراءة واعية، نفهم لماذا قام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعزل قائد الجيش البطل المغوار خالد بن الوليد عن قيادة الجيش في معركة اليرموك، وما ذلك إلا ليتقي فتنة أفراد الجيش وجماعة المسلمين، بالشخص الذي قادهم وحقق لهم النصر، يتعلقون بالأفراد متناسين أهمية العمل الجماعي، وأن النصر لا يتحقق بفضل قائد أو زعيم، بل يتحقق بتكاتف الجهود، وتماسك القوى، واتحاد الصف، والاعتصام بحبل الله المتين.

وفي العبادات كانت الصلاة في المسجد واجبة لا يجوز التخلف عنها، حيث يصطف المسلمون خلف إمام واحد، يكون أعلمهم وأتقاهم وأحفظهم، وما ذلك إلا لنشر روح الفريق الواحد، ولإعلاء شأن الفئة المتماسكة المتحدة، ودعم الروح الجماعية في كل عمل في شؤون الحياة المختلفة.

ولا غرابة ولا بدع بعد ذلك أو قبل ذلك، أن نردد وفي كل مجال وفي كل مناسبة، أن الدين الإسلامي قد كفل لنا التخلص من جميع السلبيات التي قد تكون عالقة في شخصيتنا من بينات جاهلية أو عصبية أو غير ذلك، باتباع نهجه، والتحلي بآدابه، والتزام قواعده التربوية، ولعل ما ذكرناه من حلول لنفي الروح الفردية والتحلي بالروح الجماعية، ومعالجة الإسلام لهذه الظاهرة، يعد مثالاً حياً لضرورة التمسك بالدين في كل مجال، وفي سائر حياتنا وأحوالنا. وعندما يرى ابن خلدون في مقدمته، متحدثاً عن الأمة العربية والإسلامية بشكل عام، «أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، تذهب عنهم خُلُق الكبر والمنافسة، وتسهل الانقياد والاجتماع، عندما يكون لهم نبي أو ولي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم»(١٤) فلا ريب أنه يشير إلى نزوعهم المثالي الذي لا ينقاد بقانون المنافع الفردية أو المصالح الدنيوية متى شاهدوا القدوة وتبين لهم نهجه باتباع الحق.

وفي رأي الدكتور الجمالي أن «العرب فيهم شيء خاص بهم، فطموحهم إلى المثل العليا أكبر من طموح الآخرين بدرجة أو ببعض الدرجات. وحياتهم السليمة لا تقوم إلا على هذا النوع من المثالية التي تتجمد في زعيم يحسن الوفاء لها والتزام واجباتها.. فإذا لم يتحقق لهم ذلك، التوى سلوكهم، واضطرب أمرهم، وهبطوا عن مستوى أنفسهم، كأنه إذا لم يكن لهم الصدر فلا بد أن يكونوا في القبر»(١٥) وعندما يتحقق لهم ذلك المثل الأعلى، تتحقق لديهم الروح المعنوية العالية التي تنهض بهم كما تحققت أيام مجدهم وعزهم «فإن الروح المعنوية العظيمة التي سادت المجتمع كله آنذاك، هي التي مكنت عمر بن الخطاب من اتباع هذا السلوك الصارم مع قادته العسكريين.. وهذه الروح المعنوية هي التي جعلت العرب يقفزون إلى القمة في أسرع مدة ممكنة، وهي التي جعلت من كل فرد منهم فرداً بطلاً لا يعنيه إلا خدمة مثله الأعلى، وعندما وجد العربي أن هذا المثل قد تبدد، وأن القيادة لم تعد تمثله، وأنها أصبحت مطامع شخصية لا قيماً علوية ارتد على نفسه، وانغلق عليها»(١٦).

هذه بعض الملامح التي توضح مسألة تغلب الروح الفردية على الروح الجماعية في المجتمع العربي: أسبابها ونتائجها وطرائق علاجها، ونأمل من الكتاب والمفكرين أن يتناولوا هذا الموضوع المهم بالدراسة والتحليل. عسى أن تكون النتائج التي يتوصلون إليها مساهمة منهم في طرق أبواب النجاح، والوقوف على عتبة المستقبل الزاهر: *إن الله لا يضيع أجر المحسنين*. التوبة: ١٢٠.

الهوامش

١. رواه مسلم عن ابن مالك الأشعري.
٢. الترمذي عن سعد بن أبي وقاص.
٣. رواه البخاري عن أنس بن مالك.
٤. البخاري.
٥. الترمذي.
٦. البخاري عن أبي موسى الأشعري.
٧. رواه مسلم عن أبي هريرة.
٨. رواه البخاري عن أبي هريرة.
٩. رواه البخاري عن أنس بن مالك.
١٠. البخاري عن أبي هريرة.
١١. بين التخلف والحضارة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٨م، ص٣٤.
١٢. الترمذي عن عمر بن الخطاب.
١٣. رواه مسلم عن النعمان بن بشير.
١٤. مقدمة ابن خلدون، الجزء الثاني، طبعة عبدالواحد وافي، ص٤٥٦.
١٥. بين التخلف والحضارة، ص١٢.
١٦. المصدر السابق، ص٤٣.

الجرجاني في نظرية النظم

حسين الجمعة
الثورة - سورية

في مستهل القرن الهجري الخامس، ظهر في البلاغيين ربان جديد حرف سكان سفينة الخليل نحو جزيرة جديدة، وطوى أشرعته في مرفئها للبحث في مناجمها النحوية عن الكيفية التي ترتبط فيها اللغة بالمعاني.

كان ذلك الربان هو النحوي البلاغي عبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، الذي صنف كتابين رائدين في أصول اللغة العربية وقوانينها، أحدهما: «دلائل الإعجاز»، وثانيهما «أسرار البلاغة».

حقق في الأول «نظرية النظم». أي: نظم الكلام وتأليفه، وكيف يكون.

ونظرية النظم هذه، ليس القصد منها كيفية نظم الشعر نقدياً، إنما طريقة نظم الكلم لغةً ومعاني، وفق علم النحو وأصوله:

النظم على معاني النحو

قال: «واعلم أنْ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعلم مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها»(١).

هذا الكلام لا جديد فيه، لأنه ما من كاتب عربي إلا ويتقيد بقوانين النحو. ولكن ما الغاية الأبعد من نظم الكلام على معاني النحو..؟ أتكون لمجرد معرفة مواطن الصواب والخطأ، أم لتحقيق الفصاحة والبلاغة، أم تكون لتحقيق التوازن بين الألفاظ والمعاني؟.

لا شك في أن نظم الكلام على معاني النحو مشروط بوجوب توفره على الصحة والفصاحة والبلاغة، وعلى الائتلاف بين الألفاظ والمعاني. فكيف يفسر الجرجاني طريقة النظم على معاني النحو؟.

يقول: «إن مدار أمر هذا النظم، إنما يقوم على الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه. فإذا عرفت ذلك، فاعلم أن الوجوه والفروق كثيرة ليس لها غاية تقف عندها. واعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض. وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ - الألوان - التي تعمل منها الصور والنقوش. - اللوحات الفنية - فكما أنك ترى الرجل - الفنان - قد تهدّى، في الأصباغ التي عمل منها الصورة، إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواضعها ومقاديرها، وكيفية مزجه لها وتركيبه إياها إلى ما لم يهتد إليه صاحبه - فنان آخر - كذلك حال الكاتب أو الشاعر في توخيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم»(٢).


محمد مندور

إذن؛ فنظم الكلام ليس مجموعة من الألفاظ التي تمتاز بالصحة والفصاحة وحسب، إنما هي مجموعة من العلاقات النحوية التي يصوغها الكاتب أو الشاعر، كما هي الحال فيما يصوغ الفنان التشكيلي لوحاته الفنية باختيار الألوان ومقاديرها وكيفية مزجها بعضها ببعض ليبدع اللوحة الفنية.

وكما أن اللون الواحد لا مزية له ما لم يمتزج مع غيره بمقادير علائقية، كذلك المفردات اللغوية، لا مزية لها مالم تنتظم بعلاقات نحوية.

ولكن السؤال المطروح، أو الأسئلة المطروحة في «دلائل الإعجاز» التي أشبعها الجرجاني تحليلاً وتفسيراً، هي: لمن المزية أو الأفضلية في النظم..؟ أهي للألفاظ كما يقول اللغويون أم هي للمعاني كما يقول الجرجاني؟ وهنا مكمن الإشكالية.

ذهب اللغويون إلى أن المزية للألفاظ، لكونها أوعية للمعاني، ولأنها هي التي تنتظم المعاني وتسبغ عليها الجدة والألق.. فالمعاني، كما قال الجاحظ، «مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي، وإنما الشأن في تخير الألفاظ وجودة السبك، وصحة المعنى، والشعر صياغة لفظية وضرب من التصوير»(٣).

قال الجرجاني: «وقد أسقط الجاحظ المعاني وفضل الشعر بلفظه لا بمعناه».

ولكن الجاحظ لم يسقط المعاني، كما رأيت، إنما فضل الألفاظ وميزها وقدمها على المعاني.

وبصفة الجرجاني من أصحاب المعاني، فقد اعترض على اللغويين، وناقش نظريتهم نقاشاً معمقاً وضافياً.

قال: «وظنوا أن موقع المزية في اللفظ، بناء على أن النظم هو نظم الألفاظ. وعندما يقع في كلامنا أن الفصاحة تكون في المعنى دون اللفظ، يقولون: كيف يكون هذا ونحن نراها لا تصلح صفة إلا للفظ، ولا تدخل في صفة المعنى البتة؛ لأن الناس يقولون: هذا لفظ فصيح وهذه ألفاظ فصيحة، ولا نرى عاقلاً يقول هذا معنى فصيح وهذه معان فصاح»(٤).

وينفي الجرجاني صحة هذا الرأي وينقضه بتأكيد أن الفصاحة إنما تكون للمعنى: «إن المزية التي من أجلها استحق اللفظ الوصف بأنه فصيح، إنما هي عائدة، في الحقيقة، إلى معناه، ولو قيل إنها تكون فيه دون معناه، لكان ينبغي، إذا قلنا في اللفظة إنها فصيحة، أن تكون الفصاحة واجبة لها في كل حال. ولكنا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع، ونراها بعينها، وليس فيها شيء من الفصاحة»(٥).

ويعلق الجرجاني بقوله: «وجملة الأمر أننا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ومعلقاً معناها بمعنى ما يليها، والنظم ليس شيئاً غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم»(٦).

وهذا الذي قاله الجرجاني في الفصاحة وتباين الألفاظ في مواضعها، لم ينكره اللغويون، بل أوجبوا أن تكون الألفاظ مضمومة بعضها إلى بعض، ومتصلة بين معانيها، ولم ينفوا أن تكون الألفاظ فصاحاً في كل موضع.

ولكنهم قالوا: «لو كان النظم يكون في معاني النحو، لكان البدوي الذي لم يسمع بالنحو، لا يتأتى له نظم الكلام. وإنا لنراه يأتي في كلامه بنظم لا يحسنه المتقدم في علم النحو»(٧).

ويرد الجرجاني عليهم بقوله: «وجوابنا مثل جواب المتكلمين، وهو أن الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات. فإذا عرف البدوي الفرق بين أن يقول: «جاءني زيد راكباً» وبين قوله «جاءني زيد الراكب» لا يضره أنه لا يعرف عبارة النحويين في أن «راكباً»: حال، وفي أن «الراكب»: صفة»(٨).

الألفاظ خدم للمعاني

وينتهي الجرجاني إلى تقديم المعاني على الألفاظ، بقوله: «ثم ترى الذين لهجوا بأمر اللفظ قد أبوا إلا أن يجعلوا النظم في الألفاظ. فترى الرجل منهم يرى ويعلم أن الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ مرتبة، إلا من بعد أن يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه. وبذلك نعلم أن الألفاظ هي التابعة، والمعاني هي المتبوعة»(٩).

> للكلمة في ذاتها قيمة دلالية كبيرة الأهمية في الكلام العربي، لا من حيث الفصاحة والصحة وحسب، وإنما من حيث دقة دلالتها على المعنى

لقد كانت محصلة نظرية النظم، عند الجرجاني، أن الألفاظ ما هي إلا خدم للمعاني، (وأن المفردات اللغوية لا قيمة لها في ذاتها، لا من حيث فصاحتها وصحتها، ولا من حيث جرسها وإيقاعاتها الموسيقية ولا من حيث دلالاتها المعنوية، إلا حينما تنتظمها التراكيب النحوية).

وهذا ما اختلف فيه مع اللغويين الذين أكدوا قيمة المفردة اللغوية في ذاتها في تركيب المعاني.

والحقيقة أنه لابد في نظم الكلام من التكامل بين الألفاظ والمعاني، بحيث يترادفان ويتواشجان في الأغراض العلمية والفنية على السواء.

ولكن هذا لا ينفي قيمة الألفاظ في ذاتها، وهي في منظومتها النحوية، أو في تركيب المعاني.

والواقع أن الجرجاني أبدع في نظرية النظم على معاني النحو، ولكن هذه النظرية ليست من ابتكاره، وإن كان قد أصلها وعمقها.

فقد اكتشف الباحثون في العصر الحديث، أن القاضي عبدالجبار المعتزلي (ت: ٤١٥) سبق عبدالقاهر إلى هذه

النظرية، نظرية نظم الكلام على معاني النحو، بأكثر من نصف قرن. وذلك في قوله: «إن جمال الصور البيانية، إنما تدخل في البلاغة والفصاحة، ولكنها ليست ركناً أساسياً من أركانهما؛ فأركانهما الرئيسة إنما هي خواص التراكيب النحوية التي ينبغي أن تقاس قياساً دقيقاً».

ومع أن عبدالقاهر قد أوضح أن الصور البيانية، كالاستعارة والكناية، ليست من دلائل إعجاز القرآن، لأنه لو كان الإعجاز قائماً على هذه الصور، لانتفى الإعجاز من السور والآيات التي لا وجود للصور البيانية فيها. ومع ذلك فقد وضع عبدالجبار في يد عبدالقاهر ـ كما قال د. شوقي ضيف ـ مفاتيح النغم الذي لحنه في دلائل الإعجاز.

إذن؛ فقد أحس عبدالقاهر ـ كما قال محمد مندور ـ بوجود الجمل المركبة التي تشمل معاني، بعضها قيود لبعض. (لكنه لم ينظر إلى هذه التركيبات الجميلة من حيث الجودة، ولم يعن بدراستها دراسة نحوية قدر عنايته بنقدها نقداً أدبياً)، ويتابع محمد مندور القول: فالجرجاني لم يضع كتابه الرائد «دلائل الإعجاز» ليصل إلى تحقيق نظرية النظم على معاني النحو وحسب. وإنما ليؤسس في علم المعاني نظرية أدبية هي نظرية النقد الفقهي في الأدب العربي، إذ يلتقي، في هذه النظرية علماء اللسانيات الأوربيين، ولا سيما مدرسة التحليل اللغوي التي انتهت، عند البنيويين، في العصر الحديث، إلى ما انتهى إليه الجرجاني منذ نحو تسعة قرون، فقد أكد أن اللغة مجموعة من العلاقات، لا مجموعة من الألفاظ)(١٠).

هذا كلام جميل ومعقول. فقد استطاع الجرجاني بعلمه الواسع، وبذوقه الفني الرفيع أن يحقق نظرية نقدية تقوم على خصائص التراكيب النحوية، فأبدع في ذلك، حتى اقترنت هذه النظرية باسمه، وأصبحت خاصة به، وإن لم تكن من ابتكاره.

خلاف!

ولكن الخلاف بيننا وبين الجرجاني، إنما هو نفيه قيمة المفردة اللغوية في ذاتها، وإن كانت تمتاز بالفصاحة والشفافية. وإنما قيمتها في علائقها التركيبية النحوية. ونحن نرى، مع اللغويين، أن للكلمة في ذاتها قيمة دلالية كبيرة الأهمية في الكلام العربي، لا من حيث الفصاحة والصحة وحسب، وإنما من حيث دقة دلالتها على المعنى، ومن حيث جزالتها وجرسها وسهولة جريانها على اللسان، ومن حيث ارتياح النفس لها، إلى غير ذلك من الحيثيات الفنية.

بل قد تكون الكلمة، على الرغم من موقعها الصحيح في التراكيب النحوية، مقبولة في موضع، ولا تكون، هي ذاتها، مقبولة في موضع آخر.

ونستطيع أن نستدل على أهميتها في ذاتها، عبر سياقها التركيبي، بأمثلة كثيرة من الشعر، يحضرني منها صورتان في معنى واحد، في ألفاظ متمايزة، تسوق معاني واحدة، لنقف على قيمة المفردة ذاتها في التركيب النحوي.

قال أبوالعلاء المعري في مرثيته المشهورة:

خففْ الوطْءَ، ما أظنّ أديمَ الـ
أرضِ إلا من هذه الأجساد

وقال أحمد رامي في المعنى ذاته:

فامشِ الهوينى، إن هذا الثرى
من أعينٍ ساحرة الاحورار


شوقي ضيف

فماذا نلاحظ، في الموازنة بين ألفاظ أبي العلاء وألفاظ أحمد رامي..؟

إن الفعل «خفف» يقابل في الدلالة، الفعل «فامش». كلاهما طلبي. ولكن «خفف» أكثر شاعرية وانسيابية من «امش». كلاهما أمري طلبي، ولكن الأول رقيق يبعث في النفس شعوراً بالارتياح، أما الثاني فهو كذلك أمري طلبي، ولكنه زجري لا رفق فيه كما في الفعل «خفف» المشتق من الخفة. يضاف إلى ذلك أن «امش» يكاد يكون من الألفاظ المبتذلة، فضلاً عن كونه خالياً من الجرس الموسيقي الذي يتسم به الفعل «خفف».

ثم خذ كلمتي «الوطء» عند أبي العلاء، و«الهوينى» عند رامي، تر أن الأولى ثقيلة في اللسان وتنبو عن وقعها الأذن والنفس، حتى لتكاد تحس وقع الأقدام وثقلها المزعج على أجساد الموتى.

أما الثانية «الهوينى» فرشيقة تفيض رقة وحناناً، فضلاً عن إيقاعها الموسيقي العذب، حتى ليكاد من يلفظها يحس أنه لا يطأ أجساد الموتى في القبور كما يطؤها في لفظة أبي العلاء الثقيلة الجافية، وإنما يحس أنه يسبح فوق القبور سباحة في الهواء.

وكذلك إذا أمعنت النظر في كلمتي «الأديم» عند الأول، و«الثرى» عند الثاني، فسترى أن الأولى أقرب إلى لغة الفلسفة منها إلى لغة الشعر، بينما ترى الثانية أقرب إلى

الشعر وأدق دلالة على المعنى من معنى «الأديم». وما الأديم إلا من هذه «الأجساد»..! كلمة مرعبة ومظلمة وجامدة ميتة تبعث على التشاؤم، وليس فيها إيقاع ولا إيحاء. وفرق كبير بين «الأجساد» الميتة، وبين «الأعين» الحية الساحرة الاحورار. هناك عظام أو رماد، وهنا حيوية وعذوبة تبعث في النفس الحزن والأسى والأسف.

هذه الألفاظ التي تساوقت في منظوماتها النحوية، وتمايزت في ألوانها الدلالية، من حيث الشفافية والصفاقة، والقوة والضعف، والحركة والسكون.. وكانت كلها فصيحة وصحيحة، ألا تحمل في أصواتها تلك القيم الذاتية التي أضفت على المعاني خصوصياتها المتمايزة..؟! بلى.

وهاك مثالاً آخر، ربما يكون أوضح دلالة على قيمة الألفاظ في دقة المعاني وشفافيتها.

قال ابن الفارض:

يا لا ئماً لامني في حبِّهم سفهاً
كُفَّ الملام، فلو أحببتَ لم تَلُم

وقال البوصيري، في المعنى ذاته:

يا لائمي بالهوى العذريِّ معذرةً
منّي إليك، ولو أنصفتَ لم تَلُم

وقال أحمد شوقي:

يا لائمي بهواهم، والهوى قدرٌ
لو شفَّك الوجدُ، لم تعذل ولم تَلُم

أنعم النظر في الجمل الثلاث: لو«أحببت» ولو«أنصفت» ولو«شفك الوجد»، فإنك ستقف على مزية كل فعل من هذه الأفعال الثلاثة وقيمته الدلالية في سياق هذه التراكيب، وعلى التفاوت في تحقيق المعنى ذاته بتوظيف هذه الألفاظ.

ابتذال

ـ فالفعل «أحببت» يكاد يكون مبتذلاً في لغة الشعر، فضلاً عن كونه قريباً من العامية: «حبيت».

ـ والفعل «أنصفت» لا يعين مدلوله الدقيق على المعنى. لأن «الإنصاف» يتضمن أكثر من مدلول لأكثر من غرض. فهو إلى أن يكون قضائياً في الحكم بالعدل بين الخصوم، أقرب منه إلى لوم العاذل.

ـ أما الفعل «شفك» في جملة «شفَّك الوجدُ»، فأدقُّ دلالة على المعنى، وأكثر شفافية وإيحاء من مرادفاته السابقة، ولا سيما حين قرنه الشاعر بلفظة «الوجد» ذات المدلول النفسي الذي يفيض بالصدق الفني والعاطفي.

فلو قال الشاعر: لو أنصفك الحب، أو تيمك الحب، أو العشق، أو غير ذلك من الفاعلين، لما كان للفظة هذا التأثير الوجداني.

ـ ثم لنأخذ مثالاً آخر من القرآن الكريم، هو ما ضربه لنا الجرجاني على بلاغة القرآن وإعجازه، فنأخذه نحن مثالاً رائعاً على قيمة المفردة اللغوية في ذاتها: «واشتعل الرأس شيباً». فلو قيل، مثلاً: «والتهب الرأس، أو طفح الرأس..» إلخ. لما كان لأي فعل قيمته اللفظية البيانية كقيمة الفعل «واشتعل»

وهكذا يتضح لنا أن للألفاظ مزاياها الدقيقة وخصوصياتها الدلالية في نظم الكلام، أو في تراكيب الجمل النحوية.

ولقد أيدت البحوث اللسانية ما للمفردات من قيم ذاتية، خلافاً لنظرية النظم الجرجانية التي نفت أية قيمة للمفردات مالم توظف لخدمة المعاني. وقد ضربنا تلك الأمثلة لتأكيد أن لمفردات اللغة تأثيراً كبيراً، في السلب والإيجاب، على معطيات المعاني.

على أن نفي الجرجاني لقيمة الألفاظ، لا يضع من قيمة ما أبدعه في سياقاته النحوية والبلاغية التي أسس بها للنقد الفقهي في الأدب العربي.

وكان على الذين جاؤوا في إثره من البلاغيين، ولا سيما أصحاب المعاني، أن يستثمروا معطيات «دلائل الإعجاز»، فيطوروا علم المعاني وفن البيان، في اتجاهات نقدية منهجية. ولكنهم قصروا عن ذلك، بل تقزموا وتقعروا بتكرير الجرجاني في قوالب تقعيدية جامدة، فأخذوا يشرحون كتابيه مرة، ثم يعودون إلى شروحهم فيختصرونها أو يلخصونها، ولا يلبثون أن يعودوا إلى مختصراتهم، فيتوسعوا فيها من جديد، دون إضافة شيء ذي قيمة، لا في البلاغة ولا في النقد الأدبي الذي أشرع الجرجاني أبوابه.

وعلى هذا النحو من التقعر انتكست نظرية الجرجاني التي أراد لها أن تكون مدخلاً لنقد أدبي موضوعي، فانتهى بها البلاغيون إلى تلك القوالب التقعيدية، كما هي في كتب البلاغة التي بين أيدينا اليوم.

المراجع

١. الجرجاني عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، ص٦٤.

من ٢ إلى ٩. المصدر السابق، ص٧٠، ١٩٨، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٠٧، ٣٣١، ٣٤٩، ٢٨٥.

١٠. د. محمد مندور، في الميزان الجديد ـ نظرية عبدالقاهر الجرجاني، ص١٨٥.

الأطفال الموهوبون في الروضة والعناية بهم

مها زحلوق
دمشق - سورية

الموهوبون هم الثروة الحقيقية لشعوبهم وأممهم، بل كنوزها الفعلية؛ إذ عن طريقهم يتوافر للدولة ما تحتاج إليه من رواد الفكر والعلم والفن الذين يفيدونها في شتى مجالات التطور والحياة.

وحتى يتمكن الموهوبون من إفادة بلدهم ومجتمعهم بما لديهم من مقدرات واستعدادات وطاقات، وحتى يكون إنتاجهم ذا قيمة ومعنى، فإن من اللازم إحاطتهم بالعناية والرعاية المناسبتين اللتين تمكنّانهم من ترجمة مواهبهم إلى أفعال قد تنعكس على شكل نتاجات إبداعية أصيلة، وقد يتم من خلالها إيجاد الكثير من الحلول لمشكلاتنا المعاصرة.

وتشير الدراسات المتعددة التي تعنى بالموهبة والموهوبين إلى أن العناية بالموهوبين والمبدعين، كلما تمت في وقت مبكر من حياة الأفراد الموهوبين، تيسرت ظروف أفضل للمربين والمهتمين لتنمية مقدرات الموهوبين واستعداداتهم بالشكل الأمثل، وبما يعود عليهم وعلى بلدهم بالخير والمنفعة، ومن ثم الكشف عن أكبر عدد ممكن من الطاقات والمواهب التي تقع في الصف الأول مما يمكن توظيفه في أي مجتمع من المجتمعات.

ولهذا السبب فقد افترض التربويون وعلماء النفس أن المكان الأنسب للعناية بالموهوبين والمتميزين ورعايتهم هو الروضة والمدرسة؛ ذلك لأن من أهم ما يتسم به



الطفل في مرحلة الروضة التفتح الذهني وتوقده، والقدرة الهائلة على التعلم واكتساب المعلومات والمعارف وتكوينها وتمثلها.

كما تشير هذه الدراسات إلى أن حياة عدد من الموهوبين الكبار والراشدين تميزت بطفولة اتسمت بنمو عقلي واضح ومطرد، رعته ـ سواء في الحضانة أو الروضة أو المدرسة ـ بيئة حافزة وملأى بالمثيرات، فولدت لديهم طاقات إبداعية قادتهم قُدُماً نحو التفوق والإبداع، ونحو التميّز والتفرّد.

فمن الأطفال الموهوبون في الروضة؟ وهل يمكن تحديدهم في مثل هذه السن المبكرة من حياتهم؟ وما أهم سماتهم؟ وما العوامل التي تتدخل في تكون الموهبة لديهم وتنميتها أو عرقلتها عن النمو؟ وكيف يمكن اكتشافهم والتنقيب عنهم؟ وكيف يمكن أن نعتني بهم ونرعاهم لمساعدتهم على تفجير طاقاتهم وإبداعاتهم، ومن ثم تكوين شخصية رجل الغد القادر على الخلق والإبداع؟

هذه الأسئلة وغيرها نتناولها في هذه المقالة.

من الأطفال الموهوبون في الروضة؟

يعتمد معظم ما نشر في الأدب التربوي، فيما يخص تحديد فئة الموهوبين عامة، على التعريف الذي تبنته اللجنة الحكومية للتربية في الولايات المتحدة الأمريكية بناءً على التقرير الذي قدّمه إليها مارلاند أحد مفوضي رجال التربية الكبار في عام ١٩٧١م؛ إذ يشتمل هذا التعريف على معظم الجوانب التي يأتي التربويون على ذكرها في هذا المجال. وفي هذا التعريف يقول: إن الموهوب هو ذلك الفرد الذي تمكّنه مَقدراته واستعداداته العالية من القيام بأداء متميز، ويحتاج إلى خدمات وبرامج تربوية خاصة فوق ما يقدمه إليه مجتمعه.

والموهوب هو ذلك الفرد الذي يُظهر بالفعل أداءً متميزاً، ولديه إمكانية القيام بهذا الأداء في واحد أو أكثر من المجالات الآتية: قدرة عقلية عامة، واستعداد دراسي خاص، وتفكير إبداعي، وقدرة على القيادة، فنون مرئية أو مسرحية، وقدرة نفسية حركية (الرياضة مثلاً)(١).

والشيء ذاته يمكن أن يقال فيما يخص الطفل الموهوب في الروضة، فالطفل الموهوب في الروضة هو الطفل الذي يحمل مَقْدرات واستعدادات غير عادية تقدم الدليل على وجود إمكانات إنجاز عالية في ميادين عقلية أو إبداعية أو دراسية أو اجتماعية أو فنية أو غيرها من الميادين أو المجالات التي تحظى بقبول الجماعة وتقديرها، وهو الذي يحتاج ـ للأسباب المذكورة أعلاه ـ إلى خدمات تختلف عن الخدمات التي تقدم إلى غيره من الأطفال العاديين، ولكن مع أخذ نقطتين في الحسبان، هما:

ـ خبرات الأطفال المتواضعة في التعبير عن مواهبهم في مثل هذه السن المبكرة، وأن الفرصة لم تتح لهم بعد لبلورة مواهبهم



تعامل الطفل مع الأجهزة الحديثة يوسع مداركه



الإجابة عن تساؤلات الطفل ضرورة لتنمية مواهبه وإكسابه الشجاعة لطرح آرائه

وتقديم إنتاجات متميزة ذات قيمة في المجتمع الذي يعيشون فيه.

ـ إن الحديث عن الموهبة في رياض الأطفال يعني الحديث عن الطاقة أو المقدرات الكامنة التي يستدل عليها من خلال السلوكيات الذكية والمتميزة التي يبديها الأطفال الموهوبون في مثل هذه السن، والتي يتوقع لها (أي الطاقة الكامنة) أن تعبر عن نفسها على شكل نتاجات متميزة وغير عادية في المستقبل، أي حين يصبح الطفل راشداً، إذا ما أحسنّا العناية بها، وإذا ما توافرت للطفل البيئة المواتية التي تساعده على تنمية ما وهبه الله عز وجل من مقدرات واستعدادات وإمكانات غير عادية.

سمات الأطفال الموهوبين في الروضة

تشير الدراسات التي تعنى بالموهوبين إلى مجموعة من السمات التي يتصف بها الأطفال الموهوبون في الروضة. ولدى مراجعة عدد من هذه الدراسات واستعراضها أمكن التوصل إلى أن من أهم ما يميز هؤلاء الأطفال الموهوبين في الرياض من غيرهم من الأقران العاديين ما يأتي(٢):

ـ التفوق في مستوى النمو الجسمي موازنة بأقراهم العاديين، فالأطفال الموهوبون عادة يكونون أكثر وزناً وطولا وقوة وأفضل بنية، وأوفر صحة وحيوية، وأحسن وسامة، وأقل عرضة للأمراض، وأكثر تفوقاً في التآزر البصري الحركي. ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد بين الأطفال الموهوبين من هو أقل حظاً في نموه الجسمي.

ـ استطاعتهم المشي والتكلم في سن أبكر مما هو عليه الحال لدى العاديين، وهم أقل عرضة للإعاقات الحسية والبدنية بشكل عام. على الرغم من استخدام الكثير من الموهوبين البالغين للنظارات الطبية إلا أن التفسير المنطقي لهذه الظاهرة هو إجهاد أعينهم نتيجة المذاكرة وكثرة المطالعة والسهر، وليس نتيجة لأي ضعف وراثي.

ـ التقدم الواضح على غيرهم في اللغة والأفكار، فمعدلات ذكائهم تعادل ذكاء من يكبرهم سناً بسنة أو سنتين أو أكثر في حالاتٍ من النبوغ، كما أن نموهم العقلي أو العمر العقلي لديهم يفوق سنهم الزمني ونموهم الجسماني، بينما يساوي العمر العقلي للطفل العادي تقريباً عمره الزمني.

ـ الحصيلة اللغوية العالية موازنة بأقرانهم العاديين، والقدرة على استخدام الجملة التامة عندما يريدون التعبير عن أفكارهم.

ـ السرعة والمنطقية في عمليات التفكير، والمقدرة على طرح التساؤلات، والفهم الجيد للعلاقات الموجودة بين السبب والنتيجة، ومنطق الطفل الموهوب لا يكتفي بكلمة (لأن...) بصورة مقتضبة، كما أنه لا يقبل أي

إجابة غير منطقية أو ناقصة.

ـ القدرة على القراءة في مثل هذه السن أي سن الخامسة أو سن الروضة، وقد تبدو لديهم القدرة على القراءة منذ السنة الثالثة أو الرابعة من عمرهم.

ـ القدرة على البدء في الكتابة وتعلمها إذا تلقوا مساعدة من الكبار.

ـ السهولة والسرعة والتلقائية في التعلم، والدافعية القوية للتعلم، وقد لا تنطبق السهولة والسرعة في التعلم على جميع الحالات، فعلى سبيل المثال يذكر أن إنشتاين لم يتعلم القراءة حتى سن الثامنة، ولكن بشكل عام يمكن القول: إن السهولة والسرعة في التعلم تنطبقان على معظم حالات الأطفال الموهوبين.

ـ وهناك عدد من الأطفال في الرياض يظهرون مواهب متميزة في الحساب والموسيقى والمقدرات الفنية إلى جانب المهارات اللفظية والفكرية، فقد يتمكن الطفل ذو الموهبة الحسابية من أن يحسب بالخمسات والعشرات، وأن يجمع ويطرح أعداداً مؤلفة من رقمين أو أكثر وهو لا يزال في هذه السن، وعلى سبيل المثال فقد ذكر أحد الأطفال الصغار في الروضة أن «هناك حتماً أرقاماً دون الصفر لأن الحرارة قد تنخفض إلى ما دون الصفر».

ـ الشغف بالكتب والقدرة على تركيز الانتباه مدة أطول من العاديين عندما يقومون بنشاطاتهم.

ـ تفضيل الألعاب التي تخضع لقواعد وقوانين، والألعاب المعقدة التي تتطلب تفكيراً، وغالباً مايميلون إلى أن يكون رفاقهم في اللعب أكبر منهم سناً.

ـ المقدرة على ترديد الأغاني والأناشيد والأشعار، ورواية القصص القصيرة والحكايات بشكل متسلسل ومترابط.

ـ الحب العالي للاستطلاع والاستكشاف.

ـ الثقة بالنفس، والجد في العمل، والمثابرة، والميل أكثر من غيرهم إلى المخاطرة والمجازفة.

وهناك عدد من السمات العامة التي تميّز طفل الروضة والمدرسة الموهوب من غيره من الأطفال العاديين. وهذه السمات هي:

«القدرة العالية على استرجاع المعلومات بسرعة، والفضول وحب الاستطلاع، والبصيرة الجيدة في ربط السبب بالمسبب، وتوجيه أسئلة بحثية كثيرة مثيرة للجدل والاستفزاز، واستيعاب المبادئ الكامنة بسهولة، والاكتفاء بالحد الأدنى من الإيضاحات والتفسيرات، والسرعة في الوصول إلى التعميمات، والاستماع إلى جزء من الشرح لا إلى التفسير كله، والقفز فوق الخطوات المنطقية في التعلم، وتخطي الملموس والمحسوس والانتقال منه إلى المجرد، واليقظة وقوة الملاحظة، وإيلاء أهمية أكبر للقصص والرويات والأفلام، والاستغراق مدة طويلة في الأشياء التي تلفت انتباهه، والمثابرة، والحرص على إنجاز المهام الموكلة إليه، ومن عاداته الاهتمام بالمسائل التي تشغل عادة بال الكبار مثل: الدين، والسياسة، والتلاعب بالأفكار بصورة ذكية، وخلطها بالتخيلات الجامحة والتصورات، وروح الدعابة، والطلاقة في الحديث، وحفظ ما قرأه بسرعة وتذكره، والقدرة المتقدمة على أقرانه في فهم التعبيرات اللغوية واستخدام المفردات اللغوية، والتعاطف مع الآخرين، ورقة الإحساس، وإدراك المشكلات بسرعة، واتخاذ المبادرات المناسبة بصددها»(٣).


البيئة المحيطة عامل أساس في إبراز مواهب الأطفال

والخصائص التي يتسم بها الطفل الموهوب عموماً «المقدرة العالية على القراءة المبكرة، وحصيلة جيدة من المفردات، وفهم أعمق لدقائق اللغة، وقدرة عالية على



اللين والتسامح يهيئان بروز الموهبة عند الطفل

التركيز والانتباه وقتًا طويلاً، وحفظ كمية كبيرة من المعلومات، وتعلم المهارات الأساسية بسرعة من دون تمرين، وحب عال للاستطلاع، وعمل الأشياء والتجارب بطرائق مختلفة، وتركيب الأفكار والأشياء بطريقة غير عادية، وبديهة حاضرة، وتعدد في الميول والمواهب»(٤).

وعلى الأهل والمربين الإلمام بمثل هذه الخصائص وتعرّفها، وفي ذلك ما يساعدهم على تفهم طبيعة مواهب أطفالهم وحاجاتهم ومتطلباتهم، وكيفية التعامل معها أو معهم، والحيلولة دون إعاقة مثل هذه المواهب عن النمو، خاصة - كما يقول تورانس -: إن المربين والمعلمين لا يميلون عادة إلى التعامل مع الطفل الموهوب، ومرد ذلك إلى ما يتصف به الطفل الموهوب من خصائص غير عادية تتطلب تخطيطًا وأنشطة خاصة، مما يعني بذل جهود خاصة وإضافية معهم، ولكن الطفل الموهوب بشكل عام، إذا لم يتم تفهم طبيعة موهبته والخصائص المرتبطة بها، فقد ينقلب إلى طفل مشاكس، لإشغال الأهل والمربين به. وقد تضيع مواهبه سدى قبل أن يتاح لها الظهور والنبوغ.

ينبغي اتخاذ الحيطة والحذر في وضع القرارات بشأن أطفالنا الموهوبين؛ لأن هذه السمات أو الصفات المذكورة من الممكن أن يوجد بعضها لدى العاديين، كما أنها تختلف من حيث شدة وجودها بين طفل وآخر من الأطفال الموهوبين، وكذلك بين غيرهم من الأطفال.

عوامل تشكيل الموهبة

الموهبة سمة فريدة ومتفردة حبا الله بها فئةً محدودة من الأفراد تميزت من غيرها من الفئات أو الأفراد العاديين بالنمو العقلي الواضح والتميّز والتفوق،

وبالقدرة على الخلق والإبداع والتجديد.

وينطبق هذا الكلام على النشء في الابتدائية والإعدادية والثانوية، كما ينطبق على الأطفال في رياض الأطفال. والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا هو: لماذا يكون الأمر كذلك؟ أو بمعنى آخر: لماذا توجد الموهبة لدى بعض الأفراد دون غيرهم؟ أو ما العوامل التي تتدخل في ظهور الموهبة وتكونها لدى الأطفال عموماً، وفي الرياض خصوصاً؟

وفي الإجابة عن ذلك، ولدى مراجعة الكثير من الدراسات والأبحاث في الأدب التربوي والأدب النفسي نقول: هناك عدد من العوامل التي تؤثر في نمو المواهب وتكوّنها، وتعمل على نشوء الاختلاف في مستواها بين طفل وآخر، ولنقل تعمل على وجودها لدى فريق منهم، وبشكل ظاهر دون غيرهم، ويمكن إجمالها في قسمين رئيسين هما: العوامل الوراثية، والعوامل البيئية، وسوف نفصل في كل واحدة منها بغية الإيضاح، دون أن ننسى التفاعل المهم الذي يقوم بينهما، ودون الخوض في مسألة رئيسة طال الجدل حولها وهي: أيهما المسؤول بدرجة أكبر عن الموهبة: الوراثة أم البيئة؟ وسوف يكون التفصيل بالعوامل البيئية أكثر لأنه يمكن لنا أن نتحكم بالعوامل البيئية بدرجة أكبر بكثير من تحكمنا بالعوامل الوراثية.

العوامل الوراثية:

مما لاشك فيه أن الفروق الفردية في المواهب عند الأطفال تعود في قسم منها إلى عوامل وراثية، وهذه حقيقة ثابتة لا نستطيع نكرانها، والشواهد على ذلك كثيرة، فالعالم الأمريكي الشهير آرثر جينسن يذكر مثلاً: «أن الوراثة أهم بكثير من أية عوامل أخرى في تقرير الموهبة والذكاء»(٥). ويأخذ العالم الإنجليزي غالتون بالمنحى ذاته في تقريره، لأثر العوامل الوراثية في الموهبة والذكاء(٦).

والشواهد التي تؤيد دور العوامل الوراثية في المواهب كثيرة ومتعددة، فمثلا يذكر روشلان: «أن الاختلافات الفردية في مستويات الموهبة تعود بشكل أكيد إلى العوامل الوراثية والتي يبرز تأثيرها بشكل خاص في قابلية الفرد للتعلم»(٧).

وهناك من يحدد نسبة تدخل العوامل الوراثية في المواهب بمقدار الثلث أو الثلثين، ولا نريد أن نناقش - وكما ذكرنا - هذه المسألة التي طال الجدل والخلاف حولها، وإنما كل ما يهمنا القول: بأن للعوامل الوراثية دوراً مهماً في تقرير الموهبة ونموها لدى الأطفال، وأن الطفل الموهوب هو الطفل الذي حظي بنعمة الجمع بين وراثة غير عادية وبيئة مواتية، مما يمكنه من تحقيق نمو مستمر في مواهبه وتكوّنها، وذلك من خلال التفاعل المستمر مع بيئته.

العوامل البيئية:

بيّنت الدراسات أن الأطفال الذين وجدوا في بيئة حرة طليقة غير مقيدة، استطاعوا أن يتعلموا في سن مبكرة بدرجة أكبر من أقرانهم الذين وجدوا في بيئات منغلقة

يتجه الحديث هنا في العوامل البيئية إلى أكثر من جهة من الجهات المتصلة ببيئة الطفل المحيطة، وما تحمله هذه البيئة من مثيرات، وما تتركه هذه المثيرات من بصمات في نمو الموهبة وتكوّنها، أو الحدّ منها لدى الأطفال. ومن بين هذه العوامل تأثر موهبة الطفل التأثر البالغ بما تهيئه له أسرته من فرص تربوية وثقافية واجتماعية، ومن وفر مالي، فقد وجد أن الكثير من الموهوبين قد تعلموا القراءة من الأسرة وبجهدهم وهم لا يزالون في الرياض وقبل دخولهم المدرسة، وأن الجو العام الذي يحيط بالأسرة كان أميل إلى الغنى في المؤثرات التربوية والثقافية، وأميل إلى الاستقرار في الجو العام العاطفي والاجتماعي، وإلى حسن التعامل بين الوالدين والأولاد، كما وجد أنّ آباء الأطفال الموهوبين والمبدعين وأمهاتهم كانوا أقل ميلاً إلى السيطرة والتسلط على أطفالهم، ويتيحون لأطفالهم الحرية الكاملة لاتخاذ القرار الذي يراه الطفل مناسباً، كما يتيحون لهم الفرصة لاكتشاف البيئة من حولهم،

وكثيراً ما يقرؤون الكتب والقصص أمام أطفالهم، وغالباً ما يفضلون أسلوب التوجيه، ونادراً ما يلجؤون إلى العقاب الجسدي(٨)، كما تبيَّن في دراسة أخذت أطفالاً من طرفي المتوسط من حيث ذكاؤهم، أن الموهوبين أكثر ارتقاءً في مستواهم الاجتماعي من الأطفال المتخلفين. ولقد أظهرت نتائج الكثير من الدراسات العلمية وجود علاقة جوهرية بين قدرات الأطفال الإبداعية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للأسر التي ينتمون إليها(٩).



الانطلاق من أسباب تفتح المواهب

وفي دراسة لشيفر (Schaefer - 1970) تبين أن آباء الإناث الموهوبات وأمهاتهن (في سن المراهقة) كانوا على درجة جيدة من الثقافة، وأن غالبية أمهات الإناث المبدعات يعملن خارج المنزل، كما تبيّن أن كلاً من الوالدين لديه اهتمامات ثقافية وأنشطة عقلية أكثر من الاهتمام بالتنظيمات الاجتماعية، وأن آباء المبدعات وأمهاتهن يقرؤون بمعدل أكثر من المتوسط، ولديهم هوايات إبداعية(١٠). وفي دراسة أخرى للعالمين فرنون وزوجته دوروثي تبيّن أن القسوة والتسلط يسببان الضرر البالغ والتعطيل الأكيد لنمو مواهب الطفل وقدراته، وأن الديمقراطية تدعم الثقة بالنفس، وتزيد من درجة الإحساس بالمسؤولية، والرغبة في التعلم(١١).

وقد وجد أن للفقر دوراً مهمّاً في الحد من نمو الذكاء عند الأطفال، فقد تبين لدى (بيرت) مثلا في دراسة له أخذ فيها عدداً كبيراً من المتخلفين، أن ما يقرب من نصف المتخلفين في منطقة لندن ينتمون إلى أسر فقيرة جداً أو ضعيفة الدخل، بينما لا يمت منهم إلى أسر ميسورة سوى ما يقارب ١٠٪(١٢). وقد تبيّن للطحان في دراسة له أخذ فيها ٧٧ طفلاً متخلّفًا دراسيًا أن معظم أفرادها ينتمون إلى مستوى اقتصادي واجتماعي دون الوسط(١٣).

وعلى هذا الأساس فقد تبدو آثار الفقر واضحة في اضمحلال الجو الثقافي العام والوسائل الترفيهية العامة في البيت، والضرورية لنمو مدارك الطفل وثقافته مثل التلفاز والستلايت والحاسوب (الكمبيوتر) والمجلات والقصص والكتب ووسائل اللعب بما فيها ألعاب الليكو والرحلات والنزهات العامة، وكذلك تبدو آثاره في سوء التغذية، فالأسرة التي يكون دخلها غير كاف لا تستطيع تأمين البروتينات والفيتامينات الضرورية لنمو أطفالها، وتوفير الشروط الصحية من مسكن وملبس.

ولعله من المناسب أن يذكر هنا أن كل الباحثين في موضوع الطفل وصحته يلحون على موضوع التغطية والعناية بالأمراض لما لها من أثر سيئ في التقدم العقلي والنشاط الجسدي(١٤). كذلك يكون من المناسب أن يذكر هنا أن الموهوبين والمتفوقين يميلون عادة إلى أن يكونوا بأكثريتهم في صحة جيدة بشكل استثنائي، ومع ذلك فمن الممكن في حال أسر ميسورة الدخل أن يكون أثرها سلبيًا في نمو طفلها.

فتفكك الأسرة نتيجة الطلاق أو غياب أحد الزوجين، أو تعدد الزوجات، أو وجود جو تستمر المشاحنات فيه، يمكن أن يؤدي إلى اضطراب الطفل عاطفيًا وحرمانه من الحنان الذي يحتاج إليه في نموه الطبيعي.

ويمكن أن نضيف إلى ما سبق، ضعف الجو الثقافي الفكري في البيت، وعدم الاكتراث لتوافر الشروط المالية. فكثيراً ما نجد بعض الآباء لا يحققون رغبة أطفالهم في اقتناء قصة جيدة، ولا يهتمون بمعرفة سير نموهم، ويكون نتيجة ذلك ضمور الجو الفكري. وهذا ما أثبتته دراسات (مكارلثي) حول علاقة البيئة الثقافية العالية في التحصيل اللغوي بقولها: «إن الأطفال في البيئات الاجتماعية المتوسطة أو العليا تكون حصيلتهم اللغوية أكبر من حصيلة الأطفال في البيئات الاجتماعية الدنيا، الذين يعانون من نقص في التجارب، وفي تنوع المثيرات، وفي الخلفية الثقافية التي توفرها البيئات العادية أو الغنية للطفل»(١٥). وحول المحيط الفكري لأسر الموهوبين، لعل من المناسب أيضاً أن نذكر هنا ما أشار إليه سكولرز حين ذكر أن المحيط الفكري لأسر الموهوبين غالبًا ما يتميز بالنشاط الذهني كالقراءة والكتابة والاستماع إلى الموسيقى وزيارة المتاحف والمكتبات وحضور المسرحيات، وغالبًا ما تكون القراءة والكتب جزءاً من عملية الاستجمام(١٦).



تشجيع الطفل ينمي موهبته ويوفر له الحافز للتفوق

بقي القول: إن الانطلاق والحرية في استغلال البيئة يؤثران باطّراد في نمو الذكاء والمواهب، فلقد بينت الدراسات أن الأطفال الذين وجدوا في بيئة حرة طليقة غير مقيدة، استطاعوا أن يتعلموا في سن مبكرة بدرجة أكبر من أقرانهم الذين وجدوا في بيئات منغلقة.

وخير ما نختم به هذه الفقرة ما ذكره هالاهان وكوفمان في معرض حديثهما عن أثر العوامل الحياتية (البيولوجية) والاجتماعية والثقافية في الموهبة العقلية حين قالا: «ليس من المستغرب أن يكون الاحتمال الغالب لوالدين لامعين أن يكون أولادهما موهوبين، وأن يكون هذا الاحتمال أعظم في حالهما مما هو في حال والدين متوسطي الذكاء، وليس من المستغرب القول: إن البيئة الغنية ثقافيًا تقدم زاداً يساعد على نمو الموهوب أكثر بكثير مما تفعله

بيئة فقيرة ثقافيًا، ويكمل الباحثان الشرح قائلين: إن مما هو معروف جيدًا أن الاحتمال الإحصائي للموهبة يزداد حين يكون لدى الوالدين حاصل ذكاء مرتفع فوق المتوسط، ويوفران لولدهما بيئة ترتفع على المتوسط من حيث المؤثرات فيها(١٧).

إن أطفالنا الموهوبين في الرياض هم أمانة في أعناقنا، والاهتمام بهم في مثل هذه السن المبكرة تعني الاهتمام بمنابع الإبداع لدى الأمة ومكامنها.

والأطفال الموهوبون في الرياض اليوم هم الأمل الواعد والجيل الصاعد، وبمقدار ما نهتم بهم ونرعاهم ونوفر لهم الظروف المواتية لتنمية مواهبهم واستعداداتهم، يكونون مستقبلاً أكثر خيرًا وأكثر عطاءً لأهلهم وبلدهم ومجتمعهم.

وإذا ما سلمنا بأن نمو الفرد عمومًا والموهوب خصوصًا من الجوانب المشكّلة لشخصيته كافة، بما فيها الجوانب العقلية والانفعالية والاجتماعية والجسدية وغيرها، يتأتى نتيجة لتفاعله المستمر مع المحيط الذي يعيش فيه بكل ما ينطوي عليه هذا المحيط، وأن هذا التفاعل يبدأ منذ الولادة، وإذا ما علمنا أيضًا أنه من الممكن التدخل في العوامل المحيطة التي تؤثر في نمو الفرد وتطوره، أمكن القول بأن الاهتمام بهذا الفرد عمومًا والموهوب خصوصًا في وقت مبكر من حياته، ومنذ نعومة أظفاره يكتسب أهمية خاصة، ويساعد الموهوبين - على وجه الخصوص - على تفجير طاقاتهم وإبداعاتهم بالشكل الصحيح والمثمر. فلنعمل - قدر الإمكان - على توفير هذه الشروط المحيطة في مثل هذه السن، وما يساعد على تنمية مواهب أطفالنا واستعداداتهم ومقدراتهم.

وتشير نتائج البحوث والدراسات التي أجريت منذ أمد طويل حتى الساعة إلى أن للبيئة المحيطة بالطفل دورًا كبيرًا في تشكيل ذكائه وموهبته، وعندما نقول «دعوا الأطفال يعيشون طفولتهم» نعني بذلك الإشارة إلى أنماط البيئة المحتملة، فقد تكون البيئة غنية وملأى بالمثيرات والحوافز، وتساعد الموهوب على الوصول إلى مستوى عال من الموهوبية، وقد تكون فقيرة تساهم في إهدار طاقاته وقدراته وطمسها، هذا إن لم نقل وأدها.

كيف يمكن الكشف عن الأطفال الموهوبين في الروضة؟

وفي الإجابة عن ذلك نقول: يمكن الكشف عن الأطفال الموهوبين في الروضة عن طريق الملاحظة المباشرة لعدد من الأنشطة والفعاليات وأنماط السلوك التي يقوم بها الأطفال وهم في باحة اللعب أو حجرة الصف، فإذا لاحظنا على سبيل المثال أو اكتشفنا أن هناك من يتعلم بسرعة دون الحاجة إلى الإعادة والتكرار، أو أن هناك من يفكربشكل فيه من المنطقية ما يلفت النظر إليه، أو أن هناك من يميل ميلا شديدًا إلى النكتة وحب الفكاهة، أو أن لديه حبًا للزعامة على أقرانه، أو للالتقاء مع أطفال يكبرونه سنًا، أو اكتشفنا من يفضل ممارسة الألعاب التي تحتاج إلى فك وتركيب وإعادة تكوين، أو من يملك مهارة فائقة في الرسم واستخدام الألوان، أو اكتشفنا أن هناك من يلح في طلب السؤال لاستجلاء الغامض مما يحيط به من مواقف، أو أن هناك من يتعامل مع الأرقام الحسابية بطريقة مغايرة لما هو متعارف عليه لدى أقرانه، أو أن لديه القدرة على التعرف وبسرعة إلى المفاهيم والحجوم والموازنة بينها من مثل (فوق - تحت) (قبل - بعد - بين) (أكبر - أصغر)... إذا اكتشفنا جانبًا أو أكثر من الجوانب المذكورة تأكدنا من مجموعة من السمات التي تؤيدها الدراسات التي تعنى بخصائص الموهبة والموهوبين، والتي ذكرت في فقرات سابقة.

من السمات التي يتصف بها الأطفال الموهوبون في الروضة: التفوق في مستوى النمو الجسمي، واستطاعتهم المشي والتكلم في سن أبكر مما هو عليه الحال لدى العاديين، والتقدم الواضح على غيرهم في اللغة والأفكار، والسرعة والمنطقية في عمليات التفكير، والسهولة والسرعة والتلقائية في التعلم

ولابد من تدعيم هذه الملاحظة المباشرة لعدد من السلوكيات التي يقوم بها الأطفال في مثل هذه السن، والتي تشير إلى وجود الموهبة لديهم، بعدد من المقاييس الخاصة التي تساعد على الكشف عن مثل هؤلاء الأطفال الموهوبين في الروضة، ونذكر من هذه المقاييس على سبيل المثال لا الحصر:

ـ مقياس بركن للمفاهيم الأساسية BBCS، ويتكون هذا المقياس من ٣٠ فقرة، ويستخدم للكشف عن المتميزين والموهوبين في الروضة وفي الصف الأول الابتدائي، ويتضمن سلسلة من الصور التي يطلب فيها من الأطفال اختيار الصورة المناسبة.

ـ مقياس وكسلر لذكاء أطفال ما قبل المدرسة WESC-R, ويستخدم لقياس القدرات العقلية العامة للأطفال مابين (٣ – ٧) سنوات.

ـ مقياس تورانس للأداء والحركة، ويتكون من أربعة أنشطة أدائية، الغرض منها الكشف عن قدرات الأطفال الإبداعية بين عمر (٣ –٨) سنوات(١٨).

ـ مقياس برايد (١٩٨٣م) ويستخدم لقياس مظاهر الموهبة لدى أطفال ما قبل المدرسة من عمر (٣ ـ ٦) سنوات(١٩).

ونحن حين نقول: لا بد من تدعيم ملاحظتنا المباشرة لعدد من السلوكات التي يبديها الأطفال، والتي تشير إلى وجود الموهبة لديهم، بعدد من المقاييس الخاصة، لا ننصح باستخدام مثل هذه المقاييس إلا من قبل المتخصصين في التقويم والقياس، والمتمرسين به.

ويرى التربويون اليوم أن عملية الكشف عن الموهوبين يجب أن تتم في مرحلة مبكرة من حياتهم؛ لأن في ذلك ما يساعد على توفير الخدمات والبرامج التربوية والتعليمية المناسبه لهم، لتحقيق أكبر قدر ممكن من النمو في القدرات والإمكانات لديهم، ويرون أن عملية الكشف هذه إذا لم تتم بسهولة في مرحلة الروضة فيجب أن تكون الموهبة قد عبّرت بوضوح عن نفسها في المرحلة الابتدائية، وبالتحديد في السنوات الثلاث الأولى منها.

يضاف إلى ما ذكر أنه يمكن للأهل أيضاً اكتشاف أولادهم الموهوبين في منازلهم، أو وهم لا يزالون بعد في مرحلة الحضانة أو الروضة وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ـ هل يفوق الطفل أقرانه ممن هم في سنه في الكلام؟ وهل يظهر تدفقًا في استخدام حصيلته اللغوية؟

ـ هل يبدي قدرة على التحليل والإبداع والخيال لدى مواجهته للمشكلات؟

ـ هل هو شغوف بأكثر من شيء واحد؟ وهل يسعى للمزيد من المعرفة عن هذه الأشياء؟

يمكن الكشف عن الأطفال الموهوبين في الروضة عن طريق الملاحظة المباشرة لعدد من الأنشطة والفعاليات وأنماط السلوك التي يقوم بها الأطفال وهم في باحة اللعب أو حجرة الصف

ـ هل يسأل أسئلة كثيرة ومتنوعة ذات مغزى ودلالة؟ وهل يهتم حقًا بالإجابة عنها؟

ـ هل يحب الكتب؟ هل يمكنه التمييز بين بعض الكلمات المكتوبة، وهل يفهمها؟ هل يرغب في القراءة؟ هل يطلب المساعدة على تعلمها؟

ـ هل يبدي اهتمامًا مبكراً بالزمن وساعات الحائط والتقاويم التي تعلق على الجدران؟

ـ هل يمكنه التركيز والانتباه إلى موضوع معين وقتًا أطول مما يستطيع معظم أقرانه؟

ـ هل هو من الناحية الجسمية أكثر وزنًا وطولا وأصلب عوداً من معظم أترابه في العمر نفسه؟إن الإجابة عن مثل هذه الأسئلة تساعدنا على تعرّف أطفالنا الموهوبين في منازلنا، فالقدرة على الكلام والمشي في سن مبكرة، والإلحاح في طلب الأسئلة المتعددة عن الأسباب، والسهولة في استخدام المفردات والأفكار والكلمات كلها دلالات مهمة يجب أن نلاحظها وأن تؤخذ في الحسبان.

إن معظم نظريات الموهبة والإبداع تؤكد أهمية

مرحلة التنشئة المبكرة للأطفال عموماً، وللموهوبين والمتميزين خصوصاً، إذ يؤدي الاهتمام المبكر بالأطفال إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من النمو في القدرات والإمكانات لديهم، وتزداد سهولة الكشف عن الموهوبين في حال وجود مستوى عالٍ من التميز والموهبة، فتكشف الموهبة عن نفسها، ويؤكد الباحثون ضرورة هذا الكشف وتعرّف المواهب في وقت مبكر، إذ كشفت تجاربهم عن وجود مقدرات غير طبيعية عند الموهوبين تبدأ بالظهور في السنوات الأولى من العمر، وهم قادرون على حل أعقد الألغاز، وتذكّر أدق التفاصيل لأحداث مروا بها(٢٠).

كيف يمكن أن نعتني بأطفالنا الموهوبين في الروضة؟

وفي الإجابه عن ذلك ـ وفي ضوء ما سبق وتم ذكره من فقرات ـ نقترح أن تتضمن مسألة العناية بالأطفال الموهوبين في الرياض ما يأتي:

ـ التركيز في قضية مهمّة وأساسية وهي ضرورة استغلال مرحلة ما قبل المدرسة ـ وخاصة في رياض الأطفال ـ في رعاية المواهب، وذلك لما للتربية والتنشئة في سن مبكرة من أهمية في أي أمر نرغب في تعليمه وصياغته عند الأطفال، ولما للتربية في سن مبكرة من أثر في الأطفال عموماً وفي الموهوبين خصوصاً، وهذا ما أكده بلوم منذ عام ١٩٦٤م حين أشار إلى أن التأثير الحتمي للظروف البيئية يحصل بين السنة الأولى والسنة الرابعة من عمر الطفل، وما أكده فلين دومان عام ١٩٦١م من قبله حين أشار إلى أن عملية التعلم تبدأ منذ الولادة. وحين يبلغ الطفل الخامسة من عمره ويذهب إلى الروضة أو المدرسة يكون قد اكتسب قدراً كبيراً من المعلومات يضاهي من حيث النسبة جميع ما سوف يتعلمه في بقية حياته، فالطفل عند دخوله الروضة يكون قد تعلم الحقائق الأساسية عن أسرته وجيرانه ورفاقه وأقاربه، واكتسب لغته الأم. وعملية التعلم عند الطفل في سنواته الأولى تسير بسرعة هائلة إذا لم يُعِقْها أو يعطلها عائق ما؛ فالرغبة في التعلم عند الطفل جذوة لاهبة، وعلى الأهل والمربين أن يكونوا على علم ودراية بذلك، وأن يحاولوا الاستفادة القصوى من هذا الاستعداد الفطري الذي يملكه الطفل.

ويضيف دومان إلى ذلك أن دماغ الطفل يبلغ ٨٠٪ من حجمه النهائي خلال السنوات الخمس الأولى من عمره، لذلك فإن مرحلة ما قبل المدرسة تعدّ فترة حاسمة في حياة الطفل، كما يشير إلى أن عمله الطويل في معهد إنماء الطاقات البشرية مدة تزيد على عشرين عاماً تدعوه إلى القول: بأن ما قبل الخامسة من العمر تعدّ الفترة الذهبية لتعليم الطفل معظم الحقائق، حيث تتبلور شخصيته خلالها من جراء تفاعله مع الأسرة ومع المربية ومع أترابه من الأطفال(٢١).


استغراق الطفل في فهم الأشياء من دلائل النبوغ

ـ إغناء بيئة الطفل بالمثيرات الفكرية (وبخاصة اللغوية) والثقافية والاجتماعية، لأن الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة ـ وكما ذكرنا في الفقرة السابقة ـ لديه

القدرة الهائلة على التعلم. ولما للتربية في سن مبكرة من أهمية فقد قيل: (أعطني طفلا للسنوات الثماني الأولى من حياته ولك بعد ذلك أن تفعل به ما شئت). والأمثلة على أثر هذه العناية في سن مبكرة، وإغناء بيئة الطفل بالمثيرات المتنوعة في بلدان العالم كثيرة ومتعددة ونورد منها ما يأتي:

ـ الحالة التي أشار إليها فلين دومان وهي حالة الصبي آفي روكسان الذي كان يتقن تسع لغات وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره، فقد ولد في القاهرة وكان الجو


العناية المبكرة بمواهب الطفل تزيد من قدراته مستقبلا

العائلي غنيًا باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية، وكان جده تركيًا وعاش مع العائلة، وعندما نزحت العائلة إلى فلسطين انضمت إليه جدته لأبيه وهي إسبانية، وفي فلسطين تعلم العبرية والألمانية، وعندما بلغ الطفل السادسة نزحت الأسرة إلى البرازيل فتعلم البرتغالية.

ـ والحالة التي أشار إليها لويس ترمان، وهي حالة الطفلة (مارتا) التي بدأ أبوها المحامي يعلمها القراءة وعمرها لم يتجاوز بعد تسعة عشر شهراً مستغلاً في ذلك تعليمها الحروف المكتوبة باللون الأحمر وبأحجام كبيرة، وقد أذهل ترمان هذا النجاح الذي حققه والد الفتاة، وكتب عنها قائلا: من المرجح أن هذه الطفلة تحمل الرقم القياسي العقلي للقراءة المبكرة، فعندما كان عمرها ٢١ شهراً كانت تقرأ وتفهم الجمل البسيطة، وترى فيها أفكاراً مترابطة لا كلمات معزولة، وعندما أصبح عمرها ٢٦ شهراً استطاعت قراءة ما يزيد على ٧٠٠ كلمة، وقد قرأت هذه الطفلة لأحدنا بفهم ونطق سليمين في كتب القراءة الأولى التي لم تكن عينها قد وقعت عليها من قبل، وهي لم تتجاوز الخمسة والعشرين شهراً.

ـ وأيضاً حالة السير فرانسيس غالتون العالم الإنجليزي الشهير الذي تعلم القراءة وهو في السنة الثانية والنصف من عمره، ولقد تمكن هذا العالم من كتابة رسالة قبل أن يبلغ الرابعة، وفي الخامسة كان بإمكانه أن يقرأ معظم الكتب الإنجليزية وبعض الكتب بالفرنسية، وكان في هذا العمر يعرف معظم جدول الضرب، وكان بإمكانه أن يدل على الوقت.

وتذكرنا هذه الحالات بحالات كثيرة من أفراد في مجتمعات متعددة قالوا الشعر في وقت مبكر من حياتهم، وحلوا مسائل رياضية يتصدى لها عادة أبناء العشرين وهم لم يتجاوزوا بعد السابعة من عمرهم، وأبدعوا موسيقى عظيمة أو رسوماً مرموقة المكانة، وهم بعد في عمر الطفولة. وحالة الفتى الإيراني محمد حسين طباطبائي، والتي كتب عنها مؤخراً في الصحف والجرائد

الرسمية، هي واحدة من هذه الحالات، فقد تمكن محمد - حيث يوصف بأنه خارق الذكاء - وهو الآن في سن السابعة من العمر، تمكن من حفظ القرآن الكريم كاملاً، ومن ترجمة معانية ودلالاته من العربية إلى الفارسية، وقد حصل هذا الفتى على شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية من جامعة تبريز الإيرانية كما منح مؤخراً وفي عام ١٩٩٨م شهادة دكتوراه فخرية في العلوم القرآنية من جامعة الحجاز في بريطانيا(٢٢)

إن هذه الحالات ربما تكون نادرة، ولكن هذا لايمنع من محاولتنا مع أطفالنا الإفادة منها، وبتعليمنا إياهم ألواناً كثيرة من الأنشطة والتي من الممكن أن تدفع بهم قدماً نحو التفوق والإبداع.

- التعامل مع أطفالنا المعاملة المستندة إلى الفهم والدراية لخصائص الأطفال الموهوبين، وما يمكن أن يتعلموه، وأن تتسم هذه المعاملة باللين والاعتدال دون القسوة أو الإذلال.

- التسامح مع أخطاء أطفالنا، والبعد عن العقاب المؤذي، وبخاصة الجسدي منه، وتجنب الأساليب التسلطية والقهرية.

- البعد عن الحماية الزائدة للأطفال والمبالغة في التدليل لأن في ذلك ما يعرقل نمو المواهب لديهم، ويعودهم على الاتكالية والسلبية وعدم الثقة بالنفس.

- توفير البيئة الانفعالية المستقرة التي تتميز بانفتاح المجال وعدم تغييره، وذلك عن طريق:

- إظهار الاحترام والتقدير لكل تساؤلات الأطفال وأفكارهم.

- عدم الاستخفاف أو السخرية من أفكار الأطفال وإنتاجهم.

- تجنب التعبير عن الاستياء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من الاتجاهات الخيالية التي يبديها الأطفال أو الألعاب التخيلية التي يقومون بها.

- تشجيع الأفكار المختلفة غير العادية والمبدعة وتقديرها لديهم(٢٣).

- عدم المغالاة في تنميط الدور الجنسي والتصنيف بحسب الجنس.

- مساعدة الطفل على التعلم من الخبرات الخاطئة.

- السماح بقدر كاف من الحرية في العمل والتعبير، واختيار الخبرات وأوجه النشاط التي يمارسها الأطفال.

- مكافأة الطفل عندما يعبر عن فكرة جديدة أو مواجهة موقف ما بأسلوب إبداعي.

- تشجيع الطفل على التعبير عن مشاعره واندفاعاته وخيالاته عن طريق التمثيل والرسم والتصوير والغناء والرقص وصنع النماذج والقوالب وغيرها من الأساليب التي تساعد على خلق أشياء جديدة.

- الإلحاح على وجود الألعاب المنظمة والهادفة، الفردية منها والجماعية، لتنمية القدرة على الخلق والإبداع والسيطرة، لأن الطفل - عن طريق اللعب - يستطيع اكتشاف ميوله وهواياته، وتعلّم الملاحظة والمنطق والصبر ومخالطة المجتمع، وعن طريق اللعب - كما يؤكد بياجيه - يستطيع اكتشاف الأشياء والحصول على المعلومات والخبرات التي لا يستطيع الحصول عليها من مصادر أخرى، وقد ذكر أحد علماء النفس أن للصغار عملا يزاولونه هو اللعب.

تفكك الأسرة نتيجة الطلاق أو غياب أحد الزوجين، أو تعدد الزوجات، أو وجود جو تستمر المشاحنات فيه، يمكن أن يؤدي إلى اضطراب الطفل عاطفياً، وحرمانه من الحنان الذي يحتاج إليه في نموه الطبيعي

- تزويد حجرة الصف في الروضة بعدد من الوسائل التعليمية الهادفة، كالكتب المصورة، والقصص المبسطة، والورق والكرتون، وألعاب الليكو، والكتب التي تقترب من الألعاب، كالكتب المصنوعة من الورق المقوى أو القماش، والتي فيها أجزاء تتحرك أو أجزاء تتجسم إذا ما تم فتح صفحاتها، وفي هذا ما يساعدهم على حب القراءة.

- مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، والإيمان بفكرة تفريد التعليم ومراعاتها في البرامج التعليمية وأساليب التعليم والإكثار من الفعاليات والأنشطة الحرة.

- إيجاد الوضع المشكّل للطفل، وتوجيه الأسئلة

المناسبة في الوقت المناسب، وتقديم المعلومات الضرورية، وترك الطفل بعد ذلك ليكوِّن مفاهيمه، ويجد الحل الأفضل، مما ينمي فضوله وحسه المبدع والريادي.

ـ تكليف الأطفال بمهمات قيادية لتنمية حب الزعامة، وبمهمات تعاونية مع الآخرين لتنمية روح الجماعة.

ـ تكليف الأطفال برسم مخططات للعب، وبوضع برامج للرحلات والنزهات لتنمية القدرة على التخطيط والتنظيم والتصميم.

ـ تخصيص صندوق دعم مادي لأولئك الذين يأتون من أسر ضعيفة الدخل أو ذات دخل محدود جداً.

ـ تشجيع الأطفال على ممارسة المواقف الإبداعية، وعلى تحمل المسؤولية منذ الصغر، إذ إن هذا التشجيع على الاستقلالية الشخصية، وحرية استكشاف البيئة والعالم المحيط بهم يساعدانهم على تزايد درجات الإبداعية والموهوبية لديهم.

ـ تشجيع الأطفال على طرح الأسئلة وإثارتهم لممارسة الأنشطة الفاعلة، ودفعهم إلى المناقشة والنقد البناء.

ـ تقديم أسئلة مفتوحة للأطفال من خلال أنشطتهم اليومية كلما أمكن ذلك، كأن نقرأ قصة قصيرة لهم، ثم نتوقف عن القراءة قبل الوصول إلى نهاية القصة، ونسأل الأطفال عن نوعية تفكيرهم فيما يمكن أن تكون عليه نهاية هذه القصة، وعن كيفية تفكيرهم في نهايات مختلفة ومحتملة لهذه القصة. وبحيث تكون هذه القصة جديدة عليهم ومختلفة عن أي قصة سمعوها، وبذلك نعلمهم كيفية التعلم الإبداعي وأسلوب حل المشكلة.

ـ تدريب الأطفال على الحديث عن أي فكرة يفكرون فيها.

ـ إتاحة الفرصة أمام الطفل للتعبير عن فكرته ومساعدته على توضيحها ونقلها.

ـ إعطاء وقت كاف للتفكير وأحلام اليقظة، أي ما معناه الانتظار فترة أطول للإجابة عن أسئلة الأطفال، كأن ننتظر خمس ثوان أو أكثر قبل الإجابة عن السؤال الذي يطرحه أحد الأطفال، وبعد ذلك نقوم بإعادة صياغة السؤال بعبارة أكثر وضوحاً، وفي هذا ما يتيح للأطفال فرصة التفكير وصياغة الاستجابة بلغة واضحة.

ـ تهيئة برامج في الروضة أو البيت لتنمية القدرة على الموهبة والإبداع لدى الأطفال تتضمن أنشطة إثرائية متعددة هادفة وموجهة، مثل القصص التخيلية والموسيقى والرحلات والنزهات وزيارة المتاحف والحدائق العامة.

وبشكل عام نؤيد ما ذهب إليه الشاروني في حديثه عن الموهوبية والإبداع، فقد أشار إلى أنه قد لوحظ أن ما يساعد على تنمية الموهبة والإبداع أن يوجد الطفل وسط جماعة تتسامح مع الأخطاء، وتشجع على الاختلاف، ولا تكثر من النقد، وتأخذ موقفاً تشجيعياً من أفكار أفرادها، ومما يدمر الموهبة وجود الطفل وسط جماعة تسلطية تكثر من النقد والتوبيخ والتجريح والتهديد والوعيد، ولا تتسامح مع الأخطاء، وتنبذ من يخرج عن المألوف، وتسخر من الجديد وتستخف به، وتمارس أنواعاً من الضغط والعدوان والإحباط. إن الإسراف في الانتقاد واللوم والتهكم وإظهار السلبيات، خاصة عند بداية ظهور الأفكار الجديدة، يؤدي إلى خوف الشخص فيتباطأ تفكيره، ومن ثم تنخفض الأفكار الإبداعية لديه.

إن الآباء والأمهات الذين يمكن أن يساعدوا على نمو مواهب أطفالهم وقدراتهم الإبداعية هم الآباء الذين يتميزون بتفتح الذهن وتوقده، وبالمرونة العقلية والبصيرة النيرة، والبعد عن التزمت، وعدم التسلط، والقدرة على تناول وجهات نظر متعددة، وعلى منح الطفل الاستقلالية حتى يكتسب الطفل نوعاً من الثقة، واختياراً لمستوى أعلى من المخاطرة.

ويجب علينا احترام خيال الأطفال وتجنب الوقوف

ما قبل المدرسة تعدّ فترة حاسمة في حياة الطفل، كما يشير دومان إلى أن عمله الطويل في معهد إنماء الطاقات البشرية مدة تزيد على عشرين عاماً تدعوه إلى القول: بأن ما قبل الخامسة من العمر تعدّ الفترة الذهبية لتعليم الطفل معظم الحقائق

في طريقه، وأن يتوقف الراشدون عن الإصرار على أن ما يفكر به البالغون والراشدون هو الصحيح والحقيقي دائمًا. ثم إن العمل على اكتساب الفرد ثروة من الأفكار والمعلومات من خلال الخبرة مقدمة ضرورية لكي يجد الموهوب المادة التي يستطيع أن يضعها في قالب جديد، ومن هنا تظهر أهمية إعطاء الأطفال فرصة في اكتساب خبرات جديدة ومتنوعة، كإجراء زيارات للحقول والمتاحف والمصانع والمعارض. إن الفنان يحوِّل خبرته المكتسبة إلى رواية أو مسرحية أو قصيدة أو لوحة جميلة، والعالم يحول خبرته التي تدور حول المعلومات والوقائع والبيانات التي اكتسبها إلى صياغة نظريات جديدة.

كذلك لا بد من توافر المثيرات اليومية التي تشجع الأطفال على الإقبال على التساؤل، وتحملهم على إلقاء الأسئلة التي تبدأ بأدوات استفهام من مثل: لماذا؟ وكيف؟ ومتى؟ وأين؟ وماذا؟... (٢٤).

كنا حتى الآن نتحدث عن ا لطفل الموهوب، لماذا لا نطرح السؤال الذي يقول: هل نستطيع أن نفعل ذلك مع الطفل العادي وبالطريقة ذاتها؟ وهل يمكن أن يؤدي عملنا إلى إيجاد موهوبين جدد؟!.

وفي الإجابة عن ذلك نقول: علينا أن نعامل أطفالنا كلهم كما لو أن لديهم شرارة الموهبة والنبوغ. إن الأهل والمربين يستطيعون أن يلهبوا هذه الشرارة أو يضعفوها ويخمدوها، والواجب علينا تنمية هذه الميزة لدى أطفالنا، وبذلك ننشئ الطفل الموهوب وطالب المدرسة والجامعة الموهوب والمبدع.

المراجع والهوامش

1 - Black hurst, A Edward. and Berdine, William, H: Introduction to Special education, little Brown and company, Boston, 1981.

2- Clark, B: Growing up Gifted, developing the potential of children at home and at School, (2ed.Ed), Charleds E. Marrill. publishing. Co. Abell and Howell Co. 1983.

- Ehrlich. V.S: A guide for parents and teachers, (3rd, Ed) Trillium, press, United states, 1989.

- Hallahan, Daniel, P. and Kauffman, James, m: Execptional Childern (introducation to Special Education) prentice - Hall Ine, Englewood Cliffs, New Jersey, 1978.

- Khatena, Joe: Education Psychology of the gifted, New York- John Wiley sons, 1982.

- Rimm. S. B. and Davis, G.A :Education of the gifted and talented (2ed), prentice Hall, Engle wood Cliffs, New Jersey, 1989.

٣. الموهبة والإبداع: طرائق التشخيص وأدواته المحوسبة: تيسير صبحي، الأردن، عمان، دار إشراق، ط١، ١٩٩٢م. (نقلاً عن قائمة رصد اسكس Essey Checkist).

4 - Weeb and others: Guiding the gifted child. A Practical sourse for Parents and teachers (8th.ed), Ohio Psychology Publishing Company, 1989.

٥. الذكاء والقدرات العقلية بين التطرف والاعتدال: غصون محمود ياسين، لبنان، بيروت، دار الأندلس، ط١، ١٩٨١م.

٦. الذكاء، طبيعته وتشكله وعواقبه الاجتماعية: أيزنيك هانز، وزميله، ترجمة: عمر الشيخ، عمان، المطبعة الوطنية، ط١، ١٩٨٣م.

٧. الذكاء والانتماء الاجتماعي، علي وطفة، مجلة المعلم العربي، وزارة التربية في سورية، العدد الثالث، ص٣٦، ١٩٩٠م.

٨. مقدمة في الموهبة والإبداع، يوسف قطامي وتيسير صبحي، الأردن، عمان، دار الفارس للنشر والتوزيع، ص٩٧١، ط١، ١٩٩٢م.

٩. الذكاء وتنميته لدى أطفالنا: إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ص٥٨، ط١، ١٩٩٢م.

١٠. مقدمة في الموهبة والإبداع: مرجع سابق، ص١٠٨.

١١. دور المؤسسات التعليمية والتربوية في تنمية المهارات والقدرات الفردية، ورقة مقدمة إلى ندوة (توفير المناخ العلمي لتنمية القدرات الفردية): محمد حبيب حوراني وعيسى عبدالله جابر، وزارة التربية، الكويت، (٧ ـ ٨) ديسمبر ١٩٩٧م.

١٢. الصحة النفسية: نعيم الرفاعي، دمشق، مطبعة رياض، عربين، ١٩٨٢م.

١٣. الخلفية الاجتماعية والثقافية والنفسية للمتأخرين دراسيًا: محمد خالد الطحان، الإمارات العربية المتحدة، العين، المكتبة الحديثة، ١٩٨٣م.

١٤. التربية العامة، رونيه أوبير، ترجمة: عبدالله عبدالدايم، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٧م.

١٥. التأخر الدراسي: دراسة إكلينيكية لأسبابه في البيئة المصرية: هدى عبدالحميد برادة وحامد عبدالسلام زهران، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤م.

16 - Pendarvis E.d, and Howely, A. A, and Howeley, C.B: The Abilities of gifted children, prentice. Hall, Inc, Engleewood Cliffs, New Jersey, U.S.A, 1990, P63.

17- Halllahn and Kauffman, 1978, P,442.

١٨. مدخل إلى تربية المتميزين والموهوبين: ناديا سرور، الأردن، عمان، دار الفكر، ص١٢، ط١، ١٩٩٨م.

١٩. أساليب القياس والتشخيص في التربية الخاصة: فاروق الروسان، الأردن، عمان، دار الفكر، ص٣٦٤، ط١، ١٩٩٦م.

٢٠. مدخل إلى تربية المتميزين والموهوبين: مرجع سابق.

٢١. دليل الرعاية التربوية والنفسية: محمد خالد الطحان، ورقة مقدمة إلى مشروع (التدريب الاجتماعي) الذي أقامته وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، والاتحاد العام النسائي في سورية بالتعاون مع منظمة اليونيسيف في عام ١٩٧٩م بعنوان «دليل المربية في دور الحضانة ورياض الأطفال»، ص٨.

٢٢. جريدة الرأي الصادرة في الإمارات العربية تاريخ ١٤/٥/١٩٩٨م).

٢٣. تفكير الأطفال: تطوره وطرق تعليمه: يوسف قطامي، الأردن، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٠م.

٢٤. مداخلة مقدمة في ندوة (قيادات مبدعة في عالم متغير): يعقوب الشاروني، القاهرة، معهد جوتة، ص١٣، ٢٦ ـ ٢٧ إبريل ١٩٩٣م.

مصادر الصور: أرشيف «الفيصل» والإنترنت.

الغذاء النباتي قد يكون الحلّ

أحمد محمد خليل
إربد - الأردن

لعلّ القارئ الكريم على دراية بما يدعى النباتية Vegetarianism، والنباتية مبدأ يدعو إلى العيش على الخضراوات والحبوب والفواكه، وتطبيقاتها المختلفة. ويتبنّى هذه النظرية، ما يقرب من عشرة ملايين شخص، في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وقد أسست جمعيات في جميع الولايات الأمريكية، لترسيخ هذا المبدأ، والترويج له. كما أدركت قطاعات عريضة من الناس، في كثير من المجتمعات المتقدمة، مدى أهمية تعود اقتصار الطعام على مصادر نباتية فقط. فما الجذور المنطقية، والأسس الطبية، وراء هذا المبدأ؟

كان للتقدم الكبير في مختلف مجالات العلوم الطبية، أثر بالغ في تحول الناس إلى نباتيين. ويرعى هذا التحول، بل يدافع عنه بقوة، غالبية المهتمين بالشؤون الصحية، في الولايات المتحدة وبريطانيا والدول الإسكندنافية وغيرها. ومن الأسباب الرئيسة التي تدعو هؤلاء إلى مناشدة الشعوب إلى اللجوء إلى الأغذية النباتية، كونْ هذه الأغذية، تحتوي على كميات مرتفعة من الألياف، وأنها ذات مستويات متدنية من الدهون المشبعة، ومن الكولستيرول. علاوة على ذلك، فإن الأطعمة النباتية، تساهم بدور كبير في الوقاية من الأمراض الطفيلية Zoonotic Disseases والسرطانية وأمراض القلب.

حقائق الواقع

وفيما يتعلق بالأمراض الطفيلية، أشارت بعض نشرات منظمة الصحة العالمية، إلى أن ما يزيد على ١٦٠ من الاضطرابات الطفيلية، تنتقل إلى الإنسان عن طريق عائل حيواني وسيط Animal Intermediate Host. وقد يتبادر إلى أذهان المنتقدين لهذا المبدأ، أو المدافعين عن المأكولات الحيوانية القول بأن هذه الأمراض قد تنتشر بين النباتيين أيضاً غير أن هذا قد يعود إلى أسباب تعود



الثوم يقلل احتمالات حدوث الجلطة


الكرز يخفف آلام الصداع

إلى الطبخ المختلط، والظروف غير الصحية، وأنماط الحياة المختلفة، وغير ذلك. ومما يستحق الذكر، أن بعض المصادر الحيوانية من الغذاء تزيد من احتمالات انتقال الأنتيجينات الجرثومية إلى الدم ونموها، مما يؤدي إلى إضعاف أنظمة المناعة في الجسم.

أما بخصوص الأورام السرطانية، فلقد حدثت ثورة ملحوظة في برنامج مكافحة السرطان والوقاية منه بعد أن كشف البروفسور وينبرغ في معهد مساشوستس الأمريكي، حقيقة جين الورم الآدمي Uuman Oncogene، الناتج من طفرة وراثية مرتبطة بأكل اللحوم. ومن المعلوم أن سرطانات الأمعاء Bowel Cancers لها صلة وثيقة بفقر مصادر الغذاء الحيوانية في الألياف. وتدل دراسات نشرت في واشنطن، على أن اتباع أنظمة غذائية تعطي قدراً أكبر من الفاكهة والخضار والحبوب، يُنقِصُ من خطر الإصابة بمرض سرطان المستقيم والقولون بنسبة ٤٠٪. ويعد هذا النوع من السرطان ثاني أكثر الأمراض انتشاراً في الولايات المتحدة، حيث يصيب سنوياً، نحو ١٥٠ ألف شخص، كما أنه يودي بحياة ٦٠ ألفاً. وتوصلت بحوث أخرى - أجريت مؤخراً - إلى حقائق علمية مذهلة، وهي أن الطماطم (البندورة)، يمكن أن تخفض فرصة تعرض الرجال للإصابة بسرطان البروستاتا. وقد يكون السبب في ذلك الأثر احتواء هذه الثمار مقادير عالية من مادة تسمى ليكوبين Lycopene.

وقد تركزت الأنظار في الآونة الأخيرة في الترابط العميق بين الإكثار من تناول الأطعمة المستمدة من أصل حيواني، وما يطلق عليه اسم


الجوز يقلل من مخاطر السكتة القلبية

«سكتة انسداد الشرايين» أو Myocardial Infarction Stroke، وما قد يتبع ذلك من جلطة القلب (احتشاء القلب). وهناك توجّه عام في الولايات المتحدة وفي بريطانيا وغيرهما، إلى خلو الوجبات الغذائية من مشتقات الحيوان، وإلى التقليل من أكل البيض. وذلك لتجنب التركيزات الخطيرة من الكوليسترول، التي لها أثر كبير في تسريع تصلب الشرايين Atherogenesis. وقد تم منح العالمين غولد شتاين وبراون جائزة نوبل تقديراً لأبحاثهما المتميزة التي قادتهما إلى استنتاج أن استهلاك الطعام الحيواني يؤدي إلى تجريد الخلايا من مستقبلات الكوليسترول، ومن ثم إلى تراكمه

في الدم. وهو ما يعاني منه نخبة لا يستهان بها من الناس، ولا سيما الأغنياء منهم.

الثوم علاجاً

وعلى سبيل المثال لا الحصر، استخدم الأقدمون في العصور الوسطى الثوم في طعامهم، واتخذوه علاجاً لكثير من الأمراض، وأدركوا أن للثوم خصائص مانعة للعفونة، وفي القضاء على



الفلفل الأخضر والجزر يساعدان على تقليل الإصابة بالتهاب القناة التنفسية



الجراثيم. وأيدت جميع الدراسات الطبية الحديثة ما للثوم من أثر في خفض نسبة الدهون والكوليسترول في الدم. وأنه - أي الثوم - يزيد سيولة الدم؛ مما يقلل من احتمالات حدوث الجلطة، وينشط الدورة الدموية، ويقلل من الآلام الروماتزمية.

كما أوضحت دراسة كندية، أجريت على أكثر من ٥ آلاف رجل وامرأة في سن الخامسة عشرة، أن تناول الخضار الغامقة اللون والجوز والخبز الأسمر والحبوب الكاملة، له دور يسترعي الانتباه في تقليل مخاطر السكتة القلبية. يرى المختصون أن السر يكمن في مادة حمض الفوليك، وهو نوع من أنواع فيتامين ب. وفي مجال آخر، يقول الدكتور أهرنس من جامعة كوفلر بنيويورك: إننا ندرك تماماً أن كثرة استهلاك سكان حوض البحر المتوسط، لزيت الزيتون على أنه مصدر أساسي للدهون في الغذاء، هو السبب وراء ندرة أمراض القلب في تلك المنطقة.

ظاهرة مثيرة

وفي سياق ارتباط الغذاء بإطالة الأعمار - بمشيئة الله - تثبت التقارير المتوافرة انخفاضاً حاداً في معدلات البقاء على قيد الحياة Survival Rates في الهند، إذ توجد نسبة ضئيلة ممن هم في الثمانينيات من العمر. وبالمقابل فإن المثير للاهتمام العدد الكبير من سكان جمهورية أبخازيا Abkhasia في الاتحاد السوفييتي السابق، الذين يتجاوز عمرهم المئة عام. ويشار إلى أن معظم السكان هناك نباتيون في الغالب، وأن أولئك المعمرين يتمتعون بصحة ونشاط، وخفة وذكاء قد يفتقدها بعض الشباب. وأكدت دراسات طويلة الأمد، شملت مجموعة من المعمرين، ندرة حالات تصلب الشرايين، والاعتلالات الذهنية، إلا بعد سن المئة.

ومن ناحية أخرى، اكتشف الباحث الأمريكي، موراليد هاران ناير، من جامعة ولاية ميتشيغان، أن أكل فاكهة الكرز يخفف آلام الصداع أكثر من



تعاطي الأدوية، مثل الإسبرين وإيبوبروفين. كما أن الكرز نجح في علاج النقرس والتهابات المفاصل. ويُرجع الدكتور هذا الفعل، إلى المادة الحمراء الموجودة في الكرز، والمعروفة باسم أنثوسيانين Anthocyanin التي تحثُ الجسم على إفراز إنزيم مخفف للألم، كما يفعل الإسبرين.

وينصح الخبير الشهير نورمان ووكر، وهو رائد في مجال العلاج بالعصائر الخالصة، في دراسة كشف النقاب عنها في المجلة الطبية البريطانية بتناول عصائر الجزر والفجل والفلفل الأخضر والسبانخ والكرفس، للتغلب على المعاناة من بعض المشكلات الصحية التي أهمها التهاب القناة التنفسية والسعال والالتهاب الشُّعَبيّ.

الفجل والكرفس يقللان من الإصابة بالسعال والالتهاب الشعبي



الرياضيون

وعند استعراض البُنْية الجسدية، والقدرة على الاحتمال والجَلَد، نجد أن كثيرا من أبطال السباق الطويل Marathon Runners، وكمال الأجسام، ورفع الأثقال الذين عرفوا بقدرات استثنائية فوق العادة، كانوا من المفضلين للأغذية النباتية. وقد بيَّنت الفحوصات الرياضية، باستعمال درجات ثابتة، أن الرياضيين الذين أخضعوا لوجبات مقتصرة على الحبوب والخضار أظهروا ثلاثة أضعاف قوتهم عندما ألزموا بتناول أطعمة من مشتقات حيوانية. لذلك فإن الخرافة الشائعة بين الناس، وهي أن اللحوم تجعلهم أكثر قوة، ظنّ زائف، لاعتقادهم أنّ الأنسجة العضلية للحيوانات تدخل مباشرة في بناء عضلاتهم، والحقيقة الساطعة تفيد أن كل ما يأكله الإنسان يتحطم ويتحلل إلى جزيئات بسيطة في الجهاز الهضمي.

وبعد، ألمْ ترَ أن الفيلة والأبقار والثيران والجواميس والغوريلات، كلها آكلات أعشاب، فكيف استطاعت النمو إلى أحجام ضخمة قوية، دون الاغتذاء على حيوانات أخرى؟!!

ونتيجة للطلب المتزايد على مصادر الطاقة الغذائية، التمس العلماء أبدالاً أخرى لها. ولما كان إنتاج اللحوم باهظ التكاليف من الناحية التجارية، إضافة إلى انخفاض معدلات تحويل البروتين النباتي إلى بروتين حيواني، فإن من المفضل الانتفاع بمحتوى النباتات المأكولة في تغذية الإنسان مباشرة. ولا يتوقف الأمر عند تدنّي كفاءة تحويل

البروتين النباتي فحسب، بل يتعداه إلى أن ما يتحول حرارياً - أي إلى وحدات حرارية - أقل بكثير. ويقدر العلماء أنه يلزم سبع وحدات حرارية نباتية للحصول على وحدة حرارية واحدة في الحيوان. يتضح مما سبق أن عملية تحويل الغذاء النباتي إلى غذاء حيواني قضية خاسرة لما فيها من تبذير في الوقت الذي تنصب فيه الجهود المكثفة على محاربة سوء التغذية الناجم عن انخفاض المحتوى الحراري للطعام Caloric Malnutrition.


الطماطم تقلل فرصة تعرض الرجال للإصابة بسرطان البروستاتا

محاربة الجوع

بينما نرى ملايين الأفراد يموتون جوعاً في العالم، يصعب على المرء، من الناحية الأخلاقية، الدفاع عن حقيقة مضمونها أن ما يربو على نصف كميات الحبوب في هذا العالم، يقدم للحيوانات ليتم بعد ذلك إطعام اللحوم لأبناء البشر، ويُجسد هذا المفهوم الاقتصادي أحد البرلمانيين البريطانيين، هو Rt. Hon. Bernard Weatherhill قائلاً: إنه ستتوافر كميات هائلة من مصادر الطاقة الغذائية، لو تم كسر الحلقة الفاصلة بين الناس ومصادر الغذاء النباتية، والمتمثلة بالحيوانات المدّجنة، بحيث تُترك للناس تناول طعامهم النباتي، بصورة مباشرة. عندها لن يبقى شخص واحد على وجه الأرض دون غذاء سليم.

وعن التحدث عن الخلفية البيئية لهذا الموضوع، نجد أن الكائنات الحية، نباتات وحيوانات، تشكل في واقع الأمر الموطن الطبيعي للإنسان. وقد تم إفساد النظام البيئي Eco-System بدرجة خطيرة، بسبب التدخل البشري، والمعدلات المتسارعة للتصحر، نتيجة إزالة الأحراج Deforestation، وما يتبعه من إرباك للتنوع الحيواني De-animation. وتعتمد خصوبة الأرض، وتعرية التربة على كثافة الحيوانات التي تستوطنها وتنوعها. ولهذا فإن مذهب النباتية Vegetarianism، فيه تشجيع وتعزيز لصون أفراد المملكة الحيوانية وحمايتهم. وهذا ما يتطلع إليه خبراء البيئة وأنصارها.

وهكذا، فإنه يمكن الاستنتاج بشكل متوازن وعادل، واستناداً إلى أدلّة منطقية متعددة، أن حركة التحول إلى أغذية نباتية لها ما يسوّغها، بل قد تكون أحد المستلزمات الضرورية في العصر الذي نعيش فيه. العصر الذي عرف فيه الناس جنون البقر، والذي حار فيه أطباء البيطرة والبشر.. إننا - بالطبع - لا نستطيع إلغاء اللحوم من موائدنا لكننا نستطيع على الأقل أن نزيد من الخضار والفواكه والحبوب، والمشروبات العشبية لمحو الآثار السلبية لوجبات اللحوم ومشتقات الحليب.

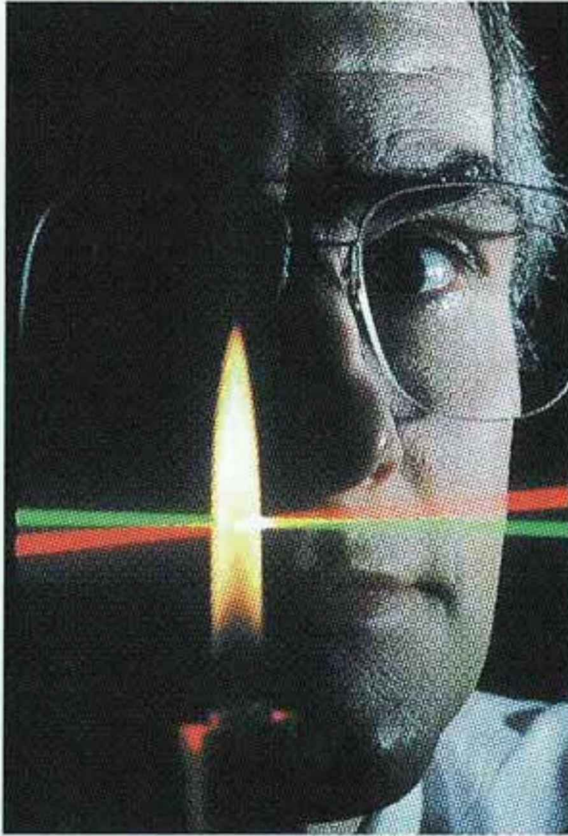
المراجع

١. السرطان: هل يمكننا الوقاية منه؟، فراس اللحام ومهند أسعيد ومهند القطرنجي، مطبعة نصر، دمشق، ١٩٩١م، ص ٧٣ - ١٣٤.
٢. البيئة والموارد الطبيعية، د. عادل جرار، مركز غنيم للتصميم والطباعة، عمّان، ١٩٩٢م.
٣. زيت الزيتون واكتشافات الطب الحديث، د. حسان شمسي باشا، مجلة العربي، العدد ٤١١، فبراير/شباط ١٩٩٣م، ص ١٤٨ - ١٥١.
٤. غسيل الأمعاء للخلاص من كل داء، وحيدة المقدادي، مجلة سيدتي، العدد ٧٧٦، ٢٠ - ٢٦ يناير/كانون الثاني، ص ١٤٦ - ١٤٧.
٥. الغذاء يقهر السرطان، بدر الرفاعي، مجلة زهرة الخليج، العدد ١٠٣٦، ٢٦ سبتمبر ١٩٩٨م، ص ١٠٢ - ١٠٣.
6 - Graham, S. and C. Mettlin. 1981. Fibers and Other constituents of Vegetables in cancer epidemiology. In: G R. Newell and N.M. Ellison (eds.) Nutrition and Cancer: Etiology and Treatment. Raven Press. New Yourk. pp. 189 - 215.
7- Cohen. L. 1987. "Diet and Cancer." Scientific American. 257 (5): 42 - 68.

مصادر الصور: أرشيف «الفيصل» والإنترنت.

العلماء
إنجازات وإخفاقات عبر الأجيال

خالد عبدالله الخميس
الرياض - السعودية



الفيزيائيون يتفوقون على الكيماويين، والمهندسون يستعلون على الأطباء، وعلماء النفس والاجتماع يكابدون لملاحقة الركب. لقد قدم العلماء في العقود الماضية على اختلاف تخصصاتهم إنجازات علمية هائلة ورائعة تنصبّ كلها في هدف واحد هو خدمة الإنسان، والرقي بمعيشته على الأصعدة كافة. ولقد تطورت المعرفة الإنسانية لمراتب عالية حتى نشأ من التخصصات العامة (فيزياء، كيمياء، أحياء، علم نفس، إدارة الخ) تخصصات أخرى فرعية مستقلة. وتلك الفرعية ذاتها نتج منها تخصصات فرعية أخرى وما زالت المعرفة الإنسانية بين وقت وآخر تواصل نتاجها في سلسلة من العطاءات التي لا تتوقف ولا تنضب.

وهناك قضية جديرة بالتأمل وهي التباين في مستويات الإنجازات بين مختلف التخصصات. فتجد أن بعض التخصصات قد قفزت إلى القمة، وقامت بتوظيف إمكاناتها لحل شامل لكل المشكلات التي يستهدفها ذلك التخصص، بينما تجد أن تخصصات أخرى ما زالت في طور التنظير، ولم ترق بعد إلى مستوى تطبيقي يقدم خدمات تطبيقية عملية للإنسان تقتلع شيئًا من مشكلاته. ولكن منزلة السواد الأعظم للتخصصات الحالية هي منزلة بين منزلتين، فقد

قدّمت الكثير من الحلول، وينتظرها الكثير. على سبيل المثال عند موازنة الإنجازات التي قدمها الفيزيائيون بالإنجازات التي قدمها الكيماويون نجد أن هناك بونًا شاسعًا بين إنجازات كل منهم. فمعظم الأسئلة التي تساءل عنها الفيزيائيون قد أجابوا عنها، ومعظم الإنجازات المطلوبة منهم قد حققوها خصوصاً في المجال التطبيقي. وبالمقابل بقي عدد من المعضلات في الجانب الحيوي الكيماوي تنتظر حلولاً كيماوية. وفي جانب العلوم الإنسانية نجد أن هناك عدة تراكمات من المعضلات تنتظر حلولاً لها. وقبل أن أستعرض ملخصًا موجزًا للإنجازات التي قدمتها بعض



تطور مطرد في ميادين الطب المختلفة

التخصصات الرئيسة أود تأكيد أن هذه المقالة لم تكتب بوصفها وصية وقيّمة على جميع التخصصات، بل بوصفها تمثل مراجعات سريعة لما يدور بخلد رجل الشارع العادي تجاه موقفه من العروض والحلول التطبيقية التي صدّرتها له التخصصات العلمية الحديثة، والتي تبدي فيما بينها تفاوتًا مختلفًا في مستوى الخدمات المقدمة للإنسان. إن رجل الشارع - الإنسان- لا يأبه لما في بطون الكتب العلمية والأبحاث الدورية من علوم وفلسفات، وإنما يؤمن بما يراه بأم عينيه من خدمات مفيدة يزرعها له أحد تلك التخصصات.

إنجازات الفيزيائيين

لقد قدم الفيزيائيون خدمات إنسانية جمة يلمس أثرها كل إنسان يعيش على وجه البسيطة مهما كان موقعه، ومهما كان دخله الاقتصادي.

فمن خلال ما قام به الفيزيائيون من معرفة دقيقة لتركيب الذرات وتفسير كثير من الظواهر الفيزيائية، قاموا أيضًا بالإفادة من تلك الكشوفات في تطبيقات صناعية في مجالات مختلفة؛ فمن خلال فلسفة الموجات الكهرومغناطيسية ظهرت تطبيقات مختلفة كالمصباح الضوئي والتصوير بالأشعة السينية والرادار والميكرويف والراديو والتلفاز(١). كما ظهر بفضل إنجازات الفيزياء عدد من الأجهزة المعقدة سواء كانت ميكانيكية أو إلكترونية أوغيرها إلى أن وصل الأمر إلى عصر أجهزة ما بعد الصاروخ.

وتعجب من شدة عزم الفيزيائيين ومثابرتهم، فهم لا يكتفون بإثبات البرهان النظري للظاهرة الفيزيائية، بل يسعون جادين إلى تحويل الفكرة النظرية إلى واقع ملموس. فعلى سبيل المثال لم يكتفوا أن تعرّفوا أن الذرات تتألف من نواة وإلكترونات سالبة الشحنة تدور في مدارات حول النواة. ولم يكتفوا أن تعرّفوا أن النواة تتألف من جسيمات غير مشحونة أسموها بالنيوترونات، وأخرى موجبة الشحنة أسموها بالبروتونات. ولم يكتفوا أن تعرّفوا أن هناك طاقة تربط البروتونات بعضها ببعض على الرغم من تماثل شحناتها. ولم يكتفوا أن تعرّفوا أن مقدارقوة الربط هذه أكبر بكثير من قوة التنافر الكهربائي، لم يكتفوا بهذا التنظير كله، بل فكروا بوسيلة لفك طاقة الترابط هذه فعمدوا إلى صناعة المفاعلات النووية(٢)، وقاموا بالفعل بشطر النواة وقياس القوة النووية الصادرة من انشطار النواة. ومن هنا جاء العمل على تحضير القنبلة النووية التي تعادل طاقتها مليون ضعف الطاقة المنبعثة من تفجير الديناميت.

الحاصل أن الفيزيائيين لا يقتنعون بالإثبات النظري للظاهرة الفيزيائية مثل ظاهرة القوة النووية، بل يتعدى الامر إلى العمل التجريبي ليؤكد هذا الأمر. وتعجب كثيراً أنهم عندما قاموا بهذا كله لم يكونوا قد شاهدوا الذرة أصلاً إلا أنهم استطاعوا أن يرسموا شكلها، وهو أمر يعكس حقيقة ما يتمتع به الفيزيائيون من قدرة تخيلية وذهنية عالية.

ومما يفتخر به الفيزيائيون أنهم قاموا بإنشاء عناصر جديدة لم تكن موجودة أصلاً في الطبيعة. ومن أبرز تلك العناصر



ارتياد الفضاء من إنجازات العلم الحديث

التي صنعها الفيزيائيون: تكنتيوم (عدده الذري ٤٣) ونبتونيوم (ع = ٩٣) وبلوتونيوم (ع = ٩٤) وأمريكونيوم (ع = ٩٥) وكوريوم (ع = ٩٦) وبريكيليوم (ع = ٩٧) وواصلوا في التصنيع حتى صنعوا مؤخراً عنصر العدد الذري(٣) ١١٠، وعنصر العدد الذري ١١١، وعنصر العدد الذري ١١٢ وهم الآن يعكفون على صناعة عنصر ١١٣ وعنصر ١١٤. ونتيجة لأن بعض تلك العناصر لها مجالات تطبيقية فقد صنع منها أعداد كبيرة من الذرات؛ فلقد أنتج من عنصر البلوتونيوم(٤) المستخدم في المفاعلات الذرية $١٠^{٣٠}$ ذرة، أي ما يعادل وزنه ألف طن(٥)، وبيت القصيد أن الفيزيائيين أصبحوا قادرين على إنشاء عنصر من عنصر آخر، فيحضر عنصر النيون من عنصر الصوديوم، ويحضر عنصر النيكل من عنصر الكوبلت(٦).

لقد خاض الفيزيائيون في جوانب نظرية معقدة فحاولوا من خلال ميكانيكا الكم Quantum Mechanics توحيد القوى الذرية الثلاث (القوة الكهرومغناطيسية والقوة النووية الضعيفة، والقوة النووية الشديدة) من خلال إيجاد صياغة عامة تشترك في نظمها تلك القوى. كما قاموا من خلال قوة الجاذبية والنسبية بتفسير النظام الذي تسير عليه الكواكب والأجرام.

ولقد حق للفيزيائيين أن يتنفسوا الصعداء بعد عجلة سريعة من العطاء الدائم. وفي الوقت الراهن انحصر دورهم في جوانب نظرية وأخرى تطورية لما هو مكتشف في الأساس. وحق لأحدهم أن يحلم ببزوغ فجر اليوم الذي تخرج آخر نظرية فيزيائية كما عبر عن ذلك العالم الفيزيائي وينبرق Weinberg في كتابه «أحلام النظرية النهائية» Dreams of a final theory أنه سيأتي يوم يتمكن العلماء فيه من جمع شتات القوى الفيزيائية الأربع (القوى الذرية الثلاث مع قوة الجاذبية) تحت مظلة واحدة موحدة.

وعلى الرغم من الجهود البراقه لإنجازات الفيزياء إلا أنه ينبغي ألاّ يغفل الدور الخفي الذي تؤديه الرياضيات بصفتها أداة ضبط للمقاييس الفيزيائية التي من خلال المعادلات التي ينتجها الرياضيون توصل الفيزيائيون إلى إيجاد حسابات مهمة تحسب مثلاً سرعة الصوت وسرعة الضوء ووزن البروتون ووزن الإلكترون وغيرها من المقاييس الدقيقة.

وقبل أن يُقلّد الفيزيائيون وسام الشرف، ويلبسوا عقد التقدير، ويُعطوا شهادة عرفان ينبغي ألاّ تُبرأ ساحة الفيزيائيين تماماً، فما زال الإنسان لم ينس ما قدمه الفيزيائيون من كشوفات تدميرية ساهمت في تحطيم الإنسان وزيادة ويلاته. ويظهر هذا جلياً من خلال اختراع القنبلة الذرية ومصائبها المرعبة في هيروشيما ونجازاكي. كما لا ننسى كارثة الإشعاعات النووية المتسربة من المفاعل الروسي تشرنوبل الذي قضى على كثير من الأرواح، ولا ننسى كوارث المخلفات النووية التي ما زالت السفن المحملة بها تجوب البحار فتُطرد من حدود بعض الدول بينما تلوّح مرحبةً بمقدمها دول أخرى وباللأسف الشديد.

إنجازات المهندسين

تمثل الهندسة في الأساس الجانب التطبيقي لنواتج علم الفيزياء، فلقد توصل المهندسون من خلال ما قرره لهم الفيزيائيون من قوانين المادة إلى تصميم عدد من الأجهزة التي تخدم الإنسانية. إن العصر الحديث يشهد ثورة صناعية جبارة ثمرتها منتجات كثيرة من الأجهزة والآلات كان أبطالها أعداداً غفيرة من المهندسين. لقد خطا المهندسون خطوات متسارعة في تطوير أداء السيارات والطائرات والرافعات والبرادات



للكيماويين دور كبير في خدمة الإنسان بتحضير المركبات الكيماوية والعلاجات الدوائية

والسخانات والراديوات والتلفازات والهواتف والحواسيب والأجهزة الطبية وعدد كبير من الأجهزة التي يصعب حصرها(٧). كما قاموا بإنشاء عدد من الناطحات والجسور وغير ذلك من المنشآت الضخمة.

وأكثر من هذا فقد أصبح النوع الواحد من الصناعات يطور كل سنة بطراز جديد، فتسمع في كل عام عن تصميم جديد سواء في عالم السيارات أو عالم الحواسيب وسائر الأجهزة الكهربائية والميكانيكية. والآن أصبح شغل المهندسين الشاغل هو البحث عن المشكلة فقط، أما عمل التصميم الذي يحل تلك المشكلة فلم يعد يشكل مشكلة. الأمر الوحيد الذي يقف عثرة أمام المهندسين من المواصلة في عمل الاختراعات والتصاميم هو جانب يتعلق بالجدوى الاقتصادية. والواقع أن الهندسة لم تكن متوقفة على إنجازات علم الفيزياء، بل إن لها حظاً آخر من علم الكيمياء، فظهر لذلك تخصص الهندسة الكيماوية، وهندسة النفط من جانب هندسي لتتضافر جهودهم مع الكيماويين المختصين في الكيمياء الصناعية للعمل بشكل مشترك في تصميم وإنشاء محطة تحلية ماء البحر ومصانع البتروكيماويات والبلاستيك وغيرها.

وإن كان من لوم يوجه إلى المهندسين فهو أمر ينحصر في تصنيعهم أجهزة الدمار والتنصت وغيرها من الأجهزة المتسببة في أذية الإنسان. ومن جانب آخر فلا ننسى أن العدد الهائل من الأجهزة يساهم في زيادة مستوى الرفاهية، وزيادة أوقات الفراغ، ومن ثم تعزيز سلوك الكسل لدى الإنسان.

إنجازات الكيماويين

إذا التفتنا إلى الدور الذي أدّاه الكيماويون، فإن هناك عدداً من الإنجازات الجبارة التي تمت، فقد أمكن تعرّف العناصر الكيماوية وطبيعة الروابط التي تربط بين تلك العناصر لتؤلف المركبات. كما أمكن معرفة كيف تتشكل تلك المركبات، بل وكيف يمكن تحضير عدد من المركبات في المعمل. ويُشكر الكيماويون على ما قاموا به من جهود ملموسة لخدمة البشرية من خلال تحضير عدد من المركبات الكيماوية المستخدمة في التطبيقات الصناعية والعلاجات الدوائية. وإذا ما نظرنا مثلا إلى ما أنتجته الكيمياء من خلال التحضيرات البتروكيماوية نجد أنها مستحضرات لا تعد ولا تحصى، يكفيك منها تلك الأنواع المتعددة من قائمة لا نهائية من المنتجات البلاستيكية (أو اللدائن كما عربها أهل اللغة).

ولقد وسع الكيماويون علمهم وفرّعوا منه علوماً متعددة، بل

إن كل علم جديد فرّعوا منه علومًا أخرى. فعلى سبيل المثال تفرع من علم الكيمياء علم الكيمياء الحيوية، وتفرع من الكيمياء الحيوية علم الجينات(٨) الذي يمثل الصيحة العلمية الحالية.

وعلى الرغم من هذا، فهناك عدد من الإنجازات التي لم تتم بعد، وما زالت قيد الدراسة. هناك عدد من المركبات الكيماوية العضوية لم يتم تحضيرها في المعمل، فجانب كبير من المواد العضوية الحيوية، كالهرمونات، والإنزيمات، ومركبات أخرى بروتينية ما زالت تركب بالطريقة نفسها التي تركب منه في الجسم . فمثلاً ما زلنا نستورد مادة الأنسولين من أحشاء الحيوانات وبطون البكتيريا، ونستخلصها بطريقة تشابه الطريقة التي يتم بها تحضيرها في الخلية. والحاصل أن مادة الأنسولين الموجودة في السوق لم تحضر بطرائق صناعية بحتة من خلال إجراء تفاعلات كيماوية في المعمل. وعلى افتراض أنه تم تحضير الأنسولين في المعمل، فإن تلك المادة لن تكون بالهيئة نفسها الموجودة في الأصل، بالإضافة إلى أن تحضيرها يتطلب جهداً جهيداً لا يقدر.



التقدم التقني وراء تطور العلوم المختلفة

والأمر لا يقتصر على مادة الأنسولين وحدها، بل إن جميع المركبات البروتينية تندرج تحت هذه القاعدة إذ ما زالت تلك المواد تحضر بالأسلوب نفسه الذي يتم به تحضيرها في الخلية(٩). لا شك أن هذا العجز عند الكيماويين عن تطوير أسلوب جديد يتفوق على أسلوب الخلية في صنع البروتينات يؤكد تفوق الفيزيائيين الذين ذللوا الذرة وتلاعبوا بها.

أمر آخر لم ينته الكيماويون من إنجازه هو تحليل مفصل لتركيبة الإنسان كيماوياً بأعضائه وأنسجته، إذ ما زالت التراكيب الكيماوية التي أمكن تعرفها في جسم الإنسان مشتتة هنا وهناك. وأقل من هذا تعقيداً، فما زالت تركيبة الخلية على المستوى الكيماوي لم تكتمل بعد. فكل ما هو موجود عن الخلية هو رسمها بناءً على أشكال العضيات والجسيمات التي تحويها الخلية. فما زال الكيماويون مدينين للعلم برسم منظومة من التراكيب الكيماوية تمثل شكلاً متكاملاً لبناء الخلية. والحق أن هذه اللوحة ما زالت في بداياتها، فالعلماء أوشكوا مثلاً على الانتهاء من المعرفة الكيماوية الدقيقة لأبرز مكونات الخلية وأهمها على الاطلاق، وهي التي تعرف بالكرموسومات (الصبغيات) في مشروع استغرق بضع سنين، وكلف الكثير من الدولارات. فإلى أن ينتهي هذا المشروع، وتنتهي مشروعات تعرّف كل المركبات الكيماوية وتفاعلاتها ضمن

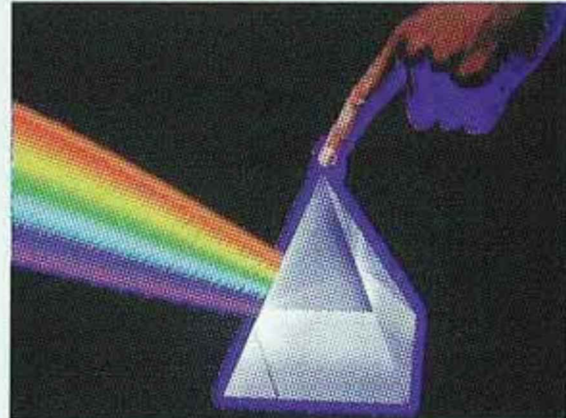
إطار الخلية يمكن رسم صورة دقيقة جداً للخلية لا تقتصر على تبيان عضيات الخلية فحسب، بل تبيّن جميع التراكيب الكيماوية المكونة لبنية الخلية وآليات تفاعلاتها.

لا شك أن لوحة مثل هذه ستكون أكبر لوحة عالمية قد تصل أبعادها إلى بضعة كيلومترات مربعة. ولا شك أيضاً أن وجودها يمثل خط البداية لإمكانية النظر إلى الإنسان على أنه جهاز ضخم تعمل فيه بلايين لا نهائية من تفاعلات المواد الكيماوية.

أمر آخر يدل على تفوق الفيزيائيين على الكيماويين هو ما أصاب الكيماويين من إخفاق ذريع في العثور على جملة من العناصر الكيماوية المفقودة من الجدول الدوري للعناصر الكيماوية -الذي وضعه مانديليف عام ١٨٦٨م- بعد أن قاموا بجهد جهيد من التنقيب عنها بين الأدغال والصخور. ولذا استنجدوا بالفيزيائيين ليحلوا لهم تلك المعضلة، فقام الفيزيائيون فوراً بتصنيع تلك العناصر معملياً وإهدائها إلى الكيماويين



كثير من الإنجازات نتاج تعاون بين علماء من تخصصات مختلفة



من خلال تركيب الترددات ظهرت تطبيقات مختلفة كالتصوير بالأشعة السينية

ليضعوها ضمن عناصر الجدول الدوري. ومن أبرز تلك العناصر التي صنعها الفيزيائيون والتي سبقت الإشارة إليها(١٠): عنصر النيبتونيوم (وعدده الذري = ٩٣) والبلوتونيوم (وعدده الذري = ٩٤) وهكذا حتى وصلوا إلى صناعة العنصر ذي العدد الذري ١١٢.

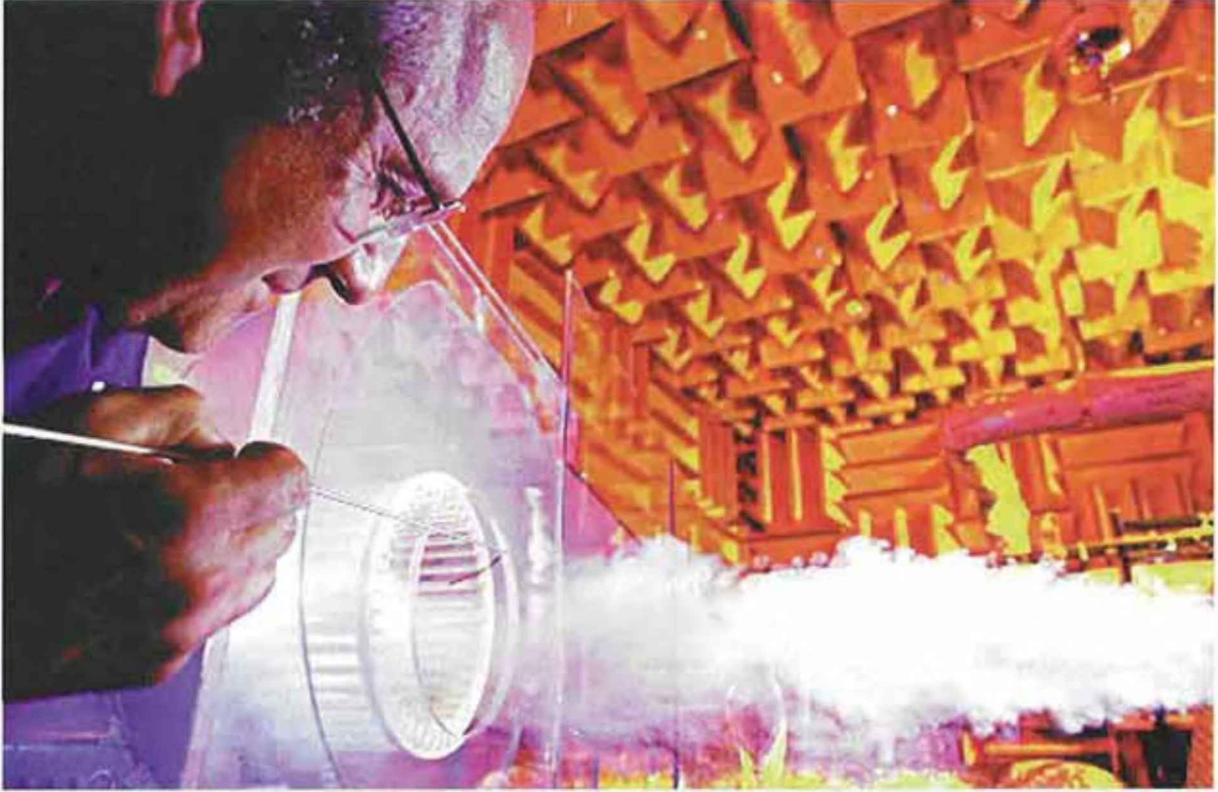
والحاصل أنه لكي يلحق الكيماويون بركب الفيزيائيين فهناك قائمة لا بأس بها من الأعمال والكشوفات مدرجة في جدول أعمال الكيماويين تنتظرهم. وحتى يتم الانتهاء من كتابة محاضر تلك الأعمال يمكن القول بأن الكيماويين يستحقون قسطاً كبيراً من التصفيق المستمر.

إنجازات الأطباء

لا يستطيع أحد أن ينكر الدور الذي أدّاه الطب الحديث في اختفاء كثير من الأوبئة والأمراض السائدة في العصور السالفة. وإذا أردنا أن نهيب بأكبر خدمة قدمها الطب الحديث فهي تتمثل في مجال اللقاحات التطعيمية التي قضت على الإصابة بأمراض وبائية مثل الجدري وشلل الأطفال والسعال الديكي والحصبة والتهاب الكبد الوبائي والحمى الشوكية. وتنبغي الإشارة إلى أن ما قدّمه الطب لهذه النوعية من الأمراض يتمثل في إيجاد تلقيحات وقائية لتلك الأمراض وليس إيجاد أدوية علاجية لها. بمعنى أن الطفل غير المطعم بلقاح شلل الأطفال عندما يصاب بمرض شلل الأطفال فإن الأطباء يبقون مكتوفي الأيدي لعمل علاج له.

وأمر آخر محمود لا يمكن إغفاله هو دور الطب في المجال الجراحي إذ نجحوا نجاحاً باهراً في استئصال كثير من الأورام والاختلالات العضوية. فأمكن القضاء على الزائدة الدودية، والمرارة، واللوز، والبواسير، وتجبير الكسور، وعمل الجراحات التجميلية، كما أمكن فعلاً زراعة كثير من الأعضاء، مثل الكلى والقرنية والقلب. بالإضافة إلى الإنجازات الملموسة في طب العيون وطب الأسنان وغيرها من إنجازات طبية لا يمكن حصرها.

وعلى الرغم من كل هذا، يوجد عدد من الفجوات في عالم الطب لم ترمم بعد، إذ إن هناك رزمة من الأمراض ما زالت تنتظر من يصلحها، فليس هناك مثلاً علاجات فاعلة وحقيقية Genuine لعدد من أنواع الأمراض الفيروسية والأمراض الباطنية. فما زلنا نسمع بمعاناة الناس من مرض السكر ومرض الربو وأمراض القلب ومرض السرطان والبهاق والتهاب الكبد وشلل الأطفال والأمراض العصبية والأمراض



للهندسة وجودها وارتباطها الوثيق بكثير من ميادين العلم

النفسية الذهانية. بل ما زلنا لم نسيطر بعد على ما نظنه أنه أبسط الأمراض وهو ما يعرف بالأنفلونزا أو على الصحيح أنف العنزة كما كان يسميه أسلافنا العرب.

لا شك أن جميع تلك النوعيات من الأمراض ما زالت تشغل اهتمام الأطباء، فطرح كثير من النظريات العلاجية والأدوية والمسكنات لعلاج تلك الأمراض إلا أنه ينبغي الاعتراف بعدم وجود علاجات قاطعة وحقيقية .Genuine بل إن الأطباء أنفسهم يقرّون بإخفاقهم في هذا، ومن هنا جاءت تسميتهم لتلك الامراض بالأمراض المستعصية، لأنها عصي أمرها عليهم.

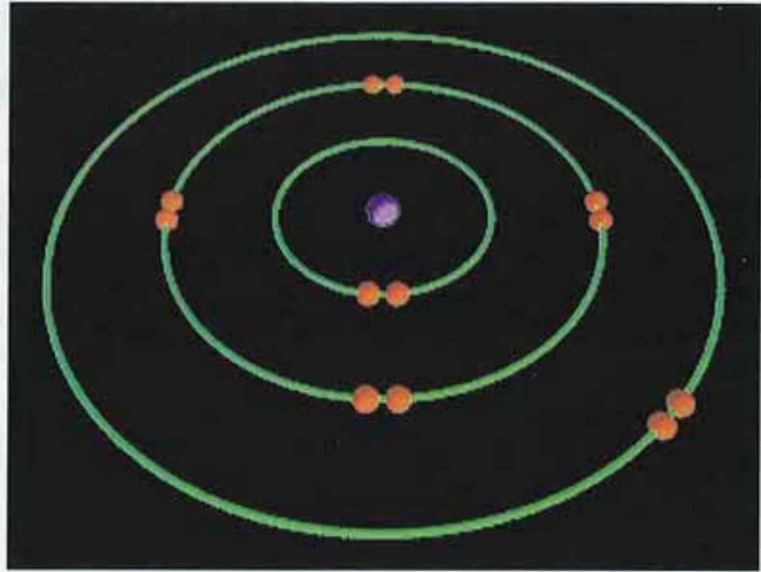
وبالمختصر المفيد: هناك عدد من الثغرات التي ما زالت تشغل اهتمام الاطباء؛ فمن جانب هناك أمور تتعلق بوجود أمراض لم تعرف بعد أسبابها، وأمراض أخرى لم يوجد لها علاج حقيقي، ومن جانب آخر ما زالت هناك مشكلة تتعلق بصعوبة تشخيص بعض الأمراض، إذ ما زلنا نسمع عن مرضى كانوا ضحايا لأخطاء في التشخيص، وهو أمر راجع إلى اعتماد الطب على العمل البشري.

وما يؤكد تقدم المهندسين على الأطباء أنه ما فتئ الأطباء يستنجدون، بل يستجدون عطف المهندسين لتصميم أجهزة طبية دقيقة تطبق في مجال التشخيص الطبي والعلاج. ومن هنا فإنه ما زال الكثير والكثير من العطاءات تنتظر وتنتظر جهود الأطباء، وإلى أن يصل بنا الأطباء إلى تلك المرحلة فتتويجهم - بلا شك - سيكون خاليًا من التحفظات.

طبيب ومهندس على الهواء(١١)

عندما تتابع مقابلة تلفازية على الهواء مع طبيب أمراض باطنة ومهندس إلكترونيات مثلاً تجد أن هناك بونًا شاسعًا في مستوى الحلول الإيجابية لكل منهما، ووضوح المنهج المتبع في العمل؛ فالمهندس غالبًا ما تكون إجاباته موجبة، فليس لديه إشكالية في أن يصل إلى مكان القطعة المختلة في جهاز معين بعد أن يطلب من السائل القيام بإجراءات معينة، كما أنه غالباً ما يكون موجبًا عندما يسأل عن إمكانية تصميم جهاز له خصائص معينة يخدم منشأة ما.

أما بالنسبة إلى طبيب على الهواء فإنه إذا حدد المرض، فإنه قلما يصف علاجه على الهواء. وأكثر ما يقوم به الطبيب


فك الفيزيائيون طلاسم الذرة ومكوناتها

في التلفاز هو التثقيف الصحي، وليس العلاجي، فدائمًا يكثر من القول «لابد من رؤية الحالة أو لا بد من عرض الحالة على طبيب مختص». وما زال من أخلاقيات المهنة Profession ethicsعند أهل الطب عدم صرف الدواء بالهاتف أو في الصحف، وهو أمر يعدّه بعضهم ليس من المندوحات، بل يعكس مدى تعقد هذه المهنة وضعف مرونتها.

وقد يقول قائل: إن المهندسين يتعاملون مع آلة صنعوها بأنفسهم؛ ولذا يسهل إصلاح عطبها أما الأطباء فهم يتعاملون مع كائن لم يقوموا على تصنيع أي ذرة فيه، بل هو من صنع الله وحده. ومع هذا فإن الشيء يبقى ذا سعة للمهندسين، لا يقتصرون فيه على جوانب إصلاح الأجهزة، بل يتعدى الأمر إلى تصميمها في الأساس وتصنيعها.

ويبقى أن الأطباء يعانون من صعوبات تفوق الصعوبات التي يعاني منها المهندسون. والعلم ينتظر منهم زيادة إضافية من العطاءات التي تخدم البشر. إن سرّ تفوق المهندسين على الأطباء لا يرجع، بأي حال من الأحوال، إلى ضعف همة الأطباء، وإنما يرجع إلى طبيعة مادة الإنسان موضوع اهتمامهم ومحله.

إنجازات علماء النفس

يسعى علماء النفس إلى دراسة الظواهر النفسية، مثل الانفعال والتعلم والإدراك والدافعية، وقوانينها، وطرائق التحكم فيها. وتتعدى الجهود التطبيقية لعلماء النفس(١٢) الاهتمام بعلاج المرض النفسي إلى تطبيقات عدة في المجالات، سواء الإدارية أو التعليمية أو التجارية أو الصناعية أو الإعلامية أو الدعائية وغيرها. ولقد أثبتت تلك الأطروحات النفسية في تلك التطبيقات فعاليتها وجدواها. فكل الشكر والعرفان لتلك الجهود التي ترمي إلى خدمة الإنسان.

ومع هذا، فعند النظر إلى الإنجازات التي قدمها علماء النفس نجد أنها ضئيلة بالنسبة إلى تخصص الفيزياء أو الهندسة أو الكيمياء أو الطب. ولعلي أؤكد أن ما يقصد بالإنجازات: الإنجازات المطبقة على أرض الواقع، وليست النظريات المجردة التي ليس لها حظ وافر في خدمة الإنسان بشكل مباشر.

يجب الاعتراف أن علماء النفس ما زالوا منشقين في تفسيراتهم السلوكية، فمن جانب تجد منهم من ينتمي إلى المدرسة المعرفية، ومنهم من ينتمي إلى المدرسة السلوكية، ومنهم من ينتمي إلى مدرسة التحليل النفسي، ومنهم من ينتمي إلى المدرسة الإنسانية. ومنهم من تبنى مذهبًا تشكله خلطة فلسفية تجمع بين أطروحات تلك المدارس. إن هذا التباين الحاصل بين علماء النفس يقود - بلا شك - إلى تباين آخر ينعكس أثره على طريقة علاج الانحراف السلوكي، وطريقة استثارة الدوافع. وأمر آخر ما زال يشكّل أزمة عند علماء النفس هو قضية يظهر أنها تتعلق بأبسط مما سبق، ألا وهي قضية تعريف الظاهرة النفسية التي تمثل القالب الذي يتركب منه السلوك الإنساني. ولقد قيل مثلاً بأن الحديث عن الوعي consciousnessأسهل من تعريفه(١٣)، وأن قياس الذكاء أبسط من تعريفه.

ويبقى الدور الرئيس المنوط بعلماء النفس والمتوقع منهم أن يخدموا البشرية بوساطته، هو الدور المتعلق بعلاج الأمراض النفسية، إذ لم يصل هذا الأمر إلى الحد الذي يطمح إليه الإنسان. فما زال الإنسان - مثلاً - يعاني من مشكلات نفسية، كالاكتئاب والرهاب والوسواس والهذاءات والفصام، وما زال علم النفس لم يصل بعد إلى نضج يعلن فيه اقتلاع تلك الاضطرابات بلا رجعة. إن الإنسان ما زال ينتظر - وأخشى أن يكون ملّ من الانتظار - أن يقدّم له علم النفس حلولاً آنية وسريعة لما يكابده بين وقت وآخر من معاناة نفسية، واضطرابات عقلية.

إنجازات علماء الاجتماع

يقصد علماء الاجتماع إلى دراسة الظواهر الاجتماعية بما في ذلك عادات الشعوب وتقاليدها والأنظمة الاجتماعية التي تربط أعضاء المجتمع بعضهم ببعض، فيدرسون نظام الأسرة، والنظام العشائري، ونظام المجتمعات، والعلاقات الزوجية، وجملة من المشكلات الأسرية والاجتماعية، كالطلاق والمخدرات والسرقة والشغب والعنصرية والعنوسة والعنف والتحرش الجنسي والهوة الاجتماعية بين الآباء والأبناء.



أبحاث تتواصل لإيجاد حلول المشكلات التي تواجه الإنسان

وعلى الرغم من أن تلك الجوانب تبدو بسيطة، إذ يستطيع أي شخص - مهما كان مستوى تعليمه - أن يدركها، ويبدي رأيه فيها، إلا أن نوعية مشكلاتها تمثل أعضل المعضلات اليوم، فما زالت تلك المشكلات قائمة في أرض الواقع، بل إن وجودها يتزايد بشكل مستمر على الرغم من الجهود العلمية لعلماء الاجتماع لإيجاد حلول إجرائية لها.

وللمتأمل البسيط أن يوجه العتب لعلماء الاجتماع وعلماء الخدمة الاجتماعية على وجه الخصوص؛ لأنهم هم المعنيّون بوضع إستراتيجيات تمكن الفرد من التكيف مع الظروف الاجتماعية مهما كانت سيئة. وقد يسائلهم رجل الشارع البسيط عمّا قدمه علماء الخدمة الاجتماعية من حلول إجرائية (وليست نظرية) تجاه مشكلة الطلاق، والسرقة، والعنصرية، والعنف، والجنوح، وغيرها كثير. فنسبة هذه الظواهر في تزايد، ومعاناة الإنسان منها في تصاعد، فهل أجدت تلك النصائح والتوجيهات الاجتماعية نفعًا في حماية الناس من شرور تلك المشكلات وعواقبها؟ وهل استطاع الطفل والراشد أن يتكيفا في ظل وجود فوضى أسرية وفساد اجتماعي؟.

إن الواقع يشهد بوجود تلك المشكلات، ويفتقر - أيضًا - إلى تطبيقات ناجحة شافية تمامًا لتلك النصائح والفلسفات، فالآثار النفسية والاجتماعية للاختلالات الاجتماعية ما زالت عنيفة بدرجة تفوق كل ما كانت عليه قبل بزوغ فجر العلم الحديث. وكثيرًا ما يعوّل علماء النفس وعلماء الاجتماع في أطروحاتهم الإصلاحية والعلاجية على عامل الوقت في حل المشكلات الاجتماعية والنفسية. والواقع أن النفس البشرية مجبولة على الحلول السريعة والأكيدة عندما تواجه مشكلةً ما. وكأني برجل الشارع يهمس في أذن العلماء المعنيين، ويقول لهم: «شيئًا من السرعة يا علماء فنحن في عصر السرعة».

إنجازات العمل التكاملي

لقد وعى علماء العصر الحديث أهمية العمل التعاوني المشترك(١٤) في رفع مستوى الخدمة المقدمة للإنسان. فقد يصب في هدف واحد أو خدمة

واحدة مساهمة مشتركة بين عطاءات متراكمة لعدد من التخصصات، يقوم أصحاب كلٌ منها بتكميل ما نقص عند الآخرين. فكثير من الإنجازات البشرية هي في واقع الأمر تمثل تداخلات متسلسلة ومتكاملة لعدد من التخصصات تصب كلها - في الأخير - في هدف واحد مشترك.

فعلى سبيل المثال تجد أنه في مجال الإنتاج الزراعي والحيواني يكون التعاون مشتركًا بين علماء النبات والحيوان مع علماء الكيمياء عندما يقوم الكيماويون بتحضير الأسمدة والمبيدات الحشرية، وهناك تعاون مع المهندسين عندما يخترعون أفضل الجرافات والأجهزة الزراعية، وتعاون مع أطباء البيطرة عندما يقومون بعلاج الأمراض الحيوانية والنباتية، وتعاون مع علماء الوراثة عندما يختارون السلالة الجيدة، وتعاون مع علماء الجينات عندما يحسنون نوعية المورِّثات، وتعاون مع علماء النفس عندما يسعون إلى تحقيق الرضا الوظيفي للعمال لزيادة عملهم. وبهذا العمل التعاوني والتكافلي يتحسن الإنتاج. ولا شك أنه في غياب واحد من تلك التخصصات يقل مستوى الخدمة المقدمة للإنسان في مجال الإنتاج الزراعي والحيواني.



الفيزيائيون لا يكتفون بالفكرة النظرية، وإنما يحولونها إلى واقع ملموس

والأرقام تؤكد هذا الأمر فقد وجد - على سبيل المثال - أن الاستهلاك الزراعي المحلي في بريطانيا ازداد من ٣٠٪ إلى ٨٠٪، وأن معدل إنتاج البقرة الواحدة سنوياً من الحليب ارتفع من ٢٥٠٠ لتر إلى ٤٠٠٠ لتر. وهذه النتائج ما كانت لتتحقق لو لم يكن هناك نظام العمل التعاوني المشترك بين التخصصات المختلفة(١٥).

والفلسفة الجديدة للعلم الحديث لا تقوم على مبدأ التجزئة والفصل، كما كان معهوداً في العقود الماضية، بل تقوم على التقارب والتزاوج. ولذا خرج عدد من العلوم المدموجة، كعلم الكيمياء الحيوية، وعلم الهندسة الكيماوية، وعلم النفس الإداري، وعلم الفيزياء الحيوية، وعلم الكيمياء الفيزيائية، وعلم الإدارة التربوية، وعلم النفس العصبي الدوائي وغيرها من العلوم التي تجمع في الأساس بين علمين مستقلين أو ثلاثة علوم أو أكثر من ذلك. وكأن العلم الحديث بدأ ينتقل من عصر التخصصات التفرعية إلى عصر التخصصات التجميعية.

سر تفوق الفيزيائيين

قد يقال: إن السر في تفوق الفيزيائيين على بقية المختصين يرجع إلى أن المختصين في الفيزياء هم في الأساس ممن تتوافر لديهم مستويات عالية من العبقرية والذكاء، مما جعل تطور مجالهم يأخذ قفزات متسارعة ومذهلة. وقد يقال: إن طبيعة علم الفيزياء تسترعي فضول أصحاب العقول المتميزة، ولذا توجهوا إليها في الأساس. وقد يقال: إن الدعم المادي غير المحدود للفيزيائيين هو الذي ساهم في نجاحهم وتفوقهم. قد تكون جميع تلك الاستنتاجات ممكنة، لكن الجدير بالقول أن سر تفوق الفيزيائيين يرجع إلى تعقد التخصصات الأخرى وصعوبتها، ويظهر ذلك من خلال النظر في الحجم الكبير للوحدة المدروسة التي تقوم عليها بقية التخصصات.

فلو تأملنا وحدة الفيزيائيين التي يتعاملون معها لوجدنا أنها تمثل أصغر الوحدات، وهي الذرات والإليكترونات، والكيماويون يتعاملون مع العناصر، والأحيائيون والأطباء يتعاملون مع الخلية، والنفسانيون يتعاملون مع حركات الإنسان وسكناته وانفعالاته وتفكيره، والاجتماعيون يتعاملون مع نظام الأسرة والأنظمة الاجتماعية. ولا شك أنه كلما كبر حجم وحدة موضع الدراسة زاد تعقد ذلك العلم. وعليه فإنه من خلال قراءة سريعة سيكون الترتيب التصاعدي - على وجه التقريب - لتعقد العلوم من حيث قدرتنا على تسخيرها على النحو الآتي: فيزياء، كيمياء، أحياء، علم نفس، وفي الأخير

علم الاجتماع الذي يحتل درجة عالية من التعقد من حيث قدرة الإنسان على السيطرة والتحكم في آثار المؤثرات الاجتماعية.

معضلة أخرى تخص الدراسات الإنسانية هي أنها تتعامل مع كيان لم يمكن تحويله بعد إلى جانب مادي جامد وثابت، فهم يتعاملون مع بُنى ضبابية ليس لها مجسم محدد الأبعاد. ويتوقع بعض الدارسين أنه عندما يصل العلم إلى الكشف عن تجسيمة هذه المعاني - هذا إن أمكن - فسيسهل لهم ذلك كثيراً من العقبات، ويحل كثيراً من الإخفاقات.

مراجعات للإنجازات العلمية

إن الطبيعة البشرية تسعى إلى إيجاد الحلول السريعة لمشكلاتها فالحل الذي يستغرق يوماً أو يومين يبادر إليه شريحة كبيرة من المجتمع، بعكس الحلول التي تستغرق شهوراً أو سنوات، والتي لا تشجع الكثيرين على العمل بها. وهذه هي الجوانب التي ميزت أعمال الفيزيائيين الناجحة بدعم المهندسين.

فمثلاً عندما تكون الغرفة حارة بضغطة زر على المكيف تتحول الغرفة الحارة إلى غرفة باردة، وبضغطة زر أخرى تضيء الغرفة المظلمة، وبضغطة زر تكلم صاحبك في أي قطر من الأرض، بل تنظر إليه على الشاشة، وبضغطة زر تصل بسرعة الصوت إلى أي مكان تريد في العالم. لا شك ولا شك ولا شك أنه تقدم رائع ومذهل لم يحلم به أسلافنا السابقون.

إن البشرية تطمح لتحويل منتجات التخصصات الأخرى بصورة تماثل ما وصل إليه الفيزيائيون من حلول إجرائية. فهل وصل الطب إلى درجة تماثل إنجازات الفيزيائيين، فتمكنوا من خلال تناول قرص أن يُشفى مريض السكر، ومن خلال قرص آخر أن يتعافى مريض الربو، ومن خلال ثالث أن ينجو مريض السرطان، وهكذا يشفى مريض البهاق والصدفية، ويشفى المصاب بالشلل، والمصاب بالعمى والصمم. وهل وصل التقدم بالطب النفسي إلى إتمام شفاء مريض الفصام والتوحد والاكتئاب والخرف.

وهل تمكن علماء النفس من خلال جلسة واحدة أن يخلصوا المريض النفسي من معاناته؟ وهل تمكن علماء الخدمة الاجتماعية من خلال توجيه واحد أن يجعلوا الإنسان يتحمل أي مشكلة اجتماعية تواجهه؟

إن ما تشهده التخصصات الأخرى يمثل تفاوتاً بادياً في تسابقهم، إذ ما زالت بعض التخصصات تتسارع على عجل، وبعضها يسير بسرعة متوسطة، وبعضها يجري جري النعام، وبعضها يمشي على مهل، وبعضها يزحف، وبعضها متقولب حول ذاته لا نبض فيه ولا حراك.



التخلص من النفايات هاجس يؤرق البشرية

فإلى متى ننتظر ليوافينا العلم الحديث بحل جذري وسريع لأي مشكلة تواجهنا مهما كان صنف تلك المشكلة؟!. وهنا نسأل العلم القادم عن مدى توجهه لتحويل جميع اشكاليات العلوم البحتة، والعلوم الانسانية ليدرسها عنهم الفيزيائيون من خلال تجزئة وحدات العلوم إلى وحدات صغرى وصغرى حتى ينتهي المطاف بالذرة والتي يتم الانطلاق منها للبحث عن حل أي مشكلة كانت مهما كان موضوعها. اليوم مثلاً يتحدث الفيزيائيون النظريون عن نظرية الأوتار الفائقة(١٦) super-strings، ويزعمون أنها نظرية تصلح لتفسير كل شيء، فهل ينجحون في ذلك؟(١٧).

إن جهلنا ما زال مُطْبِقًا في كثير من الجوانب، وسيظل كما عبر عن ذلك ألكسيس كاريل(١٨) إذ قال: «وواقع الأمر أن جهلنا مطبق، فأغلب الاسئلة التي يلقيها أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب؛ لأن هناك مناطق غير محددة في دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة».

وقبل الختام فإن موضوعًا، كموضوع أزمات العلوم، موضوع متشعبة أركانه، فما بالك بفروعه وأغصانه؟ ويجدر قبل أن تنفلت هذه المقالة، وتذهب إلى قارئها أن أختمها بمقولة لسيد قطب(١٩) «إنه ستبقى جوانب نجهلها في حياة الانسان مهما بُذِل من الجهد، ومهما تعددت حقول البحث ودرجاته؛ وذلك نظرًا للصعوبات الذاتية الكامنة في تعقد موضوع الحياة من جهة، وفي طبيعة عقولنا من جهة أخرى. هذا الجهل كان ولا يزال يقتضي أن يظل الانسان لاصقًا بالله سبحانه، قريبًا منه، ملتجئًا إليه مهتديًا بمنهجه الذي يضعه له عن علم وحكمة. وألاّ يغتر بفتوحات العقل في عالم المادة، ولا بمهاراته في الإبداع المادي - مهما بلغت قدرته، ومهما فهم أنه أتى بالخوارق في هذا المجال - فيدفعه هذا الغرور إلى تطبيق محاولاته في عالم المادة على عالم الحياة، وبخاصة حياة الإنسان. وأن لا يفتنه هذا الغرور فيجعله يحاول أن يضع لحياته مناهج مستقلة عن منهج الله». ختامًا: إن الحياة لن ينضبط إيقاعها إلا بعد أن نستجيب جماعات وأفرادًا لقوله تعالى: *فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى*. **طه**: ١٢٣.

الهوامش والمراجع

١. عندما تضع مؤشر المذياع (الراديو) على موجة FMعند تردد ١٠٠ فهذا يعني أن الحقول الكهربائية والمغناطيسية في جهاز الراديو يتحول بعضها إلى بعض بسرعة ١٠٠ مليون مرة في الثانية.

٢. تقوم المفاعلات النووية بتوليد مصدر عالٍ من النيوترونات من خلال انقسام أنوية عنصر اليورانيوم. فيقوم المفاعل في البداية بالعمل على انقسام نواة واحدة لليورانيوم قسمين، ونتيجة لهذا يخرج عدد محدد من النيوترونات، وعندما تخرج تلك النيوترونات تقوم بالعمل على الاصطدام بأنوية أخرى لليورانيوم، وينتج من هذا الاصطدام خروج نيوترونات أخرى، وهكذا تستمر سلسلة العمليات حتى نفاد كمية اليورانيوم، أو العمل على إيقاف تلك العمليات المتسلسلة بطريقة معينة، والتي لو لم توقف لانفجر المفاعل. وينتج من خروج النيوترونات طاقة عالية تستخدم في تطبيقات متعددة.

٣. لقد وجد أن العناصر التي يزيد عددها الذري على ١٠٠ تقريبًا عند تحضيرها تفككت في الحال، ولم يدم عمرها أكثر من أجزاء دقيقة من الثانية.

٤. هذا العنصر يزيد عدده الذري على عنصر اليورانيوم بواحد، وبهذا يشابه أهمية عنصر يورانيوم (ع = ٩٢)؛ ولذا فله أهمية تطبيقية.

٥. مقالة بعنوان «تصنيع العناصر الجديدة» Scientific American (1998), 293, 3

٦. الاشعاعات المؤيّنة: محمد فاروق و د. أحمد السريع، ١٩٨٣م.

٧. يخلط الكثيرون بين عمل المهندس والفيزيائي وفنّيّ الأجهزة. ويتلخص الفرق ببساطة في أن الفيزياء تمثل علمًا نظريًا، والهندسة تمثل عملاً تطبيقيًا، وفني الأجهزة يقوم بالجانب الصيانى . فلو أخذنا جهاز المذياع (الراديو) مثلاً فإن الفيزيائي هو الذي أوصلنا إلى الفكرة النظرية للكهرباء والموجات، والمهندس الإلكتروني هو الذي قام بتصميم الدوائر الكهربائية التي تستجيب لذبذبات معينة، والفني هو الذي يقوم بصيانة الجهاز وإصلاح عطله. وهذا يعني أن الفيزيائي يهتم بالجانب النظري البحت، والمهندس يهتم بالتصميم الهندسي لعمل الجهاز، والفني يهتم بالصيانة.

٨. علم الجينات أو علم المورثات - كما ينبغي أن يسمى - هو مساهمة مشتركة بين علماء الخلية وعلماء الوراثة وعلماء الكيمياء الحيوية، وقد أصبح الآن علمًا مستقلاً بذاته. ويسعى هذا العلم إلى معرفة تركيب المورثات ومواقعها على شريط الدنا DNA، وكيف يمكن تحسين المختل منها. فإذا علمنا أن جميع صفاتنا الجسمية واستعداداتنا السلوكية تتوضع على المورثات، فإن التحكم في تلك المورثات يعني التحكم في جميع خصائصنا. تم الانتهاء من رسم الخريطة الجينية في ١٢ فبراير/شباط من هذا العام.

٩. يتم هذا من خلال معرفة المورثة التي تشفر لصنع بروتين الأنسولين. ويتم في البداية استخلاص تلك المورثة ولصقها في شريط الدنا الخاص بالبكتريا، ومن ثم تعمل تلك المورثة على إنتاج بروتين الأنسولين من خلال عمليات النسخ والترجمة.

١٠. إن تسمية تلك العناصر الجديدة هي حق من حقوق الفيزيائيين، وليس الكيماويين؛ لأنهم هم الذين قاموا باكتشافها. ومع هذا فهناك تنازع كبير بين الفيزيائيين حول من صنعها أولاً ومن هم أحق بتسميتها، ففي الوقت الذي يصر فيه فيزيائيون من السويد على تسمية العنصر ذي العدد الذري ١٠٢ بـ جوليتم يسميه فيزيائيو أمريكا بـ نوبليوم. وما زال الخلاف أيضًا في تسمية العنصر ١٠٣ والعنصر ١٠٤ والعناصر الأخرى التي تلي ذلك. انظر «تصنيع العناصر الجديدة» Scientific American (1998), 293, 3

١١. هناك تقصير واضح في الإعلام المرئي لاستضافة المهندسين.

١٢. يظن بعضهم أن علم النفس يقتصر اهتمامه على علاج المرض النفسي. والواقع أنه علم يسعى إلى دراسة الدوافع التي تحكم السلوك الإنساني السويّ وغير السوي. ويشتمل علم النفس على جوانب نظرية وأخرى تطبيقية، وما دراسة الأمراض النفسية إلا تخصص فرعي من أفرع علوم النفس التطبيقية.

١٣. للاستزادة انظر كتاب أساسيات علم النفس العصبي (٢٠٠٠) فصل «الوعي»، د. خالد الخميس.

١٤. ما زال العرب يعانون من فقد ثمرة العمل المشترك، ليس على الصعيد السياسي فحسب، بل على الصعيد العلمي كذلك؛ فكل شخص يرى أن تخصصه هو الأهم والأفضل، بل قد يصل الأمر إلى تسفيه أعمال الآخرين. والآن تجد في المؤتمرات العالمية تجمعًا لعدد كبير من العلماء لمناقشة موضوع معين. فكل باحث له صلة بالموضوع العام للمؤتمر يرى تخصصه هو المهم. ولقد حضرت مؤتمرًا في لندن حول الإعاقة الدماغية اشترك فيه علماء من تخصصات مختلفة: أطباء الأعصاب، وجراحو الأعصاب، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع، وعلماء التربية، دون أن يكون هناك فوقية من قبل بعضهم، بل إن عمل كل واحد منهم يكمل عمل الآخر.

١٥. ضرورة العلم: دراسات في العلم والعلماء: ماكس بيروتز، ترجمة بسام معصراني: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٩م.

١٦. ما بعد اينشتاين: ميشيو كاكو وجنيفر ترينر، ترجمة: د. فايز فوق العادة، ١٩٩١م.

١٧. يصف واضعو النظرية أن الأوتار الفائقة تمثل جسيمات فائقة في الصغر أقل من حجم البروتون ببليون بليون مرة.

١٨. الإنسان ذلك المجهول: ألكسيس كاريل، ترجمة: شفيق سعيد، ١٩٨٤م.

١٩. الإسلام ومشكلات الحضارة: سيد قطب، ص٣٣، ١٩٨٠م.

مصدر الصور: الإنترنت.

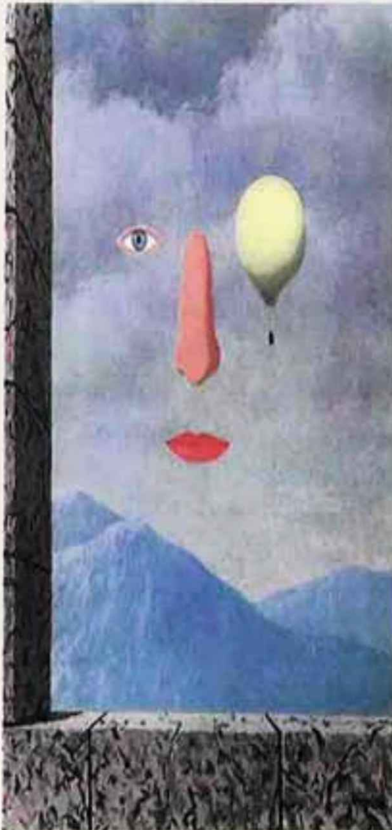
أهْلا وسَهْلا

محمد عبدالله الهويمل
الرياض - السعودية

«إنها العودة إلى العرش الحقيقي»

أطلّت دمعةٌ بيضاءُ خجلى
تدلّتْ مثل فانوسٍ تدلّى
تجرّ الماءَ من عينيك عذْبًا
جرى يسقي الرُّبى حقلاً فحقلا
وينمو الشعر والأزهار فيها
ويلهو في الرُّبى قيسٌ وليلى
تجرُّ الدمعَ إثر الدمعِ حتّى
حسبْتُ الدمعَ في خدّيك حَبلا
زفرتَ كمن جرى في البيدِ ظُهْرًا
فعَنّ له ظلالٌ فاسْتظلاّ
زفيرُكَ في ضمير الليلِ نارٌ
لظاها من لهيب الشُّهبِ أعلى
سمعتُكَ والحمامُ يكفّ رِجْلاً
ويبسطُ للهجوم عليك رِجْلا
وأقمشةُ المساءِ تمدُّ ثوبًا
يُكفّنُ بالسّنا سيموتُ قتْلا
كأنَّ الأرضَ والليلُ احتواها
عجوزٌ ترتدي أثوابَ ثكْلى
أيا مسكينُ!! عذراءُ المآسي
عقيمٌ أصبحَتْ شمطاءَ حُبْلى
جمعْتَ سوادَ حظّك في الليالي
فصارَ لعينكَ النجلاءِ كُحلا
طموحُكَ في السّحائب كان ماءً
هوى حتى غدا طينًا ووَحْلا
وقلبُكَ قد غدا مرمىً وحيدًا
فصارتْ حادثاتُ الدّهرِ نَبْلا

أراك وكلّما ذبلَتْ زهورٌ
زرعْتَ مكانَها شجرًا ونَخلا
ليرْفُلَ فوق حقلك كلُّ حافٍ
وأنتَ على الصخور تجُرُّ نَعْلا
يكرُّ عليك جيشُ البؤسِ غدرًا
ولم يقرعْ قُبيلَ الحربِ طبْلا
ذللْتَ له، فما جرّدْتَ سيفًا
لتصرَعه وما أسرجْتَ خَيلا
فأدمنْتَ البكاءَ فصار عذبًا
وعانقْتَ الشقاءَ فصار خِلاّ
فخُيّرْتَ الحِمَامَ أو الرّزايا
فقلتَ كلاهما حلوٌ وأحلى
ولمّا صارَ جلدُكَ من رمادٍ
وصار الماءُ في شفتيكَ رَمْلا
رحلتَ مُضرّجًا واليأسُ شمسٌ
مُسعّرةٌ، وصارَ الموتُ ظِلا
وأنتَ على لسانِ الجمرِ تمشي
لمستَ خيوطَ إصباحٍ تجلّى
ضياءً فوقَ كرسيٍّ وثيرٍ
وهمسَ حكايةٍ بالأمسِ تُتلى
هُرِعْتَ إليه مرتعشًا ذهولا
فقلْتَ: أأنتَ عرشٌ؟ قال: كلا!
فإنّي حُضْنُ أمّك يا صغيري
وقد تَبلى العروشُ ولستُ أبْلى
فهذا الحضنُ ليس يراه شيخٌ
كبيرُ السّنِّ إلاّ عادَ طفلا



ومدّتْ كفّها المبلولَ دمعًا
لتغسلَ وجهكَ المُغبرَّ غَسْلا
ألا فاصْعَدْ لعرشك يا صغيري
وصاحَ فؤادها.. أهلاً وسهلا

الهوامش

البيد: الصحراء
نبْلا: سهمًا
عنّ: ظهر
الرزايا: المصائب
حادثات الدهر: مصائبه
الحِمام: الموت

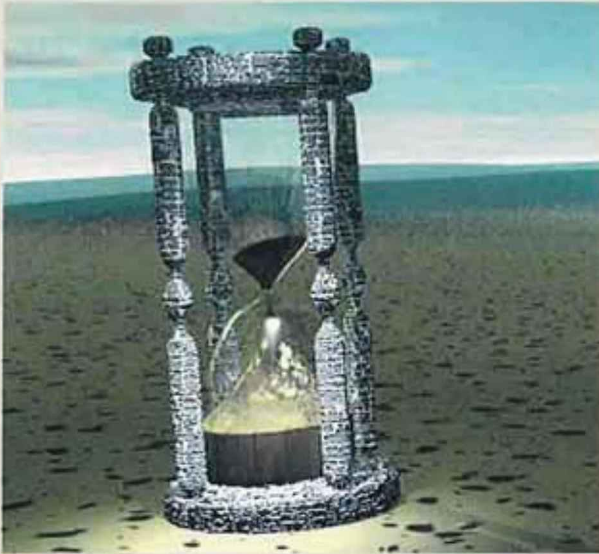
مالك الحزين

أحمد محمد المعتوق
الظهران - السعودية

صلّيتُ عند ركنها العتيد
صلّيتُ في رواقها وصمتُ للإله ألف عامْ
دعوته بلهفة حائرة
نشرت ما بأضلعي وقلتَ يا إله
يا خالق الوجود
أهذه قارورة الحياة أم دوارق الخلود!!
خلقتها كمُزنة صافية
كقطرة من الندى تلألأت براحة الوجود
كبيضة النعام أو أرق، يا إله صغتَها
شجيرة من لهب غصونها
وترعة تغزل بالمياه شهوة الرحيل
متعبة خطا الزمان خلفها تغذ في المسير
ومالك الحزين ما يزال عند ضفة الغدير
يفترش الجناح في شتائه المطير
في ريشه ترتعد الرياح أو يسافر المساء
وساقه عارية جامدة الدماء
والشمس لا تطلّ من شباكها المدوّر العيون
لاهية، تعابث الظلال في فناء ركنها
لعلها تهم في استدارة السنين!

ooo

إلى هنا - يصيح مالك الحزين - أين كنت؟!
هاك، قلبي الغريق، مدّ لي يديك، نَجِّني
هلمّ، فالدروب هاهنا تتيه في قرارة المغيب
وكيف، ما جرى وأين، لا تَسلْ
فلن يبوح مالك الحزين
بسره الدفين
السر ذاب. أعشب اللظى بقلبه
وأنت من يلملم اللظى
ويفرغ السحاب في بحيرة الغروب



تكوّر الصدى وصوّح الندا، ولم يعد!
ومالك الحزين
يؤجج الحريق، يشرب الترابُ ذوبَه
يبعث من جديد
ليغزل الرماد بردةً لحلمه الوديع
- أتى الشتاء يا رفيقُ
- لا يمر من هنا سوى الشتاء!
يا طائر البلشون ريشه يسرح المساءْ
يمسد المنقار في موائد المطرْ
والعنق الطويل مثل رحلة بعيدة المدى
تكور الصدى
نأى، والليل راح يملأ الجرار بالسكون
وأنت ما تزال شاحب النداء تحتسي الهراء
أو تلم ما تناثر الهباء فوق ضونه الحزين
والسر في استراحة المياه إذ يذوبُ
أو يطل كالنخيل من وراء سورها الحديد

صلة الرحم

معن بن أوس(*)

وذي رَحِمٍ قلّمتُ أظفارَ ضِغْنه
بحِلْمِيَ عنه، وَهْوَ ليس له حِلْمُ(١)
إذا سِمْتُه وصلَ القرابة سامني
قطيعتَها؛ تلك السفاهةُ والظُّلْمُ
وأسعى لكي أبني، ويَهْدِمُ صالحي؛
وليس الذي يبني كمن شأنُه الهدمُ
يُحاول رُغْمي لا يُحاول غيرَه،
وكالموت عندي أن يَنال له رغمُ(٢)
فإن أنْتَصِرْ منه أكنْ مثلَ رائشٍ
سِهامَ عدوٍّ يُستهاض بها العظمُ(٣)
فبادرَ منّي النأيَ؛ والمرءُ قادرٌ
على سهمِه ما دام في كفّه السهمُ(٤)
فإن أعفُ عنه أُغْضِ جفْنًا على القذى
وليس له بالصفح عن ذنبه علمُ(٥)
حَفِظْتُ الذي قد كان بيني وبينه
وهل يستوي حربُ الأقارب والسِّلْمُ؟



فما زلت في لينٍ له وتَعَطُّفٍ
عليه، كما تحنو على الوَلَدِ الأمُّ
لأستَلَّ منه الضِغْنَ حتّى اسْتَلَلْتُه
وإن كان ذا ضغنٍ يَضيق به الحَزْمُ!

الهوامش

* وُلد معْن بن أوس في أعقاب الجاهلية وبلغ مبلغ الشباب وشهد فيها أيضًا معارك نشبت بين بني قومه في الحجاز. ويبدو أنه لما أسلم ووفدَ على عمر بن الخطاب استقر في المدينة. وكان معن على شيء من اليسار يملك نخلات في المدينة وشيئًا من الأرض في أماكن أخَرَ، ويملك كثيرًا من الإبل. وقد حملته تجارته مرة إلى البصرة وتزوج فيها، ولكن لم تطل إقامته هناك.

ولم يخرج معن بن أوس في الفتوح، ولكنه اشترك في الفتنة بين عثمان وعلي، وكان يتكسّب بمديح نفر من الصحابة في مكة والمدينة.

وأسنّ معن بن أوس كثيرًا، وعمي في شيخوخته، ثم تُوفيَ في سنة ٦٤هـ، في أول الفتنة بين عبدالله بن الزبير مروان بن الحكم.

١. ذو الرحم: ذو القرابة. قلمت أظفار ضغنه: أبطلت نتائج حقده علي.

٢. يحاول رغمي (مثلثة الراء): إكراهي وإجباري (على ما لا أريد).

٣. إذا انتصرت عليه (انتصفت منه، عاملته كما عاملني، حاولت رغمه) كنت كمثل الرجل الذي يعدّ لعدّوه سهامًا ثم يعطيه إياها (إذا أسأت إليه كنت كمن يسيء إلى نفسه). يستهاض بها العظم: يكسر بها العظم (تعظم فيه الإساءة).

٤. فبادر مني النأي: فبدأت أنا بالنأي (بالابتعاد، تركت الانتقام منه). والمرء قادر ..إلخ: مادام السهم لا يزال في يدك فأنت قادر على أن تطلقه متى شئت. (ما دمت لم تعمل عملاً ما، فأنت بالخيار تستطيع أن تعمله في المستقبل أو لا تعمله).

٥. مع أنني إذا عفوت عن سيئاته فإنني أغضي (أطبق) جفني على القذى (على وسخ العين الذي هو نتيجة مرض الرمد، على الأذى): أصبر على أذاه مع أن ذلك يؤلم نفسي.

المصدر:

تاريخ الأدب العربي ـ عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ج١، ص٤١٩ ـ ٤٢٠.

الحلق الفولاذي

ميخائيل بولغاكوف
ترجمة: **هاشم حمادي**
دمشق - سورية

وهكذا بقيت وحدي، ومن حولي تخيم ظلمة نوفمبر الدامسة وزوابع الثلج، في بيت شبه مطمور، والريح لا تكف عن العواء. عشت كل سنوات عمري الأربع والعشرين في المدينة الكبيرة، وكان يخيل إلى أن الزوابع لا تعوي إلا في الروايات، لكن تبين أنها تعوي في الواقع. الليالي هنا طويلة بشكل غير عادي، والمصباح ذو الغطاء الأزرق ينعكس على النافذة السوداء، فأحلّق على أجنحة الخيال، وأنا أحدّق بالبقعة، التي تضيء على يدي اليسرى. أحلم بمركز الناحية الواقع على بعد أربعين فرسخاً، فتتملكني رغبة جامحة في أن أهرب من مركزي إلى هناك، حيث الكهرباء، وأربعة أطباء يمكن التشاور معهم، والوضع ليس مخيفاً كما هو الحال هنا. لكن لم يكن ثمة أي إمكانية للهرب، ثم إنني أنا نفسي كنت أدرك، بين الفينة والأخرى، أن ذلك جبن؛ فلهذا الغرض بالذات درست في كلية الطب.

«.. طيب وماذا لو أتوني بامرأة لديها ولادة غير طبيعية؟ أو لنفرض بمريض لديه فتق محتَصَر؟ ماذا سأفعل؟ هلا أسديتم إليّ النصح من فضلكم. قبل ثمانية وأربعين يوماً خلت تخرجت في الكلية بامتياز، لكن الامتياز شيء، والفتق شيء آخر. مرة واحدة رأيت الأستاذ يجري عملية فتق محتصر. كان هو يجريها، بينما كنت جالساً على المدرج، فقط..».

أكثر من مرة كان العرق البارد يتصبب على طول عمودي الفقري، ما إن أتذكر الفتق. في كل مساء كنت أجلس في وضعية واحدة، أشرب الشاي، وفي متناول يدي كل الإرشادات في التوليد العاجل، ومن فوقها كتاب دودرليابن الصغير. وعن يميني عشرة مجلدات مختلفة في الجراحة العاجلة، مع الرسوم. كنت أتأوه، أدخن، وأشرب الشاي الأسود البارد.

وها قد غفوت: أذكر جيداً تلك الليلة - التاسع في العشرين من نوفمبر - حين استيقظت على طرق قوي على الباب. وبعد خمس دقائق كنت، وأنا أرتدي البنطال، لا أرفع نظرات التضرع عن كتب الجراحة العامة المقدسة. تناهى إلى سمعي طرق قوي على الباب. فأصبحت أذناي مرهفتين إلى درجة غير عادية. وقد تبين أن الموضوع أكثر هولاً من الفتق ومن الوضع غير الطبيعي للطفل: فقد أحضروا إلى نقطة نيكولسكي الطبية، في الساعة الحادية عشرة ليلاً، طفلة. وقالت الممرضة بصوف خافت:

- إنها طفلة ضعيفة تحتضر.. تفضل يا دكتور إلى المستشفى..

أذكر أنني قطعت الباحة، واتجهت نحو مصباح الكيروسين لدى مدخل المشفى. وكالمسحور، رحت أنظر إليه، وهو يتلألأ. كانت العيادة قد أضيئت، وكان كل طاقم المساعدين بانتظاري، وقد ارتدوا الأرواب؛ وهم مساعد الطبيب أندري لوكيتش، وهو لا يزال شاباً يافعاً، لكنه في منتهى المهارة، وقابلتان محنكتان - ماريا نيقولايفنا، وبراسكوفيا ميخائيلوفنا. ولم أكن أكثر من طبيب في سن الرابعة والعشرين، تخرجت منذ شهرين، وكلفت بإدارة مستشفى نيكولسكي.

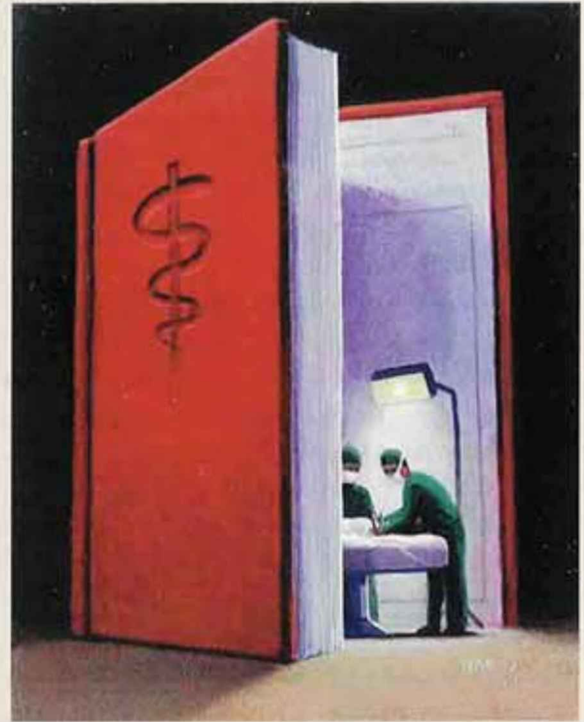
فتح مساعد الطبيب الباب بشكل مهيب، وظهرت الأم. بدت وكأنها دخلت طائرة، وهي تتزحلق في جزمة اللباد، ولم يكن الثلج قد ذاب بعد من على منديلها. كان ثمة في يدها صرة، لا تكف عن الفحيح والصفير بانتظام.

كان وجه الأم مشوهاً، وهي تبكي دون صوت. وحين ألقت بمعطفها ومنديلها، وفكت الصرة، رأيت طفلة في حوالي الثالثة. وما إن نظرت إليها، حتى نسيت فترة الجراحة العاجلة، والوحدة، وعبئي الجامعي الثقيل. نسيت كل شيء بسبب جمال الفتاة الباهر. بمَ أشبهها؟ فقط على علب الحلويات يرسمون أطفالاً من أمثالها - فالشعر يتجعد طبيعياً في دوائر كبيرة، وهو بلون الشعير الناضج. والعينان زرقاوان، دعجاوان، والخدان خداً دمية. على هذا النحو ترسم الملائكة. لكن قذى غريباً يعشش في أعماق عينيها؛ وأدركت أن ذلك هو الخوف، فهي لم تكن قادرة على التنفس. «لسوف تموت بعد ساعة: - هذا ما خطر لي بيقين كامل، فكاد قلبي ينفطر..».

كانت التجاويف تغور في حنجرة الطفلة لدى كل تنهيدة، والعروق تنتفخ، بينما كان الوجه يتحول من اللون الوردي إلى الليلكي الخفيف.

وفوراً أدركت مغزى هذا التلون، وعرفت أسبابه. وكان أول تشخيص أضعه صائباً، والمهم أن القابلتين المحنكتين شاطرتاني الرأي: «الصغيرة مصابة بالطفح الدفتيري، والحلق محشو بالأغشية، ولن يلبث أن يغلق تماماً..».

ـ كم مضى على مرض الصغيرة؟ ـ سألت وسط الصمت الحذر لطاقمي.
ـ إنه اليوم الخامس، الخامس ـ قالت الأم، وبعينين جافتين نظرت إلي بعمق.
ـ طفح دفتيري ـ من بين أسناني قلت للمساعد، أما للأم فقلت: وأنت بماذا كنت تفكرين؟ بماذا كنت تفكرين؟ وفي هذه اللحظة تردد من ورائي صوت بكّاء:
ـ الخامس يا باتوشكا، الخامس.
وإذ التفت، رأيت عجوزاً ثرثارة، ذات وجه كروي. «كان من الأفضل ألاّ يكون لهؤلاء العجائز وجود في الدنيا» ـ هذا ما



خطر لي، وفي توجس كئيب قلت:
ـ اسكتي أيتها العجوز، فأنت تضايقينني؛ أما للأم فكررت: بماذا كنت تفكرين؟ خمسة أيام؟ آه!
وفجأة، وبحركة آلية، سلمت الأم الصغيرة للعجوز، وركعت أمامي على ركبتيها، وقالت:
ـ أعطها قطرة ـ ثم ضربت جبينها بالأرض ـ لسوف أخنق نفسي إن ماتت.
ـ انهضي في هذه اللحظة، وإلا لما تحدثت معك.
نهضت الأم بسرعة، وهي تهسهس بتنورتها العريضة، وأخذت الصغيرة من العجوز، ثم راحت تهدهدها. بدأت العجوز تصلي للعضادة، بينما الصغيرة لا تكف تتنفس، كفحيح الأفعى. وقال مساعد الطبيب:
ـ كلهم يتصرفون على هذا النحو. يا للبشر! وهنا مال شارباه جانباً.
ـ هلي يعني أنها ستموت؟ سألت الأم، وهي تحدق بي بثورة سوداء، كما خيل إلي.
ـ ستموت ـ قلت بصوت ثابت وضعيف.
وللحال لفّت العجوز طرف ثوبها، ثم راحت تمسح عينيها، بينما زعقت بي الأم بصوت قبيح:
ـ أعطها، ساعدها. أعطها قطرة.
كنت أرى بكل وضوح ماذا ينتظرني، فكنت قاسياً.
ـ أي قطرة أعطيها، انصحيني. الصغيرة تختنق، الحلق مسدود. خمسة أيام وأنت تعذبين الصغيرة على مسافة خمسة عشر فرسخاً مني. والآن ماذا تأمرين أن أفعل؟
ـ أنت أدرى يا باتوشكا ـ أنّت العجوز من على يساري بصوت مصطنع، فشعرت بالكراهية فوراً.
ـ اخرسي ـ قلت لها، ثم طلبت من مساعد الطبيب أن يأخذ الصغيرة. سلمت الأم الطفلة، فراحت تخبط، وهمت، على ما يبدو، أن تصرخ، لكن صوتها لم يعد يخرج. أرادت الأم حمايتها، لكننا أبعدناها. وعلى ضوء المصباح تمكنت من النظر إلى حلق الصغيرة. حتى ذلك الحين لم يكن قد سبق لي أن رأيت الدفتيريا إلاّ الحالات الخفيفة والسريعة النسيان. كان ثمة في الحلق شيء ما بقبقي، أبيض وممزق. فجأة أطلقت الصغيرة زفيراً، وبصقت في وجهي، لكنني لسبب ما، لم أخش على عيني، فقد كنت مستغرقاً في التفكير.
ـ اسمعا ـ قلت مستغرباً هدوئي ـ الموضوع على النحو التالي. فات الوقت. الصغيرة تحتضر. ولا شيء يساعدها، إلا العملية. هنا تملكني الرعب، لماذا قلت ذلك، لكنني لم أكن أستطيع إلا أن أقول. وإذا ما وافقتا؟» ـ خطرت لي هذه الفكرة.
ـ سألت الأم: ماذ تقصد؟
ـ لابد من شق أسفل الحنجرة، ووضع أنبوب فضي، لتمكين الصغيرة من التنفس. وحينذاك قد ننقذها.
نظرت إليّ الأم كما لو أنني مجنون، وحجبت الطفلة عني بيديها، أما العجوز فقد عادت إلى هذرها:
ـ إياك أن تدعيه يذبحها! ماذ تفعلين؟ الحنجرة؟
ـ انقلعي يا عجوز ـ قلت بكراهية ـ ثم أوعزت إلى مساعد الطبيب:
ـ احقنها بالكافور.
لم تسلم الأم الصغيرة حين رأت الحقنة، لكننا أوضحنا لها أن ذلك ليس مخيفاً.
ـ ـ سألت الأم: هل يساعدها هذا؟
ـ لن يساعدها أبداً.
وحين ذاك انخرطت الأم في البكاء.
ـ توقفي ـ صحت بها، ثم أخرجت الساعة، وأضفت: أمهلك عشر دقائق للتفكير، وإن لم توافقي بعد خمس دقائق، فلن أقوم بإجرائها.

ـ لست موافقة! ـ قالت الأم بحدة.
ـ غير موافقتين! ـ أضافت العجوز.
ـ طيب، كما تريدان ـ أضفت بصوت خافت، وفكرت: «ها قد انتهى الأمر! أشعر بتحسن. ألم أقل لهما، وأعرض عليهما، وهاهما القابلتان ذاهلتان. لقد رفضتا، فنجوت». ولم يكد هذا يخطر ببالي، حتى وجدت نفسي أقول بصوت غريب عني:
ـ ماذا بكما، هل جننتما؟ كيف لا توافقان؟ تقتلان الطفلة. هيا وافقا. ألا تشفقان عليها؟!
ـ كلا ـ من جديد صاحت الأم.
وقلت بيني وبين نفسي: «ما هذا الذي أفعل؟ فأنا سأذبح الصغيرة». لكنني قلت شيئاً آخر:
ـ هيا عجلا، عجلا ووافقا. وافقا. فقد بدأت أظافرها تزرق.
ـ أبداً، أبداً.
ـ حسن، خذوهما إلى الحجرة، ولتجلسا هناك.
أخرجوهما مع الصغيرة عبر المشى المعتم، وتناهى إليّ بكاء المرأتين وفحيح الصغيرة. عاد مساعد الطبيب، وقال:
ـ لقد وافقتا.
تحجر كل شيء في داخلي، لكنني قلت بوضوح:
ـ على جناح السرعة طهروا المبضع، والمقص، والملاقط والمسبار.
وإن هي إلا دقيقة حتى جريت عبر الباحة، حيث كانت الزوبعة تدوم كأنها إبليس. دخلت غرفتي، وتشبثت، وأنا أحصي الدقائق، بالكتاب. قلبت صفحاته إلى أن عثرت على الرسم الذي يمثل جراحة الرغامى. كل شيء في الرسم كان واضحاً وبسيطاً: الحنجرة مفتوحة، المبضع مثبت في الرغامى. انكببت على النص أقرؤه، لكنني لم أفهم شيئاً، فالكلمات تبدو وكأنها تتواثب أمام عيني. لم يكن قد سبق لي أن رأيت كيف تجري عملية جراحة الرغامى.
«إيه، لات ساعة مندم» ـ ناجيت نفسي، ثم نظرت بحسرة إلى اللون الأزرق، إلى الرسم الفاقع. فشعرت بأن الطامة الكبرى قد نزلت بي، وعدت إلى المستشفى، دون أن ألاحظ الزوبعة.
وفي العيادة التصق بي ظل يرتدي تنورة دائرية، وناح صوت:
ـ كيف ستقوم يا باتوشكا بذبح الطفلة؟ وهل هذا معقول،؟ لقد وافقت الحمقاء، أما أنا فغير موافقة، غير موافقة. إنني موافقة على علاجها بالقطرة، أما ذبحها فهذا ما لن أسمح به.
ـ أبعدوا هذه العجوز ـ صرخت، وفي ثورة الغضب أضفت ـ إنك أنت الحمقاء، أنت، أما تلك فذكية فعلاً. وإجمالاً فإن أحداً لن يأخذ رأيك. خذوها. احتضنت القابلة العجوز بقوة، ودفعتها خارج الحجرة.

ـ جاهزون ـ قال مساعد الطبيب فجأة.
دخلنا غرفة العلميات الصغرى. وكما لو من وراء ستارة رأيت الأدوات اللامعة، والمصباح الباهر والغطاء المشمع.. للمرة الأخيرة خرجت الأم، وبمشقة انتزعت الصغيرة من بين يديها. ولم أسمع إلا الصوت المبحوح يقول: «زوجي غائب، إنه في المدينة. وحين سيعود، يكتشف فعلتي، سيقتلني!».
ـ سيقتلها ـ كررت العجوز، وهي تحدق بي برعب.
ـ لا تدعوهما تدخلان إلى غرفة العمليات.
بقينا وحدنا في غرفة العمليات، الطاقم وأنا وليدكا الصغيرة. كانت تجلس على الكرسي، وتبكي دون صوت. أرقدوها على الطاولة، وأمسكو بها، ونظفوا حنجرتها، ودهنوها باليود. وحين تناولت المبضع تساءلت بيني وبين نفسي: «ما هذا الذي أفعل؟». كان الهدوء التام يخيم على غرفة العمليات. أخذت المبضع، ومررته عمودياً على الحنجرة البيضاء المكتنزة، لكن قطرة دم واحدة لم تظهر. وللمرة الثانية مررت المبضع عبر الشريط الأبيض، الذي برز بين الجلد المنشطر. ومن جديد لم تبد قطرة واحدة. وبكل هدوء رحت، وأنا أحاول تذكر بعض الرسوم في الأطالس، فصل الأنسجة الدقيقة، مستعيناً بالمسبار الكليل. وحينذاك انبجس الدم الداكن من مكان ما أسفل الجرح، ولم يلبث أن غطى الجرح كله، وبدأ يسيل على العنق. راح مساعد الطبيب يمسحه باللفائف القطنية، لكنه لم يتوقف. حاولت تذكر كل ما شاهدت في الجامعة، وبدأت الضغط على طرفي الجرح بالملاقط، لكن دون جدوى. اقشعر بدني، وتبلل جبيني. وكم أسفت أنني انتسبت إلى كلية الطب، وأنني جئت إلى هذه المنطقة النائية. وفي أسى غاضب دفعت الملقط بشكل عشوائي في مكان قريب من الجرح، وأغلقته، فتوقف تدفق الدم في الحال. جففنا الجرح بكتل من القماش، فبدا لي نظيفاً وعصياً على الفهم تماماً. فلم يكن ثمة رغامي في أي مكان. ولم يكن جرحي هذا شبيهاً بأي رسم. ومرت أيضاً دقيقتان ـ ثلاث، وأنا أنبش عبثاً، وبشكل آلي تماماً، عن الرغامى بالمبضع تارة وبالمسبار أخرى. ومع نهاية الدقيقة الثانية يئست من العثور عليها. ورحت أناجي نفسي: «إنها النهاية، لما فعلت ذلك؟ فقد كان بوسعي ألا أعرض العملية، فتموت ليدكا بكل هدوء في الغرفة، أما الآن فستموت بحنجرة ممزقة، ولن أبرهن أبداً أنها كانت ستموت على كل حال، وأنني لست الملوم على ما حصل لها». مسحت القابلة جبيني بصمت. وخطر لي «أن ألقي بالمبضع، وأقول: لا أعرف ماذا أفعل بعد هذا! وهنا تصورت عيني أمها، فرفعت المبضع من جديد، ودون تفكير غرزته بعمق وحدة، فتباعدت الأنسجة، وعلى حين غرة برزت الرغامى أمامي.
ـ الملاقط ـ قلت بصوت أبح.

أعطاني المساعد إياها. غرزت أحد الملاقط في هذا الجانب، والثاني في الجانب الآخر، أما الثالث فأعطيته مساعد الطبيب. الآن لم أعد أرى سوى حلقات الرغامى الرمادية. غرزت المبضع الحاد في الرغامى. وتجمدت. اندفعت الرغامى من الجرح، وخطر لي أن مساعد الطبيب فقد عقله، فقد راح يقتلعها فجأة. ومن خلفي أطلقت القابلتان كلتاهما آهة. رفعت عيني، وأدركت السبب: فقد أصيب المساعد بالإغماء بسبب الجو الخانق، وراح، وقد تشبث بالملقط، يشد الرغامى. وخطر لي: كل شيء ضدي. إنه قدري. الآن لم يعد ثمة شك أننا ذبحنا ليدكا. ـ ثم أضفت مناجيًا نفسي: «ما إن أصل البيت حتى أطلق النار على نفسي».

وهنا اندفعت القابلة الأقدم، وهي محنكة جدًا على ما يبدو، نحو المساعد بوحشية. انتزعت الملقط منه، وقالت، وهي تكز على أسنانها:

ـ تابع يا دكتور...

سقط المساعد واصطدم، لكننا لم نلتفت إليه.

غرزت المبضع في الرغامى، ومن ثم أدخلت الأنبوبة الفضية فيها، فاستقرت بشكل جيد. لكن ليدكا بقيت هامدة، فالهواء لم يدخل الرغامى. أخذت نفسًا عميقًا، وتوقفت: لم يكن ثمة ما أفعله. شعرت برغبة في طلب المغفرة من أحدهم، والندم على طيشي بانتسابي إلى كلية الطب. كان الصمت مخيمًا. رأيت كيف راحت ليدكا تزرق. وهممت أن أرمي كل شيء، وأنخرط في البكاء. وفجأة ارتعشت ليدكا بوحشية، وانطلقت الأدران كالنافورة عبر الأنبوب، واندفع الهواء بصفير عبر الرغامى. بعد ذلك راحت الصغيرة تتنفس، وبدأت تبكي. وفي هذه اللحظة نهض مساعد الطبيب. كان شاحبًا مبللاً بالعرق، وألقى، ببلاهة ورعب، نظرة على الحنجرة، ثم بدأ يساعدني في خياطتها.

ومن خلال الحلم وغشاوة العرق، التي غطت على عيني، رأيت وجهي القابلتين السعيدين، وقالت لي إحداهما:

ـ يا للعملية الرائعة، التي أجريتها يا دكتور.

اعتقدت أنها تسخر مني، فاختلست إليها نظرة عابسة. بعد ذلك فتح الباب، وهب الهواء المنعش. أخرجوا ليدكا وهي في الشرشف، وفي الحال ظهرت أمها بالباب. كانت عيناها كعيني الوحش البري. وسألتني:

ـ كيف؟

حين سمعت نبرة صوتها تدفق العرق غزيرًا على ظهري، فحينذاك فقط أدركت ما كان يمكن أن يحصل لو أن ليدكا ماتت على الطاولة. لكنني أجبتها بصوت هادئ جدًا:

ـ اطمئني. إنها حية. آمل أنها ستبقى على قيد الحياة. لكنها لن تستطيع الكلام قبل نزع الأنبوب، فلا تخافي.

وهنا انشقت الأرض عن العجوز، التي راحت ترسم إشارة الصليب على قبضة الباب، علي وعلى السقف. لكنني لم أعد أغضب منها. أدرت ظهري، وأوعزت بحقن ليدكا بالكافور، وتناوب السهر عليها، ثم غادرت إلى مكتبي عبر الباحة. أذكر أن الضوء الأزرق كان مشتعلاً في مكتبي، وكتاب دوديرلياين على الطاولة، بينما الكتب الأخرى مبعثرة.

اقتربت من الأريكة، وأنا في ثيابي، واستلقيت، وفورًا لم أعد أرى شيئًا. فقد رحت في سبات عميق، حتى الأحلام لم أرها.

مر شهر وآخر، رأيت خلالهما الكثير. وكان ثمة ما هو أشد هولاً من حنجرة ليدكا، حتى إنني نسيت أمرها.

كان الثلج يغطي كل شيء. وكان عدد المرضى يزداد يومًا بعد يوم. وفي ذات مرة، في العام الجديد، دخلت عيادتي امرأة، تقود طفلة صغيرة ملفوفة بالثياب. كانت المرأة تتلألأ سرورًا. وما إن تمعنت فيها حتى عرفتها.

ـ آ. ليدكا! طيب كيف الحال؟

ـ كل شيء تمام.

كشفوا عن حنجرة ليدكا. راحت تقاوم بخوف. ومع هذا لقد تمكنت من رفع ذقنها، والنظر إلى عنقها الوردي، حيث بدت ندبة رمادية عمودية، واثنتان بالورب، نتيجة خياطة الجرح، فقلت:

ـ كل شيء على ما يرام. لا داعي للمراجعة بعد الآن.

ـ أشكرك يا دكتور. شكرًا، قالت الأم، ثم طلبت من ليدكا:

ـ قولي شكرًا لعمو.

بيد أن ليدكا لم ترغب في أن تقول لي شيئًا. ومنذ ذاك لم أرها أبدًا، وبدأت أنسى قصتها، وراح عدد المراجعين يزداد. وفي أحد الأيام وصل عددهم إلى مئة وعشرة. بدأنا في التاسعة صباحًا، وانتهينا في الثامنة مساءً. كنت أتمايل، وأنا أنزع الرداء. وقالت لي القابلة الأقدم.

ـ إن الفضل في هذا الإقبال إنما يعود إلى جراحة الرغامى. هل تعرف ماذا يقولون في القرى؟ إنهم يزعمون أنك استبدلت بحلق ليدكا حلقًا فولاذيًا، وركّبته لها. البعض يقصد قريتها فقط للنظر إليه. يا للشهرة، التي حققت يا دكتور.

وسألت: أما زالت تعيش بحلق فولاذي؟

ـ نعم ما زالت. أما أنت يا دكتور فقد كنت بارعًا. كنت بارد الأعصاب، ورائعًا.

هم ـ نعم.. الواقع أنني لا أضطرب أبدًا ـ قلت لسبب غير معروف، وشعرت أنني، بسبب التعب، عاجز حتى عن أن أخجل من هذا الادعاء، لكنني أدرت عيني جانبًا ثم ودعتها، وذهبت إلى مكتبي. كانت ندف الثلج لا تزال تتساقط، فتغطي كل شيء، والمصباح يشتعل، ومنزلي يجثم وحيدًا، هادئًا، ومهمًا. وكنت، وأنا في طريقي، لا أرغب إلا بشيء واحد ـ النوم.

انتظار

محمد عباس علي
الإسكندرية - مصر

لم يكن الباب مغلقًا ليفتحوه، ولم يستأذنوا قبل الدخول. تقدمت الأحذية بقوة.. دفعت الباب بعنف.. ارتطم بالحائط.. اهتز بقوة قبل أن ينهار في مكانه. تدفقوا إلى الداخل.. تكاثروا، وأحاطوا بالجالسين.

كان أبي يمد يدًا حذرة إلى كسرة الخبز أمامه. يقطع منها لقمة صغيرة يغمسها في طبق العسل الأسود، وباليد الأخرى يتحسس طريقه أسفل اللقمة خشية أن تقع منها نقاط على الحصير.. أمي في الناحية المقابلة من الطبلية تعجن الجبن القديم بلقمتها، تفرده في قاع الطبق، تزيد من مساحته ليكفي عشاءنا وتمسح اللقمة في الحافة قبل أن تلقي بها إلى بلعومها.

وأنا في الوسط بين هذا وتلك. أقضم لقيمات عجلى من الجبن استعدادًا للاستدارة إلى العسل.

ووجدتهم فوق رؤوسنا.. الوجوه الغليظة، الباهتة التقاطيع، الفاقعة الألوان، بعيونهم النارية تحيط بنا.

مد أبي يديه حوله. مط وجهه إلى الأمام وهو يصرخ:

- إيه يا أولاد؟

ألقت أمي باللقمة التي كادت تغوص في بلعومها إلى الطبق، ورفعت يدها كمن ضبط متلبسًا بالسرقة.

- الحقنا يا (أبوحسين).

سألني أحدهم بعد أن قيدني رجاله وشلوا حركتي.

- أنت حسين؟

قالت عيناي: نعم.

صرخ أبي وهو يتحسس المكان حوله، قائمًا عن الطبلية، مادًا يده أمامه:

- لا تذهب معهم يا حسين.

تحسس عينيه الممسوحتين بحسرة.. أكمل:

- أنت لا تعرفهم.

نظرت إلى والدي، إلى وجهه الممصوص وكفيه المعروقتين .. تركته إليهم.. أكفهم الواحدة تزن طنًا. انتبهت لأمي:

- لا تذهب يا بني.. ابن..............ي

زمجر كبيرهم.. دفع الطبلية بقدمه.. تطاير العسل الأسود ليقع فوق الجبن القديم على الحصير. وضاع العشاء.

همست وهم يدفعونني إلى الخارج:

- سأعود.

ooo

بكى أبي.. جر ساقيه نحو الباب.. ظلت أمي مكانها تصرخ، بينما العسل الأسود والجبن القديم على الحصير ينعيان الآكلين.

على الطبلية ذاتها.

جلست أتحسس مكان كسرة الخبز، أقطع منها لقمة صغيرة.

أبحث عن بقايا العسل الأسود في القاع، بينما زوجتي تجلس أمامي، بيدها كسرة خبز أخرى، وقطعة جبن قديمة، صغيرة الحجم تهرسها بلقمة تمسحها في حافة الطبق قبل أن تلقيها إلى فمها، وبيننا جلس ولدي الشاب يأكل الجبن وينتظر العسل، حينما فتح الباب بعنف، ارتطم بالحائط، تدافعت الأحذية الثقيلة إلى الحجرة، أحاطت بالجالسين.

مددت يديَ أمامي. أخذت أمط وجهي للأمام:

- إيه يا أولاد؟

قيدوا ولدي.. شلوا حركته.. صرخت:

- لا تذهب معهم يا ولدي.

تحسست عيني الممسوحتين بحسرة.. أنصت إلى صرخات أمه وعويلها أشفقت عليه مما ينتظره.. انتفضت واقفًا أحول بينهم وبينه. دفعني أحدهم في صدري بحذائه الغليظ. انقلبت على ظهري فوق الطبلية .. طار العسل ليختلط بالجبن القديم على الحصير.. حملت جذعي وهممت بالقيام ثانية.. سمعته يقول وهم يمضون به.. سأعود يا أبي.

جلست إلى جوار الجدار أحمل جثتي، أرزح تحت همي بينما زوجتي لا تهدأ.. قليلاً وتذكرت حفيدي. ناديته وأنا أدور بوجهي متلهفًا أتحسس صوته.. نعم يا جدي. مددت يدي إليه.. اقترب مني.. ضممته إلى صدري. تحسست وجهه.. عينيه.

- هل تعرف مايفعلون؟

هز رأسه الصغير وهو يهمس.. نعم.. قلت بحسم.. لا تهمس بعد اليوم. أريد لصوتك أن يعلو، لعينك أن ترى.

سأل الولد.. ما الأمر يا جدي؟.. أجلسته أمامي.. رويت له ما كان .. بشرته بعودة والده.. أخذت أجهزه للحظاته القادمة.. أوصيه أن يحافظ على عينيه وألا يصمت قط. بعدها جلست أنتظر حضورهم بلا خوف!

الإمام الشافعي نموذج عصره

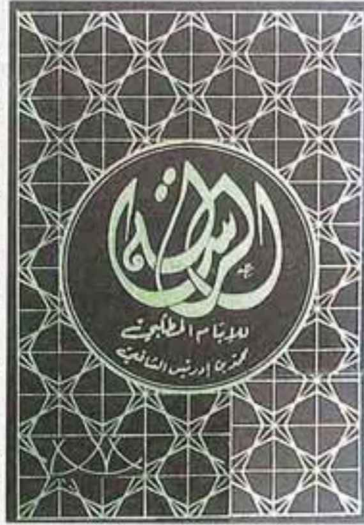
محمد الحجوي

سلا - المغرب

إن صيانة التراث والاستفادة من كنوزه وعقول رجاله العظام عمل محفوف بالمصاعب والمتاعب، ذلك أن هذا التراث تفصلنا عنه أزمنة وأحقاب تجعله غريباً عنا - في الظاهر - وغير ملائم للعقول والأذواق التي تعيش في عصر التقدم العلمي الذي لا تُعْرَف له حدود.

هذا ما يبدو لبعض الناس، والحقيقة أنهم واهمون؛ وقد نشأ هذا الوهم عندهم من كونهم بنوا حاجزًا بينهم وبين هذا التراث، فلو اقتربوا منه، وفتحوا عقولهم وقلوبهم لصفحاته لوجدوا فيه كنوزًا، وأي كنوز هي، تيسر لهم سبيل بناء الحضارة على أسس متينة وأرض صلبة.

وقد كان أسلافنا الذين أقاموا معالم حضارة زاهية تميزت بالعلم وأصالة الفكر قد بنوها انطلاقًا من الإيمان بالفكر الإنساني المبدع الذي لا يعرف حدًا للزمان والمكان، فلم يتوانوا في الاحتكاك بالأمم التي ازدهرت فيها العلوم العقلية والأدبية قبلهم، فكانوا يأخذون ويدرسون ويجادلون ويستنبطون ويبدعون ويضعون المناهج التي تبلغهم الحقيقة بعيداً عن الزيف والباطل والوهم حتى اكتملت المعارف عندهم جلية ناصعة.



غلاف «الرسالة» للإمام الشافعي

والمسلمون، وهم يتطلعون في المرحلة الراهنة إلى بعث حضاري إسلامي يعيد لهذه الأمة عظمتها ومجدها، لا يمكنهم أن يصلوا إلى ذلك من دون تحديد الأهداف والغايات والوسائل التي تعينهم على تحقيق الهدف المنشود. ولا ريب أن سبر أغوار التراث ومعرفة ما فيه من ذخائر بجانب رصد واقع المجتمع الإسلامي وإمكاناته وحاجاته في ضوء ما يتحقق من تطور في ميادين المعرفة الشاملة كفيل بتحقيق هذا البعث في أبهى إشراقاته.

إن التراث يحمل بين طياته تجارب إنسانية تتعدد روافدها ومنابعها المعرفية؛ وتراثنا الإسلامي غني بهذه التجارب بما بذل رجاله العظام من جهود جبارة في سبيل تأصيله؛ لقد صاغوا أفكارهم من مبادئ الشريعة السمحة: الكتاب والسنة، ومما نهلوا من

علوم الأمم الأخرى التي عرفت قبلهم حضارة وفكراً وإبداعاً. بهذا المنهج جددوا الفكر، وأسسوا العلوم، ووضعوا للناس القواعد السليمة في التفكير والبحث العلمي، وجعلوا الفكر يسير في حركة نابضة بالحياة، ملأى بالتجارب العميقة في أسرار الكون والمخلوقات.

وكان الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) من هذا الصنف من الرجال الذين آمنوا بأن الفكر يصقل بالمعرفة، والمعرفة تؤخذ بالاجتهاد والمثابرة والصبر، فكان أنموذجاً فريداً في تراثنا الإسلامي بما ألزم نفسه من اتباع المنهج العلمي، وسلوك الطرق التي تبلغ للمعرفة اليقينية بدءاً بحفظ كتاب الله واستيعاب ما فيه من مواعظ وحكم وعبر وشرائع، ثم السعي في طلب سنة رسول الله عليه السلام، وهي صنو الكتاب في الأحكام والقوانين والشرائع، ثم التعمق في خصائص اللغة العربية الفصحى التي نزل بها كتاب الله، ونطق بها رسوله عليه السلام، وكان هذا السعي يعينه فيه ذكاء وفطنة، وحضور بديهة، وقوة عارضة، وقدرة بارعة على الجدل والحوار والمناظرة لمواجهة الفرق والتيارات والمذاهب التي سلكت مسالك متباينة في التفكير والجدل والحوار. هذا المسلك في التكوين والتربية والملكة الفطرية التي تعددت مواهبها جعلت منه شخصية علمية فذة في تراثنا الإسلامي. ولكي تتجلى معالم هذه الشخصية نقف على أحوال عصره، وأثره في السنة، وعلم أصول الفقه.

عصره

كان هذا العصر متميزاً من باقي العصور الإسلامية من جوانب متعددة، فهو عصر الفكر والثقافة والعلم والفقه والحديث والإبداع الشعري، كما كان عصر القوة والاستقرار السياسي وهيبة الخلافة الإسلامية، فهيأ لجميع الأجناس الموجودة تحت ظل الإسلام وجامعته الكبرى أن تنعم بالرخاء وطمأنينة البال، وأن تبدع وتسهم في عالم الفكر والثقافة، فظهرت التيارات الفكرية والفلسفات وأصحاب الجدل والحوار، وكان الجدل عميقاً بين فقهاء الإسلام وأصحاب المذاهب والنزعات العقلية المتطرفة منها والمعتدلة، وكان من نتائج هذا الجدل ظهور مدارس، منها ما تقيد بالكتاب والسنة وأثر السلف الصالح لصد كل غزو فكري غريب عن روح الإسلام وعقيدته السمحة، ومنها ما نزعت منزعاً عقلياً جدلياً؛ إذ جعلت العقل حكماً فاصلاً في كل شيء، ومنها ما حاولت الجمع بين الرأي ونصوص الكتاب والسنة لتبيّن للناس أن الإسلام لا يحارب العقل، وإنما يجعله جوهراً أساسياً عند الإنسان شريطة ألاّ يخرج عن حدوده.

في هذا الجو الملآن بالجدل والحوار والنظريات الفكرية والعلمية نشأ الإمام الشافعي فكان عليه أن يعد العدة لهذه المذاهب والتيارات، وهكذا انصرف في فترة مبكرة لحفظ كتاب الله وسنة رسوله والتفقه فيهما من أعلام عصره: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، ثم تفرغ بعد ذلك لدراسة العربية والتفقه في نحوها وصرفها وبيانها، فأقام في بطون العرب عشرين سنة يأخذ أشعارها ولغاتها وكان شعر هذيل أحب إليه، فقيل: إنه كان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعرها بإعرابها وغريبها ومعانيها.

انصرف الشافعي في فترة مبكرة لحفظ كتاب الله وسنة رسوله والتفقه فيهما، ثم تفرغ بعد ذلك لدراسة العربية والتفقه في نحوها وصرفها وبيانها، فأقام في بطون العرب عشرين سنة يأخذ أشعارها ولغاتها

ذكر الأصمعي اللغوي والناقد (ت ٢١٦هـ) أنه صحح أشعار الهذليين على يد الشافعي. ولإتقانه لغة الأعراب أصبح حجة في النحو. قال أبو عثمان المازني: الشافعي عندنا حجة في النحو.

هذا الاجتهاد في الطلب واتساع آفاق الثقافة وتنوعها كانت الغاية منه الاستعانة على فهم الكتاب والسنة؛ لقد أدرك أن أصول الفقه تحتاج إلى الفهم الصحيح للكتاب والسنة واجتهاد الصحابة والتابعين ولغة الأعراب؛ بهذا الفهم والاستيعاب كان الشافعي

نموذج عصره، ولذلك كانت مجالسه العلمية تغص بطلاب الحديث والفقه واللغة والنحو والعروض والشعر، كل منهم يرتوي بمعارفه، ويستفيد من علمه الغزير، فوجدوا فيه العالم المجتهد، والفقيه المستنبط للأحكام، والشاعر الحكيم، واللغوي الفصيح البليغ.

أثر الشافعي في السنة

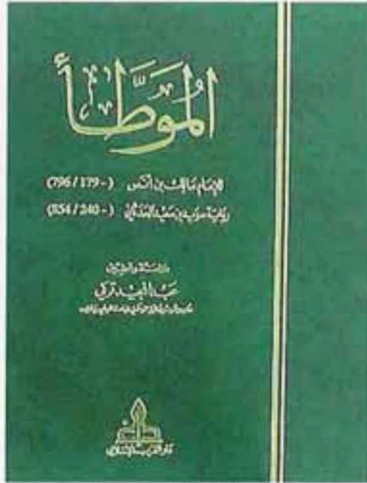
إن الأثر الذي تركه الشافعي في السنة سيبقى خالداً مع الزمن، فقد أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً لا مثيل له، ووهب نفسه لخدمة سنته؛ لأنها صنو القرآن، تفسره وتبين أحكامه، وقد أمرنا الله باتباع سنة رسوله في الكتاب العزيز فقال: *وما آتاكُمُ الرّسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُمْ عنه فانْتَهُوا*. الحشر: ٧.

وقد بدأ هذا الحب عند الشافعي منذ فترة مبكرة حين حفظ (الموطأ) ورحل لأخذ الحديث عن شيوخ المحدثين في عصره: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة. وقد أعجب به الرجلان أشد الإعجاب لذكائه وفطنته وحبه للعلم ولحديث رسول الله عليه السلام، قال له مالك حين التقاه - وكانت لمالك فراسة: «يا محمد اتق الله، واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن». وكان ابن عيينة يشير إليه بشرح بعض الأحاديث الدقيقة إعجاباً بفطنته وقدرته على الغوص على المعاني الخفية، لأنه عرف تمكنه من لغة الأعراب وفصاحتهم. وكان هذا الإعجاب متبادلاً بين التلميذ وأساتذته، فقد كان الشافعي كلما ذكر مالكاً أثنى عليه واعترف بفضله وعلمه، كان يقول: «مالك بن أنس معلمي، منه تعلمنا العلم، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما أحد أمنّ علي من مالك، وعنه أخذت العلم».

وقال أيضاً: «جعلت مالكاً حجة فيما بيني وبين الله»(١).

إن أخذ الشافعي العلم عن شيوخ عصره وحبه للسنة جعلاه يهب نفسه لخدمة الكتاب والسنة التي هي فرع من الكتاب تبين ما اشتمل عليه من أحكام وأصول؛ فحكمهما واحد في وجوب الطاعة لهما. ومن هنا جعل الشافعي السنة مقدمة على الرأي، واجتهد في أن يجمع بين مدرسة الحديث ومدرسة الرأي دون أن يخرج عن صحيح السنة أو يهمل صحيح الرأي. وإذا ثبت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يقدمه على الرأي، ويقول لتلامذته «إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط».

فكانت الأصول والقواعد التي قررها تنبعث من الكتاب والسنة؛ لأنهما المصدران الأصليان في التشريع، وغيرهما محمول عليهما، ومقتبس من روحهما. وعلّم أصحاب الحديث أن صحيح الرأي فرع للأصل، وعلّم أصحاب الرأي أنه لا فرع إلا بعد الأصل. وكان العلماء يقولون: ما فهمنا استنباط أكثر السنن إلا بتعليم الشافعي إيانا.



غلاف «الموطأ» للإمام مالك

وقالوا أيضاً: كان أصحاب الحديث رقوداً فأيقظهم الشافعي. ولا غرابة أن يلقب عندهم بناصر السنة. إن منهج الشافعي وأسلوبه في دراسة السنة، وأثره البليغ في استنباط الأحكام منها لجدير أن تجعلنا نقتدي بمنهجه لمواجهة مستجدات العصر، وما يتطلب لذلك من تحدٍ علمي وفكري.

أثر الشافعي في علم أصول الفقه

إن الأجواء الفكرية والتغييرات الاجتماعية التي جدّت في عصر الشافعي كانت تختلف كل الاختلاف عن عصر الرسول عليه السلام وفترة الخلفاء الراشدين والتابعين.

لقد جدّت أحوال، وظهرت نوازل كانت داعية إلى التفكير في وضع قواعد لعلم أصول الفقه، تبيّن للعلماء كيف يجتهدون ويقيسون من الأصول: الكتاب والسنة، لقد كان المسلمون في عهد الرسول عليه

السلام في غنى عن قواعد هذا العلم، لأن القرآن الكريم كان ينزل على المصطفى مفصلاً ومبيناً ما يحتاج إليه المسلمون، فكانوا يطبقون أحكامه في حياتهم اليومية، مستعينين بالسنة التي كانت تفسر وتوضح. وكذلك كان الحال في عصر الخلفاء الراشدين، فالصحابة كانوا أصحاب ملكة لغوية وفصاحة وبيان، أدركوا مقاصد الشريعة في كتاب الله، مستعينين بأقوال الرسول وأفعاله وتقريراته. أما عصر الشافعي فإنه يختلف كل الاختلاف عن هذه المراحل، فقد اختلط العرب بأمم أخرى، وفشت فيهم العجمة، ولم تعد العربية سليقة في لسانهم، فاحتاجوا إلى من يُبيِّن لهم الدلالات والمعاني ليفهموا مقاصد الشريعة في كتاب الله وسنة رسوله. من هنا أصبحت الحاجة إلى وضع علم أصول الفقه وضبط قواعده ضرورية. قال ابن خلدون: «واعلم أن هذا الفن ـ أصول الفقه ـ من الفنون المستحدثة في الملة، وكان السلف في غنية عنه، بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية، وأما القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام فعنهم أخذ معظمها. وأما الأسانيد فلم يكونوا يحتاجون إليها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم»(٢).

وقد عرفنا من قبل أن عصر الشافعي تميز بظهور مدرستين، مدرسة الحديث في الحجاز، ومدرسة الرأي في العراق، وللتباعد الذي كان بين المدرستين في الأحكام فلم يكن من السهل أن يوجد عالم يوفق بين المدرستين ويقرب بعضهما من بعض، وقام الشافعي بهذا العمل الجبار لما عرفنا من فطنته وذكائه وسعة علمه، فوضع للمدرستين مقاييس دقيقة لعلم أصول الفقه، تقوم دعائمها على المنطق السليم، والتفكير السديد، والتقدير المستوي؛ وبذلك ردم الهوة القائمة بين المدرستين، وجعل كل واحدة منهما تستفيد من الأخرى.

وعلى الرغم من أن أصول الفقه ليس جديداً عند الشافعي إذ سبقه بعض الأئمة إلى ذكر بعض القضايا في أصول هذا العلم، يقول الحجوي: كان مالك أشار في «الموطأ» إلى بعض القواعد الأصولية(٣).

إلا أن نسبة اختراعه إلى الإمام الشافعي تظل قائمة لكونه يعد أول من أرسى قواعده، وضبط مسائله، وجعله علماً قائماً بنفسه. وارتباط الشافعي بعلم أصول الفقه مثّله العلماء بارتباط أرسطو بالمنطق والخليل بالعروض، فالناس قبل أرسطو كان يتكلمون في المنطق بغير قواعد وضوابط حتى وضعها لهم أرسطو، وكذلك كان الشعراء قبل الخليل ينظمون في البحور التي اخترعها بطبعهم وسليقتهم، فوضع علم العروض من هذه البحور إلا أنه ضبط قواعدها. وهذا هو السبيل الذي سلكه الشافعي في علم أصول الفقه، فعد بذلك مخترعاً له، وقد ذكر الحجوي في كتابه: «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» لفظة الاختراع بهذا المضمون.

عدّ الشافعي التمسك بالكتاب والسنة والإجماع سبيل سعادة هذه الأمة؛ لأنه يجنبها الوقوع في البدع والضلالات، ويجعلها تسير على هدي التعاليم التي ارتضاها الله لخير أمة أخرجت للناس

إن الشافعي حينما وضع قانوناً لمعرفة مراتب أدلة الشريعة كان يعتمد على استنباط الأحكام من الأصول التي لا يمكن أن يقع الخلل فيها، وهي الكتاب والسنة، ويأتي بعدهما الإجماع والقياس اللذان يرتكزان عليهما قال: «الأصل قرآن أو سنة، فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصح الإسناد به فهو المنتهى، والإجماع أكبر من الخبر المفرد، والحديث على ظاهره، وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره أولاها به، وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسناداً أولاها، وليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيّب(٤). ولا يقاس أصل على أصل، ولا يقال للأصل: لم، وكيف؟ وإنما يقال للفرع: لم؟ فإذا صح قياسه على الأصل صح وقامت به الحجة».

أما القرآن الكريم فهو أصل الدين وعموده وحجته ومعجزة الرسول عليه السلام، وليس لأحد أن يخرج عن أحكامه ونواهيه ومواعظه، ولا ينسخ القرآن إلا بالقرآن، والسنة تبع له، وهي حجة مثله في كل ما أمرت به ونهت عنه؛ لأنها استمدت منه أحكامها وأصولها، وليس لأحد حجة مع الرسول عليه السلام. والسنة الثانية واجبة القبول، وإن شك فيها مسلم يستتاب، والصحيح من خبر الآحاد يعمل به(٥).

اجتهد في أن يجمع بين مدرسة الحديث ومدرسة الرأي دون أن يخرج عن صحيح السنة أو يهمل صحيح الرأي

أما الإجماع فهو حجة أيضًا، وقد يكون له سند من الكتاب والسنة أو لا يكون. وإجماع الصحابة مقدم؛ لأنه دليل على اجتهادهم من الكتاب والسنة، وقول الصحابي، إذا لم يعلم له مخالف، خير من رأينا؛ وإذا اختلف الصحابة فإنه يؤخذ من أقوالهم ما هو أقرب إلى الكتاب والسنة.

أما إجماع العلماء الذي يعد حجة فهو إجماع عامة علماء المسلمين لا إجماع علماء بلد معين.

القياس وهو المصدر الرابع في التشريع الإسلامي، وهو يرادف الاجتهاد، ولا يلجأ إليه، إلا عند فقد الحكم في القرآن الكريم والسنة والإجماع. والحكم الثابت بالقياس وجه حق عند قائسه لا عند عامة العلماء؛ ويشترط في القائس أن يكون سليم العقل، عالمًا بالقرآن والسنة وأقاويل السلف وإجماع العلماء، ملمًا بلسان العرب وبيانها ليكون فهمه صحيحًا لمضامين النصوص، مثبتًا في أقواله، لا ينقلب مع التيارات والمذاهب والأهواء..

لقد عدّ الشافعي التمسك بالكتاب والسنة والإجماع سبيل سعادة هذه الأمة؛ لأنه يجنبها الوقوع في البدع والضلالات، ويجعلها تسير على هدي التعاليم التي ارتضاها الله لخير أمة أخرجت للناس، وهذا هو النهج الذي سار عليه الصحابة والتابعون، فقد كانوا لا يقدمون على شيء حتى يروا فيه حكم الله ورسوله، فسعدوا في دنياهم، ونالوا ثواب الله الذي وعد به المؤمنين.

إن منهج الشافعي المتمثل في الجمع بين دعامتي العقل والنقل امتد أثره في أرجاء العالم الإسلامي، وتضاءلت في عهده الفلسفة والمنطق الأرسطي خاصة، وزال انبهار الناس بما كانت تدعو إليه من تحكيم العقل وحده في كل قضايا الكون. إن ما حققه الشافعي من نتائج في التوفيق بين العقل والنقل كفيل أن يجعل الباحثين في عصرنا يقتدون به ويستنبطون تجربته وإمامته واجتهاده في التأصيل والتجديد وإرساء قواعد منهج الدراسة والبحث العلمي. خاصة أن الشعارات التي أصبحت الآن تردد على ألسنة الناس هي شعارات العلمانية، وكأن العلمانية وحدها هي القادرة على إنقاذ الناس وإخراجهم من تيههم وبؤسهم المادي والروحي.

المراجع

- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، مطبعة المعارف، ١٣٤٠هـ.
- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، ١٩٧٩م.
- الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ط١.
- الشافعي: حياته وعصره وأراؤه وفقهه:، محمد أبو زهرة.

١. لقد اختلف الشافعي مع المالكيين في مصر؛ لأنه وجدهم يتشبثون بأقواله، وإن وهنت الحجة فيها فصرح بمخالفته في بعض أقواله.

٢. المقدمة: ٨١٥/١.

٣. الفكر السامي ١٨٣/٢.

٤. هو سعيد بن المسيب، وقد احتج الشافعي بمراسيله؛ لأنه وجد الصحابي الذي أسقط منها قد رواها عن الرسول عليه السلام، وهو في الغالب صهره أبو هريرة، رضي الله عنه. والحديث المنقطع هو الذي سقط من إسناده رجل، أو ذكر فيه رجل مبهم.

٥. خبر الواحد هو الذي لا ينتهي إلى حد التواتر المفيد للعلم، وقد عمل به الصحابة والتابعون، واشترط مالك العمل به ألا يخالف عمل أهل المدينة. ودفاع الشافعي عن خبر الآحاد هو انتصار للسنة؛ لأنه وجد أصحاب الرأي يأخذون بالرأي والقياس والاستحسان ويقبول خبر الآحاد؛ لأن أكثر الأحكام جاءت عن طريقه. ومما استدل به على العمل بخبر الآحاد حادثة تحويل القبلة، قال: كان الناس مستقبلي بيت المقدس، ثم حولهم الله بالكعبة فأتى أهل قباء آت وهم في الصلاة، فأخبرهم أن الله تعالى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم كتابًا، وأن القبلة حولت إلى البيت الحرام، فاستداروا إلى الكعبة وهم في الصلاة.

المبدعون وسوء التوافق النفسي


مأزق الفنان
بين سوء التوافق النفسي ومتعة الإبداع الفني

راودتني فكرة الرد والتعقيب على مقالة محمد أحمد كرم الله الحاج المعنون بـ: «مأزق الفنان بين التوافق النفسي ومتعة الإبداع» بعيد نشره في العدد (٢٨٣) من مجلة «الفيصل». إلا أن المشاغل الكثيرة في ذلك الوقت قد حالت دون ذلك، ومرّ الأمر بسلام، ونسي الموضوع بمرور الأيام أو كاد. واليوم جاء في العدد (٣٠٠) من المجلة نفسها تعقيب على ذلك المقال من الأستاذ أنس محمد مرعي جراد، فأثير الموضوع مرة أخرى، وألقي على بساط البحث من جديد. لقد أضحى الردّ والتعقيب والتوضيح أمرًا لا مفر منه.

لقد حصل في المقال كثير من الغبن والحيف بحق المبدعين، ومع أن صاحب المقال حاول أن يضفي عليه بعض الموضوعية في تخصيص مكان للمعترضين، إلا أنه لم يكن وافيا ،فقد كان الحيف والغبن في الحكم السابق، وبتخصيص مكان أوسع لسوء التوافق النفسي، ودعم رأيه بأفكار علماء النفس القدامى في ميدان حديث كالإبداع، وسرد تفاصيل أكثر على الأمثلة الشاذة التي لم تكن موفقة في بعضها على الأقل، وفي الاستنتاج الذي مال إلى الجهة الأولى، وفي مصادره القديمة. وزاد الطين بلّة التعقيب على المقال فقد كان كله غبنًا وحيفًا.

الإبداع والمبدعون

اعتقد أن السبب الأول في هذا الأمر هو الاكتفاء بالاستعانة بالمراجع القديمة والمحلية بالذات. وهذا لا يعني الانتقاص من شأنها، بل التأكيد أن هذا العلم جديد وجديد جدًا، وأكثر ما هو موجود عنه في المصادر الغربية الحديثة جدًا، ومع الأسف. إن المبدعين هم محط مراقبة الناس لإبداعاتهم بقصد الإعجاب أو الحسد. وإذا ما أضحى أحدهم مريضًا فيكون تحت المراقبة مرتين. وهذا الأمر طبيعي من حيث أن السوي لا يجلب الأنظار بقدر ما يجلبه المريض جسميًا أو نفسيًا أو عقليًا.

وغير المبدع لا يجلب الأنظار بقدر ما يجلبه المبدع. فمن سوء حظ هؤلاء أن كل حركاتهم وسكناتهم مرصودة. وهذا ما فعله المقال والتعقيب، فلم يسردا شيئًا يذكر عن المبدعين الأسوياء. بل اقتصرا على أمثلة لا تعكس الحقائق بصورة صحيحة.

لم يعرّف الإبداع والمبدعون بشكل واضح وجلّي لا في المقال ولا في التعقيب. كان جديرًا بصاحب المقال أو التعقيب أن يسألا أنفسهما أولا: ما الإبداع؟ ومن المبدعون يا ترى؟ لقد تناولتُ تعريف الإبداع في مقالتي الموسومة بـ: «كيف يثار الابتكار لدى الصغار والكبار؟» التي نشرت في العدد (٢٩٣) من مجلة «الفيصل»، وميّزت بينه وبين الابتكار والكشف والاختراع.

ولا بأس من تكراره للفائدة. الإبداع هو الإجادة في عمل شيء ما إجادة بالغة بإتقانه إتقانًا تامًا. فالجودة أو الكيفية تظهر نتيجةً لاكتساب مهارات معينة، وإتقان أعمال خاصة، وأدائها بشكل يختلف عن أداء الآخرين، وابتكار شيء ما فيها بشكل ملحوظ بحيث يجذب نظر الآخرين. الكشف هو التوصل إلى شيء جديد لم يسبق إليه أحد من ذي قبل. يتطلب الكشف المبادرة والجرأة والتضحية والابتكار. أما الاختراع فهو إيجاد آلة أو جهاز جديد، أو تطوير وظيفة من وظائف آلة أو جهاز موجود.

وجدير بالذكر أن كلا من الإبداع والكشف والاختراع إنما يحتاج إلى الابتكار حاجة ماسة، ولا يمكن من دونه تحقيق شيء من ذلك. وهكذا تكون هذه المصطلحات التي قد تبدو مختلفة، أوّل وهلة، متداخلة بعضها في بعض في حقيقة الأمر.

الابتكار في أوسع معانيه: تحطيم القوالب الموجودة، أو الخروج عن المألوف، أو كسر قيود الفكر المفروضة على الفرد، أو ارتياد طريق آخر غير الطريق الرئيس الذي يسلكه الآخرون، أو الانفتاح على خبرات الآخرين، أو المباشرة بأول خطوة نحو المجهول، أو وضع خط فكر جديد،

أو طرح أبدال مختلفة لمشكلة معروضة، أو إيجاد شيء جديد يؤدي إلى إيجاد أشياء أخرى، أو التوصل إلى إيجاد علاقات جديدة، بين الأفكار المطروحة، أو طرح فكرة جديدة، أو إيجاد وسيلة أو طريقة غير معروفة سابقًا، أو ارتياد مكان جديد، أو كشف شيء لم يسبق إليه أحد، أو اختراع آلة أو جهاز جديد يفيد الإنسان.

ومن هذا المنطلق فإن الابتكار والإبداع لا ينحصران في ميادين الأدب والفنون الجميلة، بل ينسحبان لكي يشملا جميع الاختصاصات، في كل ميدان من ميادين الحياة المختلفة. نحن نقول للشخص أبدعت إذا أتى بقول جميل أو فعل لطيف، أو وضع فكرًا جديدا، أو أتى بإنتاج مفيد ذي قيمة. والجدير بالذكر أن البحوث والدراسات تشير إلى أن كل إنسان يمكن أن يكون مبدعًا ومبتكرًا إذا ما حصل على ما فيه الكفاية من تراكم المعلومات في الميدان الذي يعمل فيه، وعلى تربية في الابتكار والإبداع، وتفرغ بوقته في هذا الميدان بالتفكير والتأمل والبحث. فالابتكار ليس محصورًا بهؤلاء المشاهير القليلين الذين وردت أسماؤهم في المقال وفي التعقيب، بل إن هناك الآلاف المؤلفة بل الملايين من المبدعين والمبتكرين الذين ساهموا ويساهمون في كل آن وحين في بناء صرح هذه المدنية الحديثة من كل قوم وملة وشعب ومجتمع.

إنكم أبدعتم يا سادة عندما كتب أحدكم المقال، وعلّق عليه الآخر، بل، حسب التعاريف التي ذكرتها، إن كل من يساهم، على سبيل المثال، في إخراج مجلة الفيصل بهذه الحلة الشائقة هو مبدع ومبتكر. ومن أمثال مجلة الفيصل مجلات ومؤلفات محلية ودولية كثيرة لا تعد ولا تحصى. كم هو عدد من أصيب من هؤلاء بالأمراض النفسية أو العقلية؟! لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مبدعًا في أحاديثه، وشرح أحكام القرآن، وفي إدارة شؤون الدولة. لقد كان الخلفاء الراشدون مبدعين في إصدار أحكامهم وإدارة دولتهم. إن أصحاب المذاهب الإسلامية وكلُّ مجتهد في الدين هم مبدعون. كان ابن سينا والرازي والفارابي وابن الهيثم وابن رشد والبخاري والبيروني وابن خلدون وحسان بن ثابت من المبدعين. وفي التاريخ الكثير من الأمثلة، والآلاف المؤلفة من الذين يمكن سردهم من المشاهير ومن غير المشاهير من المبدعين والمبتكرين المحليين والدوليين الذين لم يشملهم المقال والتعليق.

مغالطة

أضف إلى ذلك أنه كانت هناك مغالطة في حالة شيلر وابن الرومي وبيتهوفن وأدجار آلن بو على سبيل المثال. فالصمم في حالة بيتهوفن ليس بمرض نفسي أو عقلي. وشم رائحة التفاح في حالة شيلر هو توفير بيئة مناسبة للإبداع. ذلك لأن كل شخص يكون منتجًا في بيئة معينة خاصة به قد تبدو غريبة تختلف عن بيئة الآخرين. وابن الرومي الذي كان يتحدث مع نفسه وهو يجول في الشوارع إنما كان يفكر بصوت عال، وهو بهذا كان ينبه منطقة أخرى من دماغه، وهو دليل على صحته النفسية. وأدجار آلن بو كان يدافع عن نفسه بقوله: إن الناس إنما كانوا يتهمونه بالجنون.

لقد اهتم الباحثون في ميدان الإبداع والابتكار بالشخصية المبدعة التي كانت تنظر إليها بنوع من الريبة والشك من ناحية، وبنوع من التعقيد من ناحية أخرى، حتى العقدين الأخيرين من القرن العشرين. لقد نبع هذا النوع من التفكير من حقيقة أن الإبداع بحد ذاته عملية معقدة. كان الباحثون في ميدان علم النفس يتجنبون الدخول في دراسة مثل هذا التعقيد إلى فترة قريبة من الزمن. وهكذا فقد بقيت الشخصية المبدعة موضوعًا مغلقًا لا يجرؤ على دراستها إلا القليلون. ولأهمية الإبداع في حياة الأفراد والجماعات والأمم والمجتمعات، فقد انصب الاهتمام على هذا الموضوع في الفترة الأخيرة بالذات. فالشخصية المبدعة اليوم ليست لغزًا لا تعرف حلًا، وليست صندوقًا مغلقًا مقفلاً لا يمكن كشف أمره. لقد أنارت البحوث والدراسات الكثير من الجوانب المخفية من الشخصيات المبدعة.

لقد أعطى الباحثون مكانًا للشخصية المبدعة في تعريف الإبداع بالذات. يرى تورانس (Torrance: 1995 -66) أن تعريف الإبداع يتضمن أربع كلمات تبدأ حروفها الأولى بـ P اللاتينية

الإبداع عملية: P(Process)

الإبداع إنتاج: P(Product)

الإبداع شخصية: P(Person)

الإبداع من الضغط البيئي: P (Press) (Environmental Pressure)

يقول إنجل وسنلكروف :(Engle and Snellgrove: 1979, 206) إن المبدعين هم أولئك الدؤوبون من الناس

الذين يعملون من أجل إيجاد حلّ لمشكلة معينة، أو طريقة جديدة في التعبير عن الفنون الجميلة. وهم يعملون جاهدين من أجل إيجاد طرائق جديدة أو ما هي أحسن من سابقاتها. إنهم يبتكرون أشياء جديدة غير معروفة من قبل المجتمع، أو من قبلهم على الأقل.

يقول موركان :(Morgan: 1986, 245-247) إن المبدع سواء كان كاتبًا أو عالمًا أو فنانًا هو ذلك الشخص الذي يحاول أن يجد شيئًا جديدًا تحت الشمس.

يقول جيكسنتميلاهي (Csikazsntmihalyi:1996, 36-40) الذي وقف حياته على دراسة الشخصية المبدعة: إن المبدعين يحملون عشر خصائص شخصية متناقضة بعضها مع بعض، وهي دليل على الصحة النفسية. نسرد هذه الخصائص كما يأتي:

- مع أن المبدعين يملكون طاقة جسمية زائدة فإنهم يتمتعون بالهدوء والسكينة، تؤهلهم هذه الطاقة الزائدة للعمل الدؤوب المتواصل باهتمام زائد، وانشغال منقطع النظير بالموضوع. وعلى الرغم من أنهم تعرضوا لأمراض في طفولتهم فإنهم يشتغلون بحماسة زائدة في السبعينيات والثمانينيات من أعمارهم.
- أصحاب منطق وأفكار ساذجة. إن ذكاء المبدعين عال بشكل عام. إنهم يظهرون في التفكير والانفعالات على طرفين متناقضين يجمعون بين خصائص أهل المنطق من ناحية وسذاجة الأطفال من ناحية أخرى.
- إنهم يتسلون ويلتزمون في آن واحد، ويتحملون المسؤولية ويتهربون منها.
- يجمعون بين الخيال والحقيقة.
- إنهم يملكون شخصية انطوائية وانبساطية في آن واحد. أتذكر أن زميلاً لنا عندما كنا في فترة الجامعة ندرس الصحة النفسية، كان قد اشتكى إلى الأستاذ بأنه كلما قرأ مرضًا نفسيًا أو عقليًا وجد أن أعراضه موجودة لديه. أجابه الأستاذ وذلك هو دليل صحتك النفسية. إن الإنسان السليم هو الذي يحمل شيئًا من هذا وشيئًا من ذلك.
- يتميز سلوكهم بالتواضع أحيانًا وبالتكبر أحيانًا أخرى.
- إنهم يتحلون بصفات الجنس المقابل، فالمبدعات مثلا يبدين صفات التسلط والخشونة أكثر من أقرانهن، أما المبدعون فإنهم يكونون أكثر حساسية وأقل عدوانًا من زملائهم. يمكن القول بأن المبدعين إنما يحملون صفات جنسهم وصفات الجنس المقابل في آن واحد.
- إنهم يحملون سمات يظهر عليها العصيان والمحافظة معًا. إنهم استبطنوا ثقافتهم من ناحية، ويريدون أن يذهبوا إلى ما هو أبعد من هذه الثقافة من ناحية أخرى. إنهم يستخدمون طاقاتهم من أجل اكتشاف شيء يسعدهم ويمعد المجتمع بدلا من استخدامها بطريقة سلبية. تقودهم الرغبة في تحمل المخاطر والخروج عما هو مألوف إلى الإبداع. وبعبارة أخرى فإن طاقاتهم تستخدم من أجل البناء لا للهدم. ولقد أشار رضا (Riza :1999, 11-12) فيما يخص فحوى الإبداع إلى أن التحليل الانتقادي لا يعني شيئًا يذكر بالنسبة إلى الإبداع. إن إكمال النواقص في الإبداع أهم بكثير من الانتقاد. فالانتقاد إذا لم يكن يتضمن ما يسد النواقص فليس بذي أهمية من زاوية الإبداع. يتطلب الإبداع من المبدعين أن يكونوا بنّائين بدلاً من أن يكونوا هدّامين.
- يكون المبدعون حريصين على أعمالهم وموضوعيين على الأكثر. إذا لم يكن هناك حرص زائد فلن يكون هناك تركيز في أمر ما وعمل دؤوب متواصل من أجل تحقيق مهمة شاقة وثبات في الأمر.
- إن صفة الانفتاح والحساسية الزائدة لدى المبدعين تقودهم إلى التألم والاضطراب من ناحية وإلى التسلية نتيجة لإيجاد حل للمشكلات المطروحة التي تشغل أذهانهم من ناحية أخرى.

وبعد كل هذا فهل يحقّ لنا اتهام المبدعين جميعًا بسوء التوافق النفسي يا ترى على الرغم من أن بينهم من هم كذلك فعلاً؟

أنور طاهر رضا
إزمير - تركيا

المراجع

- Csikszentmihalyi, M. (1996) "The Creative Personality". Psychology Today, 29(4), 36-40.
- Engle, T. L. and Snejkgrove, L. (1979) Psychology: Its Principles and Applications. (Seventh Edition). New York: Harcourt Brace Jovanovich.
- Morgan, C.T. (1986) Introduction to Psychology. New York:: Mc-Graw-Hill.
- Torrance, E.P. (1995) Why to Fly? A Philosophy of Creativity. New Jersey, Norwood: Ablex.
- Riza, E.T. (1999) Yaraticiligi Gelistirme Teknikleri, Izmir: Anadolu Mat.

المعتقدات الدينية لدى الغرب

مراجعة: محمد عثمان الخشت

القاهرة - مصر

كان علم مقارنة الأديان في القرون السبعة الأولى من عمر الحضارة الإسلامية، علماً احتكر المسلمون الإبداع فيه، من خلال جهود ابن حزم، والشهرستاني، وابن تيمية، وابن القيم، والقرطبي، وغيرهم. لكن مع بداية القرون السبعة التالية، من الثامن الهجري إلى الرابع عشر، جاءت مجموعة من العلماء الذين اقتصرت جهودهم على الشرح والتلخيص والتجميع، وهنا دارت الدورة الحضارية، وبدأ الأوربيون في الترجمة عن المسلمين، وأخذوا في تطوير هذا الميدان، وصبغوه بصبغتهم الحضارية الخاصة، وكانت جهودهم في جانب منها امتداداً لجهود العلماء المسلمين. لكنهم مع الأسف لم يعترفوا بذلك إمعاناً في الأنانية الحضارية، وتعصباً للمركزية الأوربية المزعومة!

وكان الأوربيون قد حرصوا منذ بداية عصر الاكتشافات الجغرافية، على دراسة أديان الأمم المختلفة، لا رغبة في معرفة الحقيقة في ذاتها، ولكن بغرض فهم الأمم الأخرى التي يريدون استعمارها، وإن كان هذا لا يمنع وجود تيار علمي رصين ركز جهوده في الدراسة الموضوعية العلمية بعيداً عن الأغراض السياسية.

وقد سعى الأوربيون إلى دراسة الأديان من مختلف زوايا البحث: التاريخية، والاجتماعية، والنفسية، والإنسانية (الأنثروبولوجية)، إلخ. واستخدموا مناهج علمية متعددة، مثل: منهج مدرسة الأشكال الأدبية، ومهج النقد التاريخي، والمنهج الفينومينولوجي، ومنهج التحليل النفسي، إلخ. وكان أغلب العلماء الذين يستخدمون هذه المناهج ينطلقون من خلفية غير كنسية. أما علماء اللاهوت الكنسيون فقد ظلوا سائرين في إطار النزعة الاعتقادية الجامدة التي ورثوها عن العصر الأوربي الوسيط.

ومع بداية القرن الرابع عشر الهجري، قام نفر من علماء المسلمين بالسعي إلى الخروج بالدراسات الإسلامية في مجال مقارنة الأديان وفلسفتها، من دائرة النقل والتلخيص والاجترار، إلى دائرة الأصالة، ومحاولة استعادة الدور الحضاري الإسلامي في هذا المجال، وأدركوا أن استعادة هذا الدور لن يتم إلا بشرطين:

أولهما: تمثل جهود العلماء المسلمين الأوائل.

ثانيهما: استيعاب المناهج الغربية الحديثة في مجال دراسة الأديان.

وكان من بين هؤلاء العلماء والمفكرين: عباس محمود العقاد، ود. محمد عبدالله دراز، ومالك بن نبي.

ومن المؤسف أن الجيل التالي لهؤلاء لم يكمل جهودهم، فقد حدثت كبوة، وانقطع التواصل مع جيل من (الأكاديميين) الذين تقمصوا دور الموظف الأرشيفي باستثناء حالتين أو ثلاث، فعادوا مرة أخرى إلى دائرة التلخيص والاجترار، لكن من حسن الحظ أن هذا الجيل أعقبه جيل من العلماء الشبان الذين أخذوا الأمر بجدية، وأدركوا شروط النهضة وعملوا على استعادة جهود القدماء، ومواصلة جهود المحدثين من أمثال: دراز، والعقاد، وابن نبي.

ومن أبرز الأسماء التي لمعت من جيل الباحثين الشبان اسم د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن الذي لفت نظري بكتابه «المعتقدات الدينية لدى الغرب» الصادر سنة ١٤٢١هـ عن «مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية». فقد وظف في هذا الكتاب المناهج



المعتقدات الدينية لدى الغرب

عبدالراضي محمد عبدالمحسن

الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢١هـ.

العلميـة الحديثـة في دراسة الأديان، واستـفاد بشكل واضح من جـهود مناهج النقـد التـاريخي، ومـناهج نقـد النص، والنقـد التـاريخي، والنقـد الشكلي. كما فحص واستفاد في الوقت نفسه من جهود مدرسة الأشكال الأدبية، واللاهوتـيين الأحرار، والعقـلانيين، إلخ. ولذا جاء منهـجه في البحث مركباً من عدة مناهج جمع بينها في توليـفة علمية متوافقة، ومن هنا نجده تارة وصـفياً، وتارة تحليلياً، وتارة مـقارناً نقدياً، حسب الـسياق الذي يبحث فيه والموضوع الذي يتناوله.

وكان موضوعـه هو «المعتقدات الدينية لدى الغـرب»؛ فقد ركز في اليهـودية والمسيحيـة فقط من بين العقـائد الغربية، وسكت عن العـقائد الغربيـة الأخرى، ووجهـة نظره أن هاتين العقيـدتين تشكلان الأساس الروحي والثقافي لحضارة الغرب.

ويبدو المؤلف في هذا الكتـاب غير رافض للغرب كليـة، ولا يتعامل معه كوحدة مطلقة يقبلهـا كلها أو يرفضها كلها، بل ينظر إليـه ككيـان مـتنوع ينطوي علـى الزَّبد وعلى مـا ينفع الناس، ومن هنا فـهو يستـفيد بشكل واضح مـن منجزاته العلمية في مجال دراسة الأديان، ولكن بعد تمريرها على معاييـر ثلاثة: الحس، والعقل، والشرع الإسـلامي. فهذه المعاييـر هي المنقيـات أو المحكمات ـ وإن شئت المصـفاة ـ التي تمرر الموضوعي، وتحتجز الذاتي والزائف.

وتحكيم الشرع كمعيار للـحقيقي والموضوعي، لا يبدو من وجـهة نظري مـعياراً منفصـلا عن تحكيم الحس والتـجربة والعقل الصريح اليـقيني، لا العـقل النسـبي الظني أو المخـتلط أو الممزوج بـالهوى؛ فـالشرع نفسـه يخاطب العـقل الصريح، ويحتكم إلى مبادئه الفطرية.: *إنَّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون*. **الرعد: ٤**، كمـا أن الشرع يستـشهد بالتجربة سواء كانت إنسـانية أو طبيـعية أو تاريخـية. *قُلْ سيرُوا في الأرض فـانظُروا كيف بدأ الخَلْق*. **العنكبـوت: ٢٠**، وفي *الأرض آياتٌ للمـوقنين*. **الذاريات: ٢٠**. *أفلَمْ يسيـرُوا في الأرض فـينْظُروا كـيف كـانت عـاقِبـةُ الذين من قـبلهِم*. **يوسف: ١٠٩**.. إلخ. ويستند الشرع إلى المحسوس للوصول إلى غير المحسوس، وعـدّ الحـواس الإنسـانية سـبيلاً من سبل الوصـول إلى الحقيقة إذا استخدمت بشكل سليم، ولذا فإن الضالين يسيئون استخدام حواسـهم: *لهم قلوبٌ لا يفـقـهون بها ولهم أعيُنٌ لا يُبصرُون بهـا ولهم آذانٌ لا يسمعُون بها*. **الأعراف: ١٧٩**.

تحريف الكتاب المقدس بين القرآن وعلم مقارنة الأديان

إذا كانت بعض المناهج العلمية في الغرب قد توصلت إلى شيء من الحقـيقـة، فإن هذا لـتحكيمـها العـقل الصريح، والـتجربة المضـبوطة، والتـحليل الـعلمي التـاريخي والنقـدي، ولـذا فـإن الدراسـات الغـربيـة الموضوعية للكتاب المقدس وصلت بالطرق العلمية البحتة إلى نتيجة لا تختلف كـثيراً عمـا قاله القرآن عن التحـريف والتغييـر اللذين تعرض لهـما الكتـاب المقدس. يقـول ريتشـارد سيمون: «من البـعيد جداً أن يسمح المرء لنفسه بالاعتقاد أن الطريق الطبيعي والأكيد لتقرير مسائل الاعـتـقاد هـو الرجوع إلى الـكتاب المـقدس، بل عـلى العكس من ذلك سـيجـد المرء في هذا المؤلف أن الاعـتمـاد على الكتـاب المقدس وحـده سيجعل من المستحيل الحصول على شيء مؤكد في أمور الدين».

ويؤكد سـملر أن الكتاب المقدس ليس هو كلمـة الله. وهذا ما يذهب إليه هانز كينج بقوله: «توافـرت الدلائل في القرنين الأخيرين بشكل لم يسبق له مـثيل على عدم إلهامـية أسفار الكتـاب المقدس، بل وتُخْمـتها بالمغـالطات والأخطاء الشـائنة لها كعـمل أدبي، وهذا مـا لا يسـتطيع عاقل اليوم أن ينازع فيه». ثم يضيف: «ولأن هذا الكتاب كذلك، فأنا لا أعتقد بإلهاميته ولا بحقيقة الدعوة التي يروج لها».



عباس محمود العقاد

فهل مـا يقوله هؤلاء الـعلماء غيـر المسلمين مغـاير لما يقوله القرآن الكريم عن غياب المصداقية التاريخية للكتاب المقدس؟

حقيقة المسيح

إذا انتقلنا إلى مسألة حقـيقـة المسيح: هل هو مجرد نبي أم ابن الله؟. وجـدنا أن علمـاء الأديـان الغـربيين توصلوا بالطرائق العلمية: البـحث التاريخي، وتحليل النصوص، والنقد المقـارن، وفـحص الأشكـال الأدبيـة، إلى النتـائج نفسـهـا التي ذكـرها من قـبل الـقـرآن عن طريق الوحي الإلهي.

فقـد تبين من الدراسات الغربيـة الموضوعيـة صدق ما قـاله القرآن عن تحـريف الكتـاب المـقـدس. وأظهـر د. عـبدالراضي فـحـوى هذه الدراسات، ومـيّز بين المسـيح الكيرجـماني، وعـيسى النبي، والمـسيح التاريخي.

أما المسيح الكيرجماني فهو المسيح كـما تصوره عقيدة مؤلفي العهد الجديد، والتي دعـوا إليها، وبشـروا بها، ودونوها في صفحات العـهد الجديد بأسفـاره القـانونية والزائفـة، ثم تلقتـها الكنيـسة بالقـبول، وبنت عليهـا الاعتقاد المسـيحي في أن المسيح كائن إلهي، فـهو ابن الله الذي أرسله إلى الأرض لتـخليص البشـرية من الخطيئـة التي وقع فيـها آدم وتوارثها أبناؤه من بعده، وعقيدة المسيح الكيرجماني ما هي إلا محاولة فلسفيـة لتسويغ اختفـاء عيسى عليه السلام، لا دليل عـليها من الكتب السماوية، أو صريح المعقولات البشرية، كـما أنها مجهولة بالنسبة إلى معاصري عيسى عليه السلام.

أما عـيسى الـنبي، وهو صورة عـيسى الناصـري نبي الجليل، ولم

يتحدث مؤلفو العهد الجديد عن عيسى بهذه الصورة. لكنها من الناحية التاريخية هي الصورة التي رسمها له معاصروه. وهذه الصورة عقيدة أصيلة في جماعات معاصري المسيح، وكذلك في بعض طبقات العهد الجديد مما ظل بعيداً عن أثر الكيرجما، أو مما تم عزله عن طبقاتها.

وهذه الصورة الحقيقية لعيسى كشفت عنها مدرسة الأشكال الأدبية، وهي إحدى طرائق أو مناهج النقد الشكلي للنصوص، وتقوم على تتبع التراكيب الأدبية الواردة في العهد القديم والجديد ودراستها للوصول إلى المناسبات، وكذلك الصور الشفهية التي استخدمت فيها، في محاولة لتقنينها كقوالب ثابتة وعلامات مميزة لأدبيات الخطاب النبوي. وقد توصلت هذه المدرسة - حسب قراءة المؤلف لها - إلى القول بنبوة عيسى، وإنكار ألوهيته، من خلال مجموعة من الشواهد والقرائن، منها: منهج الدعوة، ومضمون الدعوة، وأعماله، ومعجزاته، ومصيره المشابه لمصير أنبياء بني إسرائيل.

ومما يدل كذلك على نبوة عيسى خصائص نبوته في اعتقاد معاصريه، وتدور في فلكين: أولهما: هوية عيسى بوصفه مواطناً من الناصرة، وتصنيفه كنبي عائد وهو رأي ليس له ما يؤيده من الدلائل، أو كنبي مماثل لسائر الأنبياء وهو رأي معاصريه، بل هو رأي عيسى نفسه.

أما المسيح التاريخي فهو المسيح بوصفه شخصاً ظهر في التاريخ بشكل يمكن أن يخضع للبحث التاريخي. وقد استطاع منهج النقد التاريخي أن يكشف عن حقيقة عيسى الفعلية، وذلك بمعزل عن المسيح الكيرجماني، تلك الحقيقة التي تؤكد التطابق بين شخصية عيسى التاريخي وعيسى النبي. وهذه هي الحقيقة نفسها التي سبق القرآن إلى تأكيدها.

طبيعة النبوة

جاءت اليهودية بمفهوم غير واضح عن النبوة، إذ لا يجد له سنداً في اللغة العبرية، ويتردد المفهوم الاصطلاحي بين نظرية الفلاسفة في النبوة بتأثير فلاسفة الإسلام، وبعض مدلولات واستعمالات العهد القديم التي تعارضها، بل تنقضها استعمالات أخرى، مما أدى إلى الخلط والاضطراب بينها وبين ظواهر أخرى كالكهنوت والعرافة.

كذلك ظل مفهوم النبوة في المسيحية غير واضح ولا محدد، وقد فتح ذلك الباب إلى خلع صفة النبوة على جميع المؤمنين بالمسيحية، مما دفع بالبروفيسور جيرهارد داوتسنبرج أحد كبار دارسي العهد الجديد للقول بأن المسيحية لا تعرف منذ بداية القرن الثالث ما هي وظيفة النبوة، ولقد استمر هذا الجهل بوظيفة النبوة حتى يومنا هذا. لكن التتبع الدقيق الذي قام به د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن لمفهوم النبوة في المسيحية يكشف أن الاضطراب في تحديد هذا المفهوم يرجع إلى أبعد من هذا التاريخ بكثير؛ فقد بدأ بالضبط في الوقت الذي ألبس فيه عيسى ثوب الألوهية، وخُلع عنه رداء النبوة.

وعلى العكس من ذلك الغموض في مفهوم النبوة سواء في اليهودية أو المسيحية، نجد أن مفهوم النبوة في الإسلام قد امتاز بالوضوح الشديد، والدقة التي ترفع الالتباس والخلط، فلا تدخل في الأنبياء من ليس فيهم، ولا تخرج من وسطهم من هو من أهل النبوة، كما أن مفهوم النبوة يتوافق مع ما تواضعت عليه معاني اللغة لألفاظ النبي والنبوة، التي نزل بها القرآن الكريم، فاتفق المدلول اللغوي مع المفهوم الاصطلاحي مع المراد في الاستعمال القرآني.

إشكاليات مهمة

هذه إطلالة سريعة على هذا الكتاب الجديد في علم مقارنة الأديان، ولا تكشف هذه الإطلالة إلا عن بعض ما ورد فيه، ويبقى الكثير مما ينوء به السياق الحالي؛ إذ يطرح هذا الكتاب عدداً من الإشكاليات المهمة، مثل: ما صور الوحي ومراتبه؟ ما أشكال النبوة؟وما معاييرها؟ وكيف يمكن التحقق من صدق مدعي النبوة؟ وما القيمة التاريخية للعهد القديم؟ وما القيمة التاريخية للعهد الجديد؟ وما مدى دلالة المعجزة على صدق المعتقدات المسيحية؟


مالك بن نبي

كل هذه الإشكاليات التي تشغل العقول يجيب عنها المؤلف في ضوء نتائج العلم الحديث، وبحوث تاريخ الأديان، ومعطيات النقد التاريخي، ومقررات العقول، ونقد النصوص، ووقائع التاريخ.. ثم يعقب على ذلك بتوضيح التصور الإسلامي كميزان نهائي يقيس به المعتقدات الدينية لدى الغرب.

وتبدو منهجية المؤلف صارمة في التزام المعايير العلمية الموضوعية. وهو في ذلك يعكس نوعين من الثقافة: ثقافة علماء السلف التي تمثلها إلى درجة التشبع، والثقافة الألمانية التي استحضرها بتمكن، حتى إن القارئ لا يكاد يرى صفحة من دون الإحالة على مرجع ألماني في علم مقارنة الأديان.

كما تنم طريقته على انتمائه الواضح إلى مدرسة ابن تيمية، لكنه ليس انتماء التقليد والتكرار، وإنما انتماء الروح والمقصد. كما يظهر تأثره - من جهة أخرى - بمدرسة دراز وابن نبي، في التحرك من خلفية إسلامية أصيلة لم يربكها انفتاحها الواضح على علوم الغرب، مع الفارق في كون هذين العالمين يستحضران الثقافة الفرنسية، بينما يستحضر هو الثقافة الألمانية ومدارسها في علم مقارنة الأديان.

القياس النحوي من عبدالله بن أبي إسحاق إلى سيبويه

مراجعة: محمد القاضي
طنجة - المغرب

صدر عن كلية الدعوة الإسلامية بليبيا للأستاذ مفتاح رجب الخلاب كتاب «القياس النحوي من عبدالله بن أبي إسحاق إلى سيبويه»، مشتملاً على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

والكتاب دراسة تتبعية تهتم بجذور علم النحو، ومعرفة رجاله، والأسس التي قام عليها، والاطلاع عليه في فترة نقائه من الشوائب التي علقت به فيما بعد عبر عصوره المختلفة.

وقد تناول المؤلف في المقدمة موضوع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، ثم الصلة الوثيقة بين النحو والقرآن الكريم؛ لأن الخوف من عدم فهم القرآن والحديث هو الذي دفع العلماء إلى استنباط قواعد علم النحو وقوانينه، ولا غرابة في ذلك فالمحافظة على لغة القرآن محافظة على القرآن نفسه، وهو الأصل الأول من أصول النحو التي اعتمد النحويون عليها في تقنين قواعد هذا العلم؛ لأنه أوثق نص وأفصحه.

ومن هنا كان النحو ينمو وينضج في رحاب القرآن، وفي دروس القرّاء. وخدمة النحاة للقرآن واضحة في كتب إعرابه، وفي كتب معانيه التي كانت بداية طيبة لتفسيره. وقد ظهرت في هذا العصر كتب لبعض الباحثين تبرز معالم هذا الارتباط مثل «النحو وكتب التفسير» للدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة، و«القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية» للدكتور عبد العال سالم مكرم، و«أثر القرآن والقراءات في النحو العربي» للدكتور محمد سمير نجيب اللبدي، وغير ذلك من الدراسات والمقالات.

نشأة القياس النحوي

خصص المؤلف الفصل الأول لنشأة القياس النحوي على يد عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧هـ بالبصرة، والذي وصفته الروايات بأنه أعلم أهل البصرة وأعظمهم، وأنه فرّع النحو وقاسه، وتكلم في الهمز حتى عُمل فيه كتاب مما أُملاه، وكان رئيس الناس وواحدهم، وأنه أول من بعج النحو، ومدّ القياس والعلل، وأنه كان أشد الناس تجريداً للقياس، أي معرفةً بخصائصه واجتهاداً في ضبطه. وكان يتوسع في تقعيد القواعد المطردة التي تنطبق على كثير من الأمثلة. وعملية عدم الاستثناء، وعدم الحكم بالشذوذ لا يمكن أن تتمشى مع هذه الفترة من تاريخ هذا العلم، ولا يتجاوز الأمر أن يكو ن سكوتاً عن ذلك، بدليل إجابته ليونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) عندما سأله: «هل يقول أحد الصويق؟ يعني السويق، فقال: نعم عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس». فهذا يدل على أن تلك الفترة من بداية تنظيم القواعد والضوابط كان الاهتمام فيها منصباً على القاعدة العامة، أما تسمية ماعداها فقد بدأ التصريح به فيما بعد. وكانت صرامة ابن أبي إسحاق ومبادرته بتخطئة الفرزدق سبباً في اشتهاره بالقياس (رده على الفرزدق ونقاشه



القياس النحوي
من عبدالله بن أبي إسحاق
إلى سيبويه
مفتاح رجب الخلاب
ليبيا: كلية الدعوة الإسلامية،
٢٩٤ص، ط١، ١٩٩٦م.

له الذي يعبرون عنه بالنقد اللغوي)، وفي نسبة الطعن على العرب إليه، وإلى تلميذه عيسى بن عمر الثقفي بالولاء (ت:١٤٩هـ) فيما بعد؛ وقد فسر الأستاذ عبدالسلام هارون الطعن بقوله: ليس معنى ذلك رميهما بالشعوبية كما يفهمه البعض، بل المراد تحفظهما الشديد في التسليم لهم فيما خالف لغة القرآن.

نمو القياس النحوي

أما الفصل الثاني، فقد تناول فيه المؤلف نمو القياس النحوي وتطوره على يدي أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي. الأول توفي بالكوفة سنة ١٥٤هـ، وكان مقدماً في عصره عالمًا بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم باللغة، إمام الناس في العربية، وكان مع علمه وفقهه بالعربية متمسكًا بالآثار لا يكاد يخرج اختياره عما جاء عن الأئمة قبله، متواضعاً في علمه.

والقياس عنده مبني على الأكثر، كما هو عند أستاذه ابن أبي إسحاق، وقد أجاب من سأله: أخبرني عما وضعت مما سميته عربية أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا. قال السائل: فكيف تضع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال: (أعمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات).


عبد السلام هارون

وتسمية أبي عمرو ما خالف الأكثر لغات يعد خطوة مهمة في هذه المرحلة من مراحل تاريخ هذا العلم تتمشى مع تطوره، وهو يفسر لنا اختلاف أولئك العلماء في هذه السبيل. فكلما تقدم الزمن بهذا العلم اتضحت معالمه أكثر فأكثر.

ويورد المؤلف نماذج من أقيسة أبي عمرو، وهي كثيرة في أبواب النحو والصرف، كالاستثناء، والممنوع من الصرف، وتابع المنادى، ونصب المصدر، والنسب، والتصغير، والهمزة والإدغام.. وغير ذلك.

أما عيسى بن عمر الثقفي فهو ثاني علماء مرحلة النمو لهذا العلم في البصرة، توفي سنة ١٤٩هـ. وتذكر بعض المصادر في ترجمته أنه كان مثل أستاذه ابن أبي إسحاق يُجرد القياس ويطعن على العرب، بتخطئته المخالف للقياس.

ويختلف عيسى بن عمر عن غيره من رواد هذا العلم، فقد نسب إليه أنه وضع كتابه على الأكثر، وبوّبه وهذّبه. يقول الزُّبيدي: فلما كان عيسى بن عمر قال: أرى أن أضع الكتاب على الأكثر، وأسمي الأخرى لغات، فهو أول من بلغ غايته في كتاب النحو، وقيل: وضع في النحو كتابين: الجامع، والإكمال، لم يصلا إلينا. وقد عدهما الخليل بن أحمد الفراهيدي كالشمس والقمر للناس قائلاً:

ذهب النحو جميعاً كله
غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمالٌ وهذا جامعٌ
وهما للناس شمس وقمر

ويمكن القول بأن نحو عشرة مواضع مما نقله سيبويه عن عيسى كان من قبيل الرواية.

مرحلة النضج

ركز المؤلف في الفصل الثالث في نضج القياس النحوي على يدي يونس بن حبيب والخليل بن أحمد الفراهيدي، وهي مرحلة النضج والاتجاه نحو الكمال.

أما يونس بن حبيب فهو أول علماء هذه المرحلة. توفي سنة ١٨٢هـ بالبصرة التي كانت حلقته بها ينتابها الأدباء، وفصحاء العرب، وأهل البادية. اختلف إليه أبو عبيدة معْمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ) أربعين سنة يملأ ألواحه من حفظه، وجلس إليه أبو زيد الأنصاري (ت: ٢١٥هـ) عشر سنين، وخلف الأحمر (ت نحو ١٨٠هـ) عشرين سنة، وكان له علم بالشعر، وموازنة بين الشعراء، كما جاء في معجم الأدباء(٦٥/٢).

روى عنه سيبويه كثيراً في كتابه، وأخذ عنه أبو الحسن الكسائي (ت:١٨٩هـ) ،وأبو زكريا الفراء (ت:٢٠٧هـ) وله قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها.

وقد تأثر بأستاذه أبي عمرو بن العلاء في منهجه العام، ويورد المؤلف نماذج من أقيسة يونس بن حبيب ونماذج من قراءاته.

إن سعة علم يونس باللغة والأدب جعلته يمتاز من غيره من شيوخه وعلماء عصره، فقد كثرت رواية سيبويه عنه، كما تقدم، في اللغة وفي النحو، على الرغم من إشارة بعضهم إلى أن الشواهد اللغوية أكثر. ولكن مشاركته في أغلب أبواب النحو والصرف واضحة في بعض النماذج السابقة.

وثاني علماء هذه المرحلة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي نشأ بالبصرة وكانت وفاته سنة ١٧٠هـ. قال الإمام النووي: «واتفق العلماء على جلالته وفضائله وتقدمه في علوم العربية».

وقال عنه ابن جني: «كان سيد قومه وكاشف قناع القياس في علمه». أما قياسه فهو مبني على الأكثر المطرد في كلام العرب، مع نصه دائمًا على ما يخالفه، ومحاولته في أكثر الأحيان أن يجد له تأويلاً.

اخترع علم العروض، وألف في اللغة كتاب «العين» الذي يعدّ أصل الكتب المصنفة في اللغة. قال عنه ابن المقفع (ت:١٤٢هـ): «لقيت رجلاً عقله أكثر من علمه».

خصص المؤلف الفصل الرابع لكتاب سيبويه وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية ومنزلته ، ومصادر النحو وأدلته فيه، ومنهجه العام. وقد انتقل سيبويه إلى البصرة وهو شاب مع أسرته، ولا يعرف بالتحديد تاريخ ولادته، ولا تاريخ هجرته إليها، ولكن بعض الباحثين استنتج ذلك من أقرب الأقوال في تاريخ وفاته بسنة ١٨٠هـ.

اشتهر سيبويه بمناظرته الشهيرة مع الكسائي ببغداد في المسألة الزنبورية المعروفة. كما أن كتابه يعدّ سجلاً نقل للباحثين شيئًا عن بعض علماء هذه الفترة التي سبقته. بل إنه، إلى جانب ذلك، كان توثيقًا وتنظيمًا لها، واستنباطًا لقواعدها العامة، وقوانينها الكلية، واستكمالاً للناقص منها. فقد كان سيبويه يقوّم هذه الدراسات، ويصف الرأي أحيانًا بموافقته للقياس وأحيانًا بالمخالفة، وقد يصفه بأنه قوي أو حسن أو مذهب أو غير ذلك.

وكان يوازن بين الآراء موضحًا ما اتفق عليه هؤلاء العلماء وما اختلفوا فيه، وهكذا. وقد أدى ظهور كتاب سيبويه إلى تطور مهم في الدراسات النحوية، لأنه نقل هذه الدراسات من المناقشات الشفوية إلى مرحلة التدوين والتسجيل، كما أقبل العلماء على نسخه، ورأوه أشرف شيء يمكن إهداؤه كما فعل الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) عندما أراد الخروج إلى محمد بن عبدالملك الزيات (ت: ٢٣٣هـ) الذي قال له: والله ما أهديتَ إلي شيئًا أحبُ إليّ منه».

والكتاب مرجع يُرجع إليه عند تأليف كتاب في القواعد، وصورة لما وصل إليه التقدم العلمي في النحو في أواخر القرن الثاني الهجري، فهو ثمرة الجهود المتواصلة منذ بدأها أبو الأسود الدؤلي، وهو صورة لما كانت عليه دراسة النحو آنذاك من التعليل والقياس والاستنباط والتفريع واستيعاب الفروض، وهو الأول والآخر في النحو، وسجل لقواعد النحو، وقف العلماء عندها ولم يزيدوا عليها.

وقد اعتمد سيبويه على المصادر الآتية:

ـ السماع ويشمل القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب الفصحاء، وما سمعه سيبويه أو رواه، ونقله عن شيوخه أو عن النحويين قبله.

وقد عرض المؤلف بيان كيفية استشهاد سيبويه بهذه الأقسام، أو المصادر، ومنهجه في ذلك، ثم انتقل بعد ذلك إلى المصدر الثاني، وهو القياس في الكتاب: مفهومه وأركانه وأقسامه وهو: الفصل الخامس الذي بدأه بالحديث عن مفهوم القياس في كتاب سيبويه والعبارات الدالة عليه، ومنها: اسم الجنس الواقع بعد (أمّا) وما النافية وكسر نون (منْ) لالتقاء الساكنين.

أما أركان القياس فهي أربعة الأصل وهو المقيس عليه، والفرع وهو المقيس، والحكم الذي يثبت للمقيس، ويشترك فيه الفرع والأصل، والعلة الجامعة بينهما. وتعرض لكل ركن من هذه الأركان بالبيان والدلائل، ليصل في النهاية إلى أقسام القياس، فوضح أن سيبويه بنى أقيسته على أحد أمرين:

ـ على الشائع والكثير والمطرد من النظائر والظواهر المتماثلة.

ـ على التشابه بين الكلمات أو الأساليب، وقد صرح كثيراً بأنهم قد يشبّهون الشيء بالشيء.

وعلى ذلك يبني كثيراً من أبواب النحو ومسائله، وبه استطاع سيبويه توجيه كثير من مسائل هذا العلم وتحليلها، وعلى هذا فالقياس عند سيبويه قسمان: قسم مبني على كثرة النظائر واطرادها بحيث تكون قاعدة كلية، وقسم بُني على التشابه أو الحمل أو ما يعرف بقياس المشابهة، وينسبه بعض الباحثين إلى المتأخرين، ولكن وجوده في الكتاب يدفع ذلك.

وعباراته تدل على وقوعه من العرب أنفسهم، وقد يعبر سيبويه عن ذلك بإجرائه مجرى كذا، أو أنه بمنزلة كذا، وبلفظ التشبيه، أو غير ذلك من العبارات.

أما موقفه من الشاذ فإنه لا يقيس عليه، وقد نبّه في أكثر من موضع على عدم الحمل على الشاذ إذا كان في الإمكان حمل الكلام على القياس.

أما الخاتمة فهي تلخيص لما أثبته المؤلف في كتابه.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٠٠)

جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ/ سبتمبر ٢٠٠١م

الفائز الأول: **راما جبر أمين - الأردن.**
الفائز الثاني: **هاشم محمود أحمد محمد - مصر.**
الفائز الثالث: **محمد أمين المليح - سورية.**
الفائز الرابع: **فايزة أحمد سالم الرماح - اليمن.**
الفائز الخامس: **قاسم حمودة عاشور - السعودية.**
الفائز السادس: **لحسن وخويا - المغرب.**
الفائز السابع: **سناء ناصر سليمان العريفان - الكويت.**
الفائز الثامن: **هاشم بن حسن بن سعيد - تونس.**

حل مسابقة العدد (٣٠٠)

١ - أبا مُنذرٍ أفنيت فاستَبْق بعضنا حنانَيك بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ
قائل البيت: طرفة بن العبد.
٢- البتروغرافيا: وصف الصخور وتصنيفها.
٣ - شندي: مدينة شهيرة في السودان.
٤ - الفِريسيُّون: طائفة من يهود عهد المسيح عرفت بتمسكها بالطقوس والتقوى الكاذبة.
٥ - بطرس البستاني: لغوي وموسوعي لبناني صاحب «محيط المحيط» و«دائرة المعارف».

أسئلة مسابقة العدد (٣٠٣)

ضع علامة ☐ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) في رمضان في السنة الخامسة للهجرة وقعت: ☐ غزوة الخندق ☐ غزوة أحد.

(٢) من قائل هذا البيت: الحربُ أولُ ما تكون فتية تسعى ببزّتها لكل جهول
☐ زهير بن أبي سلمى ☐ عمرو بن معدي كرب

(٣) جعبر: ☐ قلعة قديمة سماها العرب (دوسر) تقع على الفرات بين الرقة وبالس
☐ مغارة في لبنان بالقرب من ينابيع نهر الكلب.

(٤) مرج الكحل: ☐ سهل كبير قرب مدينة عكا في فلسطين ☐ شاعر من أهل جزيرة شقر بالأندلس.

(٥) إعجاز القرآن كتاب شهير لـ: ☐ مصطفى صادق الرافعي ☐ عبدالقاهر الجرجاني.

الاسم: **المدينة:** **ص.ب:** **هاتف:**

العنوان: **الدولة:** **الرمز البريدي:** **ناسوخ:**

مسابقة الفيصل

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومـًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومـًا، مع تمنياتنا بحظ وافر لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي

الأمير سلمان
يفتتح معرض المصاحف المطبوعة

أربعة علماء من الفائزين بجائزة
الملك فيصل يفوزون بجائزة نوبل

اليونسكو تدعو إلى حماية آثار القدس

نوبل لنايبول.. ذلك الشبح
وجائزة الشارقة للمقالح

توماس طومسون ورؤية جديدة
لتاريخ فلسطين.. وشيمل تحاضر
عن الثقافة العربية في الهند

وفاة الأديبين الإيطالي جيوفاني ماشيا
والكويتي خالد الزيد

الأمير سلمان يفتتح معرض المصاحف المطبوعة

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض في الخامس من شهر شعبان ١٤٢٢هـ الماضي حفل افتتاح معرض المصاحف المطبوعة الذي ينظمه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بقاعة التراث الإسلامي بمقر المركز في الرياض في إطار نشاطه الثقافي لهذا العام.

وكان في استقبال سموه بمقر الحفل أصحاب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وصاحب السمو الأمير بندر بن سعود بن خالد الأمين العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، والدكتور عبدالله العثيمين الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية، ويوسف الحمدان نائب الأمين العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، والدكتور يحيى محمود بن جنيد أمين عام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.



الأمير سلمان يقص الشريط إيذاناً بافتتاح المعرض



الأمير سلمان بن عبد العزيز والأمير تركي الفيصل في أثناء الافتتاح

ولدى وصول سموه قام بقص الشريط إيذاناً بافتتاح المعرض، ثم تجول سموه في أقسام المعرض، واطلع على ما يحويه من مصاحف بخطوط مختلفة، وطبعات متعددة قديمة من ست وأربعين دولة، فقد ضم المعرض سبعمئة وواحدة وثلاثين نسخة من المصحف منها ما هو نادر وذو زخارف متعددة، وأنماط طباعة متنوعة.

وقال الأمير سلمان في كلمته عقب الافتتاح: «أيها الإخوة إن هذا الكتاب المصحف الشريف فيه ما يهم الإنسان بل ما يهم الدنيا والآخرة، فيه دروس وعبر وتوجيهات إلهية، ونظام كامل للكون وما فيه، لذلك أقول: إقامة هذا المعرض وأمثاله هي الدعوة للخير، ولتحكيم كتاب الله وسنة رسوله التي ـ والحمد لله ـ تحكم به هذه البلاد، وهي مهبط الوحي، وبلاد الحرمين والتي يتسمى قائدها ومليكها بخادم الحرمين الشريفين».

وقد سجل سموه كلمة في سجل الزيارات قال فيها: «تشرفت بافتتاح هذا المعرض الذي ضم مجموعة كبيرة من المصاحف المطبوعة في مختلف دول العالم، والتي تدل على أهمية الكتاب الكريم في حياة المسلمين؛ لأنه يضم ما يهم الإنسان في أمور الدنيا والآخرة وأشكر صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة المركز والقائمين عليه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وعقب نهاية الحفل أدلى صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بتصريحات عبر فيها عن خالص شكره وامتنانه لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز لتشريفه ورعايته حفل افتتاح المعرض ولدعمه المتواصل لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بشكل عام، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بشكل خاص.

وأكد سموه أن هذه الرعاية تأتي امتداداً للجهود الصادقة التي تقوم بها حكومة المملكة العربية السعودية لخدمة المصحف الشريف، وعلى رأسها جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ والمتمثلة في إقامة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الذي قام



من داخل المعرض



بطباعة ملايين النسخ من طبعات القرآن الكريم وزعت في جميع القارات والدول الإسلامية، وفي أوساط الأقليات المسلمة في أنحاء العالم. وأشار سموه إلى أن هذا المعرض يرمي إلى تسليط الضوء على مراحل تطور طباعة المصحف الشريف، وإلى إبراز الجهود التي قامت ولا زالت تقوم بها المؤسسات الحكومية والأهلية والأفراد وعلى مستوى العالم في مجال طباعة المصحف الشريف ونشره، وأوضح الأمير تركي أنه لا يوجد حاليًا أي توجه لنقل المعرض داخل السعودية أو خارجها، كما أنه سيكون متاحًا للجمهور دون تحديد فترة زمنية لإغلاقه إلى حين استبدال نشاط آخر به.

وقال الأستاذ صالح الخريجي رئيس اللجنة التنفيذية للمعرض: إن عدد المصاحف التي سيتم عرضها يربو على ٧٣١ مصحفًا من ٦٤ دولة مختلفة، وهي مصاحف نادرة ومتميزة في نواح عدة، مثل الطباعة والزخرفة والإخراج، بالإضافة إلى عدد من المصاحف النادرة التي كانت قد أهديت إلى الملك فيصل، يرحمه الله.

وفي نهاية الجولة سلم سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز الدروع التقديرية للجهات الداعمة للمعرض وهي: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وللأستاذ عبدالرحمن بن عبدالقادر فقيه، وشركة قزاز للتجارة، ومكتبة مرزا، ومستشفى مغربي للعيون.

وتسلم سموه هدية تذكارية من سمو الأمير تركي الفيصل، وهي نسخة عن ثاني طبعة من المصحف الشريف طبعت في هامبرج - ألمانيا عام ١٦٩٤م، كما تسلم سموه هدية تذكارية بهذه المناسبة من الخطاط طاهر عمارة وهي سورة ياسين مكتوبة على ورق البردي.

وقد حضر الحفل صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز الأمين العام للهيئة العليا للسياحة، وسمو الأمير محمد بن سعود بن خالد، وصاحب السمو الملكي الأمير بندر بن خالد الفيصل، وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن تركي الفيصل، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن بندر الفيصل.

مؤسسة الفكر العربي تجتمع في بيروت

برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس مجلس أمناء مؤسسة الفكر العربي عقد مجلس أمناء المؤسسة أربعة اجتماعات خلال الفترة من (١٥ - ١٧ أكتوبر/تشرين الأول الماضي) في بيروت، وقد عقدت هذه الاجتماعات بناءً على القرارات التي اتخذها الاجتماع التأسيسي الذي عقد في القاهرة في الثاني والثالث من يونيو/حزيران الماضي، وقالت النائبة اللبنانية بهية الحريري: «إن اختيار التاريخ الحالي لإطلاق المشروع ليس مجرد مصادفة، وتحديداً بعد ١١ سبتمبر/أيلول [التاريخ الذي شهد انهيار المركز التجاري العالمي في نيويورك]، إذ أصر الأمير خالد الفيصل على إبقاء الموعد قائماً رغم أن الإلغاءات طالت الكثير من الاجتماعات في العالم».

وعقد الأمير خالد الفيصل مؤتمراً صحفياً عقب نهاية الاجتماعات أعلن من خلاله عدداً من التوصيات التي تمخضت عنها هذه الاجتماعات، ومن هذه التوصيات:

أولا: الموافقة على الأهداف العامة للمؤسسة في الشكل الآتي:

ـ تنمية الاعتزاز بثوابت الأمة وقيمها وهويتها من خلال البرامج الثقافية الملائمة.

ـ ترسيخ الأفكار والفعاليات التي تعمل على نبذ دواعي الفرقة، وتحقيق تضامن الأمة، وتوحيد جهودها لتصب في المصلحة العربية العليا.

ـ العناية بالمعارف والعلوم، وتعميق الاهتمام بالدراسات المستقبلية والاستفادة المثلى من التقنيات الحديثة المتاحة.

ـ تكريم الرواد، ودعم المبدعين وتشجيعهم، ورعاية الموهوبين من أبناء الأمة العربية.

ـ تحقيق التواصل وتفعيله مع العقول والكفاءات والمؤسسات العربية المهاجرة، والاستفادة من خبراتها.

ـ التنسيق والتواصل مع الأفراد والهيئات المعنية بالتضامن العربي الثقافي والفكري والهيئات والمنظمات الإقليمية والدولية ذات العلاقة بالشأن العربي.

ـ استحداث البرامج الإعلامية والثقافية التي تسهم في نشر الفكر العربي في العالم وتصحيح المفاهيم السلبية عن الأمة العربية.

ثانياً: الموافقة على النظام الأساسي للمؤسسة.

ثالثاً: استمرار اللجنة التحضيرية، التي انضم إليها أعضاء جدد بإدارة المؤسسة حتى الاجتماع المقبل لمجلس الأمناء، والمقرر عقده في بيروت خلال شهر يناير/كانون الثاني المقبل.

رابعاً: الإعلان في الصحف المختلفة عن مسابقة لتصميم شعار المؤسسة.

خامساً: تشكيل لجنة إعلامية لمناقشة المشروع الإعلامي المقترح على مجلس الأمناء.

سادساً: تم التبرع في شكل أولي بمبلغ مليون و٢٥٠ ألف دولار عدا الوديعة التي التزمها المؤسسون، (بلغت الآن ٢٤ مليون دولار) ليتم الإنفاق منها على المشروع الإعلامي المقترح كخطوة أولى لنشاط المؤسسة.

وأوضح سموه أن اختيار لبنان مركزاً رئيساً للمؤسسة سببه موقع البلد وغناه الثقافي والحضاري والتاريخي، لكونه ملتقى



الأمير خالد الفيصل

لمختلف الحضارات. وقال: إن فكرة المؤسسة تعتمد على التضامن بين الفكر والمال بحيث اهتم بعض الموسرين من رجال الفكر بإنشاء هذه المؤسسة مقدمين الدعم الكبير لوضع رأسمال يصرف على مختلف النشاطات الثقافية والفكرية، وأضاف سموه: «نحن أحوج ما نكون إليه اليوم في عالمنا العربي مثل هذه المبادرات لصقل منطقنا الفكري بعد أن أصبحنا شعباً متلقياً في عالم لم تعد فيه الهجمات بالسلاح فقط، بل بالاقتصاد والثقافة والإعلام».

وكان صاحب فكرة إنشاء هذه المؤسسة هو صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية، وكان ذلك خلال «مؤتمر الثقافة العربية» الذي عقد في العاصمة اللبنانية بيروت في مايو/أيار عام ٢٠٠٠م، إذ دعا سموه في خطابه إلى «اجتماع أرباب الفكر العربي في كل المجالات ـ تحت مظلة مؤسسة فكرية علمية، تعنى بالعلم والآداب والفنون، وتشجع الإبداع وتكرم المبدعين، وبخاصة أولئك الذين يتوجهون بنشاطهم إلى خدمة فكرة التضامن العربي ولم شتات الأمة.. على أن يتم التكريم خلال تظاهرة فكرية تقام لتحقيق هذا الأمل كل عام في بلد عربي يستضيفها وينظمها..».

وتقوم فكرة مؤسسة الفكر العربي على العناية بمختلف جوانب الفكر من علوم واقتصاد وإدارة، وآداب وفنون، وتعميق الاهتمام بالدراسات المستقبلية، ورعاية الموهوبين من الشباب، وتشجيع عودة العقول العربية المهاجرة، وتشجيع حركة الترجمة من العربية وإليها، والإسهام في نشر الفكر العربي في العالم بالوسائل الفعالة.

وتضم المؤسسة في عضويتها نخبة من رجال المال والفكر والثقافة منهم: صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل، وصاحب السمو الملكي الأمير محمد العبدالله الفيصل، وصاحب السمو الملكي الأمير بندر بن خالد الفيصل، وعبدالعزيز البابطين، والدكتور عبدالله العثيمين، وصالح كامل، وبهية الحريري، والشيخ جمعة الماجد، ونجيب ساويرس، والدكتور مانع سعيد العتيبة، وطارق حجي، والأمير هيثم بن طارق بن سعيد، والأمير فاتك بن فهر، ومحمد ياسين دغمش، ومحمد أبوالعينين، ود. سعاد الصباح، وغيرهم.

ربع قرن على تأسيس نادي الرياض الأدبي


الأمير سلطان بن فهد

بحضور صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب، وصاحب السمو الملكي الأمير نواف بن فيصل بن فهد بن عبدالعزيز نائب الرئيس العام لرعاية الشباب، احتفل نادي الرياض الأدبي بمناسبة مرور ربع قرن على تأسيسه، وقد تم خلال الاحتفال تكريم عدد من الشخصيات التي أسهمت في تأسيس النادي، فقد شمل التكريم: الرواد ورؤساء النادي، منهم: الشيخ حمد بن محمد الجاسر، يرحمه الله، والشيح عبدالكريم بن عبدالعزيز الجهيمان، والشيخ عثمان بن ناصر الصالح، والشيخ عبدالله بن محمد بن خميس، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس، والشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

كما شمل التكريم أعضاء مجلس الإدارة من البداية حتى الآن ومنهم: الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي، يرحمه الله، والأستاذ عمران بن محمد العمران، والأستاذ عبدالله بن علي الماجد، والدكتور يحيى محمود بن جنيد، والأستاذ علي بن غرم الله الدميني، والأستاذ عبدالله بخيت، وغيرهم، وكُرِّم أيضاً المتعاونون مع النادي من الرئاسة العامة لرعاية الشباب ورجال الأعمال الذين قدموا الدعم للنادي.

وقد تزامن مع هذه الاحتفالات ـ كما صرح الشيخ عبدالله ابن إدريس رئيس النادي ـ صدور عدد من المطبوعات منها:

ـ التطور التاريخي للدولة السعودية في دورها الأول: قراءة في تطورها الديني والسياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي، تأليف: الأستاذ عبدالله الشهيل.

ـ من معالم القص، تأليف: الدكتور مانع حماد الجهني.

ـ ظفر خان، تأليف: الدكتور محمد الشويعر.

ـ ملامح حركة النشر والتأليف في عهد خادم الحرمين الشريفين من إعداد النادي الأدبي.

كما سيصدر النادي عددين من دورية قوافل، وعددين من الأدبية.

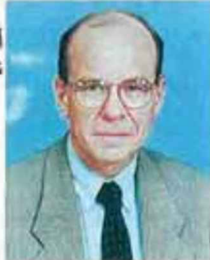
جائزة الملك فيصل تسبق جائزة نوبل

استمراراً لحصول عدد كبير من العلماء الذين فازوا بجائزة الملك فيصل العالمية على جائزة نوبل، فقد فاز هذا العام أربعة علماء كان قد سبق لهم الفوز بجائزة الملك فيصل العالمية في الأعوام السابقة وهم: الأستاذ الدكتور ك. باري شاربلس، ونال جائزة نوبل في الكيمياء هذا العام، والأستاذ الدكتور كارل وايمان والأستاذ الدكتور أريك كورنل، ونالا جائزة نوبل في الفيزياء، والأستاذ الدكتور ريوجي نويوري، ونال جائزة نوبل في الكيمياء العضوية.

والدكتور ك. باري شاربلس، أمريكي الجنسية، وكان قد حصل على جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم (الكيمياء: الكيمياء الفيزيائية) عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، وذلك لنشره نحو ٢٢٠ بحثاً في كبرى الدوريات المتخصصة في الكيمياء، وحيازته على ست براءات اختراع.


أ. د. كارل وايمان


أ. د. إريك كورنل


أ. د. ك. باري شاربلس


أ. د. ريوجي نويوري

ومن أبرز أعماله اكتشافه طريقتين جديدتين لتشييد مركبات نقية ذات جزئيات أحادية الاتجاه، إما يمينية أو شمالية، مستخدماً في ذلك حافزات فلزية تعمل على تحويل الروابط الجزئية في المركبات الأساسية للحصول على جزئيات موحدة الاتجاه. والمعروف أن بناء جزئيات من النوع الأخير أمر بالغ الأهمية؛ لأن بعض الجزئيات ربما تكون مفيدة للأحياء في صيغتها اليمينية وضارة في صيغتها الشمالية، مما يتطلب تنقيتها، ومن هنا تبرز أهمية هذا العمل خصوصاً في الصناعات الدوائية.

كما تقاسم الأمريكيان الأستاذ الدكتور كارل وايمان،

والأستاذ الدكتور أريك كورنل جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم (الفيزياء: فيزياء الليزر) في عام ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، كما تقاسما أيضًا جائزة نوبل لهذا العام، وكان نيلهما لجائزة الملك فيصل العالمية لتعاونهما منذ مطلع التسعينيات من أجل التوصل إلى حالة جديدة للمادة، وهي حالة التكاثف عند خفض درجة الحرارة تحت مستوى معين. وقد نجح الباحثان في تحقيق ذلك الهدف الذي سعى إليه العلماء منذ سبعين عامًا، وتمكنا من نقل ذرات الروبديوم - ٨٧ من الحالة الغازية إلى حالة التكاثف باستخدام حابس مغناطيسي مبتكر، وتبريد المادة إلى أقصى درجة عرفها الإنسان (أقل من ٠,٠٠٠٠٠٠٢كلفن). وقد فتح ذلك الكشف العلمي الباهر مجالاً جديدًا، وتلقته الأوساط العلمية العالمية باهتمام بالغ لما فيه من تعميق للمعرفة بالمادة في حالة جديدة لم تكن معروفة من قبل.

والفائز الرابع هو الأستاذ الدكتور ريوجي نويوري، الياباني الجنسية، الذي نال جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم (الكيمياء: الكيمياء العضوية) عام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، وذلك لابتكاره عددًا من الطرائق الجديدة لتشييد المركّبات العضوية، وقيامه بدور مهم في تطوير الكيمياء العضومعدنية وكيمياء التفاعلات العضوية الاختيارية. ويعد انشاؤه لمركبات «الروبديوم - بنياب» الحافزة إنجازًا فريدًا، ساهم في إيجاد طرائق أكثر فاعلية وسرعة واختيارية في تشييد المواد العضوية، بما في ذلك عدد كبير من المركّبات ذات الأهمية الحيوية كالفيتامينات والحموض الأمينية والنيوكليوتيدات والمضادات الحيوية ومضادات الالتهاب والبروستاجلاندينات.

والجدير بالذكر أن هذه ليست أول مرة يجمع فيها علماء بين الجائزتين، فقد سبق أن فاز بجائزة الملك فيصل العالمية ثم بجائزة نوبل كل من: الألماني الدكتور جيرد بينج وزميله الدكتور هنري روهرد، ثم الأمريكي الدكتور جنتر بلوبل، والعالم المصري الدكتور أحمد زويل.

وصرح الدكتور عبدالله العثيمين الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية، أن جائزة الملك فيصل العالمية بلغت هذه المكانة المرموقة نتيجة للجهد الكبير الذي تبذله أمانة الجائزة من خلال الإجراءات الصارمة والدقيقة التي تنتهجها في اختيار الفائزين، بالإضافة إلى دقة هذه اللجان وكفاءتها، وأن جائزة الملك فيصل العالمية كانت دائمًا سباقة إلى تكريم العلماء والمبدعين والمفكرين.

شيمل في مركز الملك فيصل

ألقت المستشرقة الألمانية آن ماري شيمل في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية محاضرة بعنوان «الأدب العربي في الهند»، تتبعت فيها بداية اتصال الهند بالثقافة العربية، فذكرت أن هذه البداية تعود إلى زمان فتح السند على يد القائد محمد بن القاسم الثقفي عام ٧١١م، الذي كان في صحبته بعض القراء وأهل الحديث، ولم يستمر الاهتمام بالحديث، ففي العهد الغزنوي ابتداء من عام ١٠٠٠م اتجه اهتمام العلماء إلى دراسة الفقه لكونه الوسيلة لمن أراد أن يتولى القضاء.

شيمل خلال المحاضرة

وفي عهد آل تغلق ما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر كان هناك اتجاه نحو دراسة المنطق والمعقولات.

وأشارت المحاضرة إلى أن دراسة علم الحديث ازدهرت في أقاليم عدة منها البنغال التي انتشر فيها الإسلام بعد عام ١٣٠٦م، وكذلك ملقان التي أصبحت منهلاً للتصوف والحديث، كما قامت حركة إحياء دراسة الحديث في الممالك الجنوبية (الدكن، كجرات)، وكذلك مدينة برهانبور في الهند الوسطى، والتي أدت دورًا مهمًا، وهي مسقط رأس أشهر محدثي الهند وهو القاضي علي المتقي الذي انصب اهتمامه على كتاب «الجامع الصغير للسيوطي»، الذي هذبه عدة مرات حتى وصلنا في شكله الحالي بأجزائه الثمانية تحت عنوان «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» وهو كتاب لا يستغني عنه الباحث في هذا المجال.

وقالت شيمل: «إن كان علم الكلام وأصول الفقه والحديث قد ملكت على مسلمي الهند اهتمامهم خلال الفترة الأولى من حكمهم فإننا في أوائل القرن الخامس عشر نلمس تأثير أفكار ابن عربي بين متصوفة أكثر الطرائق، وراحت تعبيرات ابن عربي تتغلغل في أدب التصوف في الهند، وعلى الخصوص الشعر باللغات المختلفة من الفارسية والسندية وغيرها».

وعددت المحاضرة المؤلفات االتي ظهرت في الهند باللغة العربية، وتأثير الإسلام في معتقدات أهل هذه البلاد، وانتهت إلى أن المؤلفات العلمية التي نشرت في الهند خلال عصور طويلة ليست إلا طرفًا واحدًا من فعالية المؤلفين الذين استعملوا

العربية لغةً أدبيةً، ونجد مقاطع وقصائد عربية نظمها شعراء الهند والسند منهم الشاعر أمير خسرو، ولكن الشعر العربي كان موطنه الأصلي الهند الجنوبية القريبة من حضرموت والتي استقر فيها التجار.

وأكدت أنه عندما سافر ابن بطوطة إلى الهند عثر في منطقة ناكور في جنوب الهند على جماعة من المسلمين، ووجد ثلاثة عشر كُتَّاباً لتعليم البنات وثلاثة وعشرين كُتَّاباً لتعليم الأولاد، وأضافت أنه من المعلوم أن هناك جماعة تسمى «كالنوايط» سافروا من بلاد العرب وتزوجوا بنساء هنديات، وكان لهذه الجماعة أثر كبير في الحياة الثقافية في جنوب الهند، وفي الحاضر يستعملون ترجمة للقرآن الكريم باللغة التاميلية، ويكتبون حروفها بالحروف العربية. وكان للطبقات الحاكمة في الهند مثل السلالة البهمانية التي شغفت بالثقافة العربية، وأرسل حكامها لجلب أشهر علماء الدراسات العربية والإسلامية من مواطنهم كل سنة.

وكذلك السلالة القطبشاهية التي عملت على ازدهار الدراسات العربية في بلادهم.

وختمت شيمل محاضرتها بقصة طريفة للملك غازي الدين حيدر «الذي جلب آلات جديدة منها آلة الطباعة بالحروف العربية، وطبع عليها كتاباً ضخماً في سبعة مجلدات في الأدب الفارسي، كما طبع كتاباً بالعربية اسمه (المناقب الحيدرية) لأحمد بن محمد اليمني الشيرواني الذي وصف فيه بلاط المدينة وحدائقها وبساتينها التي عمرها السلطان غازي الدين، ومنع السلطان توزيعه لأنه لم تعجبه طباعته وحفظ في مخازن القصر حتى هدم البلاط عام ١٨٠٧م»، لكن شخصاً إنجليزياً جلبه إلى أوربا وفي يوم من الأيام لاحت للمحاضرة فرصة شرائه، وهو الآن في مكتبتها، واختتمت قائلة: من المرجو أن يوجه علماء العرب اهتمامهم إلى هذا الأدب لأنه يحتوي على أوجه طريفة وعبارات ظريفة تدل على سعة التراث العربي.

وكان السفير الألماني في الرياض الدكتور هارالد كيندرمان قد استضاف شيمل في منزله، وقال: «إن الاحترام الكبير والسمعة الطيبة اللذين تتمتع بهما شيمل في دوائر الثقافة الإسلامية والغربية يعودان إلى سعيها الدائم من أجل الحقيقة وكفاحها طوال حياتها ضد الأحكام المسبقة».

وتُعدُّ الأستاذة آن ماري شيمل، التي تبلغ من العمر نحو ٨٠ عاماً، عميدة للاستشراق الألماني، وقد بدأت الكتابة وعمرها ١٨ عاماً، فأصدرت أكثر من مئة كتاب في مختلف الدراسات الإسلامية شملت مبادئ الإسلام وأسسه، ومختارات من القرآن الكريم والحديث، وطرائق التصوف واتجاهاتها، والزهد، ومكارم الأخلاق الإسلامية، كما ترجمت عدداً من روائع الأدب والشعر، وتجيد اثنتي عشرة لغة، وهي ما زالت تدرس وتحاضر في جامعات بون وبرلين وهاربورج وهارفارد وإسلام آباد وغيرها.

وقد شهدت لها الأوساط العلمية بالفضل في التقريب بين الشعوب والحضارات والتعريف بالقيم الإنسانية والحضارية في الإسلام، فكرمتها مؤسسات كثيرة، ومُنحت عدداً من الأوسمة والجوائز والشهادات والعضويات الفخرية، منها جائزة رابطة الكتاب الألماني للسلام عام ١٩٩٥م، ووسام الاستحقاق المصري في العلوم والفنون من المرتبة الأولى، وأُطلق اسمها على شارع في مدينة لاهور الباكستانية ليصبح اسمه (شارع آن ماري شيمل)، وهي الآن عضو في مجلس مؤسسة الفرقان، التي تضم عدداً من أقطاب التراث العربي، أمثال الراحل الشيخ حمد الجاسر، والدكتور صلاح المنجد، والدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور عبدالهادي التازي، وآخرين.

رؤية جديدة لتاريخ فلسطين


د. توماس طومسون

ضمن النشاط الثقافي لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لهذا العام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ألقى الدكتور توماس طومسون مدير مركز الدراسات الآسيوية في جامعة كوبنهاجن بالدنمارك محاضرة بعنوان «رؤية جديدة لتاريخ فلسطين»، أقيمت في قاعة المحاضرات التابعة للمركز بمبنى مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

واستهل المحاضر حديثه قائلاً «إن من ينظر في مصادر كتابة التاريخ عند الغربيين يجد أن ما كتب عن فلسطين طغى عليه دوماً الاهتمام بالتوراة ومصادرها كما هي معروفة في مملكة إسرائيل ويهوذا القديمة. وحتى تاريخ العصر البرونزي نفسه (أي الفترة الواقعة بين عامي ٣٠٠٠ و ١٢٠٠ق.م) ظل حتى فترة الأعوام الخمسة والعشرين الماضية مقترناً في كتابته

إلى حد كبير ببدايات العبريين وبوصفه مقدمة لتاريخ إسرائيل.

ولكن منذ سنة ١٩٦٧م بشكل خاص، أدّى قيام الحركة الوطنية الفلسطينية في أعقاب الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية، إلى بروز نزعة أكبر إلى التحرر في الدراسات الأثرية والكتابات التاريخية من وطأة الدراسات التوراتية ومسألة أصل اليهود، كما نشط الجدل حول طبيعة تاريخ فلسطين وأهميته بالنسبة إلى من يؤرخ للعصر البرونزي، وبشكل متزايد إلى من يؤرخ للعصر الحديدي، وبلغ الجدل درجة من الحدة عندما شمل قضايا ذات علاقة بأصل الشعوب، وقضايا استمرار الأديان وعلاقتها بالأعراق، وأصبح هناك شك حول إذا كان من الممكن الاعتماد على نصوص التوراة في كتابة تاريخ إسرائيل. بل إن هناك مؤرخين شككوا إلى حد كبير في مدى إمكانية ذلك التاريخ أصلاً!!

وأشار المحاضر إلى أن هناك مشكلات تواجه أساليب البحث التاريخي ذات الصلة بالسؤال ما إذا كان بإمكاننا كتابة تاريخ إسرائيل في العصر الحديدي بوصف أن ذلك الموضوع يستمد جذوره من الأدبيات التوراتية، ولا يوازيها من وجهة نظر أكثر علمية إلا سؤال - ولكن بصيغة أخرى - هل بالإمكان أن نكتب تاريخ فلسطين بوصف أن جذوره تمتد بعيداً عن التوراة؟ وتتضح الطبيعة المزدوجة للمشكلة التاريخية هذه بمجرد أن نشرع في التساؤل عن تاريخ هذه المنطقة التاريخية كما تعرضه المصادر الأثرية والتاريخية.

وركز المحاضر في الدور الذي أدته فلسطين في العصر الحديدي في تاريخ عالم اليوم أكثر من الأدوار التي تنسبها إليها روايات هي ثمرة مفارقات تاريخية جاءت لتخدم أهدافاً سياسية حديثة.

وتناول المحاضر الجذور العرقية لسكان فلسطين، وتتبع النصوص التي ورد فيها ذكر اسم فلسطين، ذاكراً أنه لم يكن في الإمكان توزيع سكان فلسطين على أساس جماعات عرقية واضحة المعالم قبل القرن العاشر ق.م، كما أن إعطاء أسماء المدن دلالة واضحة يعد أمراً غير دقيق تاريخياً.

وأشار طومسون إلى ما شهدته التركيبة السكانية للمنطقة من تغيير نتيجة سياسات التهجير والإحلال التي مارسها الحكام إبان الإمبراطورية الأشورية، ودعا إلى إعادة كتابة تاريخ شمال فلسطين بعد عام ٧٢٢ق.م. لأنه ظل محجوباً تحت غطاء الدراسات التاريخية الغربية ذات التوجه التوراتي.

وذكر طومسون أنه أشار في دراسته «التاريخ القديم» الصادر في عام ١٩٩٢م إلى أن مملكة أورشليم ويهوذا الأشورية لم يعد لهما وجود منذ نهاية القرن السادس ق.م تماماً مثلما لم يعد هناك وجود لملكة السامرة وإسرائيل التي كانت قائمة في القرن السادس ق.م، وأن قصص قبايل التيه؛ والأرض الخالية هي قصص يهودية أساساً تتضمن قراءة لا تخلو من مفارقات أو مغالطات لماضي مملكة يهوذا، وتسقطه على كامل مناطق فلسطين الجبلية، لأن قصة تدمير السامرة وأورشليم الواردة في التوراة قد كتبت في فترة زمنية متأخرة عن تاريخ تدميرهما الفعلي (أي القرن ٨ق.م)، وأشار إلى أن القوم الذين هُجروا على يد الأشوريين ظلت القصة اللاهوتية في التوراة ساكتة عنهم، وظلت في صمت تام طوال خمسة قرون. إلا أن هذا الصمت لا يمكن أن يستمر أمام الكم الهائل الذي بات بأيدينا من الأدلة الأثرية والنصوص المكتوبة التي بفضلها صار بإمكاننا أن نكتب تاريخ تلك الشعوب المسكوت عنها أو المنسية من دون التعلل بالمؤامرة الصهيونية أو غيرها مما تحمله النظرية التآمرية.

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على توحيد المملكة العربية السعودية، أصدرت دارة الملك عبدالعزيز مجموعة من الكتب العلمية في مختلف التخصصات شملت التاريخ، والدين، والسياسة، والأدب. وبلغت مجموعة الكتب نحو ٢٦ كتاباً كان أبرزها: «طبقات الحنابلة» للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق الدكتور عبدالرحمن العثيمين، و«كتاب تاريخ مكة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران» لأحمد السباعي، وكتاب «تاريخ المملكة العربية السعودية للدكتور عبدالله العثيمين، وكتاب «المملكة العربية السعودية وقضية فلسطين» للدكتور عبدالفتاح أبوعليه، والأستاذ شاكر النتشة، وكتاب «النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر: دراسة فنية موضوعية» للدكتور حسن فهد الهويمل.

دليل للمواقع الأثرية في الجزيرة العربية

أصدرت جمعية الآثاريين العرب، التابعة للمجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي باتحاد الجامعات العربية

مؤخراً أول دليل موثّق للمواقع الأثرية في شبه الجزيرة العربية لحقبة الحضارات القديمة قبل الميلاد، في إطار سعيها لإعداد دليل لأشهر المواقع الأثرية وفنون العالم العربي.


عبد الرحمن الطيب الأنصاري

وقد أوضح الدكتور محمد الكحلاوي الأمين العام للجمعية أن الدليل « يتناول آثار مناطق الشمال الشرقي والغرب والوسط والجنوب من شبه الجزيرة العربية، وهي مناطق شهدت بعض أهم حضارات العالم القديم»، مثل حضارات اليمن القديمة: سبأ، وحمير، ومعين، كذلك الحضارات التي شهدتها أراضي عُمان والكويت والبحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة، وأراضي السعودية في مناطق: الجوف، والعلا، والحجر، ومدائن صالح وغيرها.

وذكر الدكتور الكحلاوي أن هذا الدليل قد شارك في إعداده نخبة ممتازة من علماء الآثار العرب، منهم: الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، والدكتور محمد أبوالمحاسن (السعودية)، والدكتور حمدين صرابي (دولة الإمارات العربية المتحدة)، والدكتور محمد بيومي مهران، والدكتور رمضان عبده السيد (مصر)، وغيرهم.

دعوة لحماية آثار القدس



دعا مدير عام منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) كوشيرا ماتسورا إلى القيام بعمل ذي بُعد دولي من أجل إنقاذ التراث الإسلامي في مدينة القدس القديمة، وطالب المجتمع الدولي بجهد أكبر للمحافظة على التراث داخل مدينة القدس القديمة ليكون شاهداً على وحدة المجتمع الدولي.

وقال ماتسورا: «إن الحاجة تستدعي القيام بحملة لجمع الأموال على المستوى الدولي لضمان تنفيذ خطة عاجلة لحماية التراث في مدينة القدس»، وأضاف: «أدعو الأسرة الدولية إلى ما أعتبره فريضة الكرامة بأن نشهر إيماننا ـ عبر عمل مثقل بالرموز ـ بمستقبل إنسانية متصالحة بعضها مع بعض في هذه الحقبة من الاضطراب وغياب الوعي».

ويذكر أن مجموعة الدول العربية والإسلامية في منظمة اليونسكو تقدمت بعدة طلبات لحماية التراث العربي والإسلامي في مدينة القدس والمحافظة على التراث العربي والإسلامي فيها، وحمايته من الاعتداءات الإسرائيلية السافرة.

جائزة الشجاعة الصحفية

تقاسمت الصحفية السودانية آمال عباس (٥٥ عاماً) جائزة الشجاعة الصحفية لعام ٢٠٠١م التي تمنحها المؤسسة الإعلامية الدولية للمرأة «وهي مؤسسة أمريكية» مع الكولومبية جينيث بيدويا والإسبانية كارمن غورتشاغا، تقديراً لتغطيتهن الشجاعة للأخبار في بلادهن.

وآمال عباس هي رئيسة تحرير صحيفة «الرأي الآخر» وقد سجنت ١٧ يوماً هذا العام لأنها تناولت الفساد الحكومي في كتاباتها، وأوقفت صحيفتها عن الصدور مرات كثيرة منذ عام ١٩٩٩م.

أما جينيث (٢٧) عاماً فقد تعرضت للاختطاف والاغتصاب في مايو/ أيار ٢٠٠٠م خلال إعدادها ملفاً عن جماعة يمينية شبه عسكرية في كولومبيا، وقالت خلال تسلمها الجائزة في احتفال أقيم في ما نهاتن في الولايات المتحدة: «لقد فشل الإرهابي الذي أراد تحطيم أحلامي».

وتتلقى كارمن (٤٤ عاماً) من جهتها تهديدات بالقتل منذ ٢٢ عاماً أي منذ بدأت بتغطية أخبار منظمة (إيتا) الانفصالية في إقليم الباسك، وقد زُرعت قنبلة في منزلها عام ١٩٩٧م، وأوضحت كارمن أن محاولات اغتيالها جاءت رداً على كشفها تحركات رئيس المنظمة.

جائزة الصباح لبيضون ومرهج

نالت الكاتبتان اللبنانيتان مي بيضون وريتا مرهج جائزة الشاعرة الكويتية سعاد الصباح لأفضل عمل ثقافي وعمل


مي بيضون وريتا مرهج

عربي لهذا العام، وقد تسلمت الكاتبتان جائزتيهما في حفل أقيم بهذه المناسبة في نادي خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت، وتبلغ قيمة الجائزة عشرة آلاف دولار.

وعدت اللجنة التحكيمية عمل بيضون الذي جاء تحت عنوان «الخصوبة الزوجية في لبنان» عملاً يتميز بمقاربته الميدانية للموضوع، بما في ذلك جمع المعلومات والمعطيات الإحصائية والتحليل الجامع، مع مناقشة النتائج بموضوعية كلية.

أما عمل مرهج، الذي جاء تحت عنوان «أولادنا من الولادة حتى المراهقة»، فقد وصفته اللجنة التحكيمية بأن له فائدة واضحة وقيمة لا تنكر، وأن تعاطي الكبار أمهات وآباء ومحيطاً بالنسبة إلى تربية أطفالنا حتى المراهقة قائم على التقليد بعيداً عن أي وعي علمي لبناء الطفل ومسار نموه بالمعنى الفيزيولوجي الجسدي أو النفسي السيكولوجي، ويكتسب الكتاب قيمة متميزة من شرحه هذه النواحي بأسلوب أكاديمي يجمع بين الرصانة والدقة من جهة، والبساطة والوضوح من جهة أخرى.

وكانت مرهج قد أنهت دراستها الأكاديمية في الجامعة الأمريكية في بيروت في ميدان علم النفس عام ١٩٨١م، فيما أنهت بيضون دراستها في الجامعة نفسها في ميدان العلوم الطبيعية والصحية عام ١٩٩٨م.

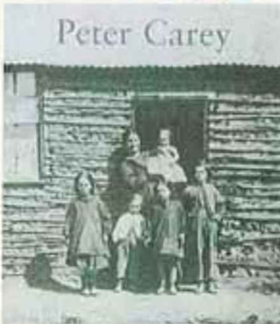
موسوعة القدس

صدرت مؤخراً في القاهرة عن دار سفير «موسوعة القدس» على قرصين مدمجين مدتهما ٥ ساعات فيديو موزعة على عشر حلقات تناولت تاريخ المدينة بدءاً بالكنعانيين ومروراً بحقب الأنبياء إبراهيم وموسى وداود عليهم السلام، ثم السبي الآشوري، والاحتلال الفارسي، والاحتلال اليوناني ثم الروماني، وظهور المسيح عليه السلام، ثم فترة حكم البيزنطيين وظهور الإسلام والفتح الإسلامي والدولة الأموية، والدولة العباسية والدولة الفاطمية والحروب الصليبية، والحملات المغولية، والحكم العثماني والحملة الفرنسية، وظهور الحركة الصهيونية، والحرب العالمية الأولى، ووعد بلفور، والاحتلال الإنجليزي للقدس، وطوفان الهجرة الصهيونية، وثورتي القدس الأولى، والثانية، والحرب العالمية الثانية، وإنشاء دولة إسرائيل، وحرب السويس، وحرب عام ١٩٦٧م، وحريق المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩م، وحرب أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٧٣م، واحتلال إسرائيل للبنان، والانتفاضة الأولى، ومؤتمر مدريد، واتفاقية أوسلو حتى انتفاضة الأقصى التي نعيشها الآن.

كما احتوت الموسوعة على أكثر من ٥٠٠ صورة للقدس والمسجد الأقصى وقبة الصخرة وكنيسة القيامة، مع ترجمة لنحو ٥٠٠ شخصية صهيونية وعربية أبرزها الحاج عبدالقادر الحسيني، وعارف العارف، وبن غوريون، وموشي ديان، وأنور السادات، وجمال عبدالناصر، بالإضافة إلى التعريف بأكثر من مئة منظمة وجمعية وأحزاب عربية وصهيونية وغربية، ومئة مقالة وتحليل تتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي، ومئة تصريح لشخصيات يهودية وعربية، ونحو خمسين وثيقة دولية صادرة عن مجلس الأمن والأمم المتحدة واليونسكو.

كاري يفوز بجائزة بوكر

فاز الكاتب الأسترالي بيتر كاري، مرة ثانية، بجائزة بوكر التي تعد من أهم الجوائز الأدبية في بريطانيا. وكانت منافسة شديدة قد جرت بين كاري صاحب رواية «التاريخ الحقيقي لعصابة كيلي»، والبريطاني أيان مكوين وروايته «تكفير»، حتى إن أعضاء اللجنة لم يستطيعوا التفضيل بينهما إلا قبل لحظات من موعد إعلان النتيجة.



غلاف الرواية الفائزة بالجائزة

ويعيش كاري في مدينة نيويورك، وكتب ست روايات فازت إحداها بجائزة بوكر عام ١٩٨٨م، كما نال كاري أيضاً جائزة كتَّاب الكومنولث قبل ثلاثة أعوام.

أما الكاتب البريطاني أيان مكوين الذي نافس للفوز بهذه الجائزة هذا العام فقد سبق له الفوز بها قبل ثلاث سنوات فقط، ومع عدم حصوله عليها هذا العام إلا أنه نال جائزة (بوكر الجمهور)، وهي جائزة استحدثت هذا العام، وتعتمد على إقبال القراء على رواية مرشحة للجائزة، وقد سجلت مبيعات رواية مكوين في طبعتها الفاخرة أكثر من مئة ألف نسخة.

نوبل لنايبول.. ذلك الشبح!!


نايبول

خلافاً لكثير من التوقعات، خرج سكرتير الأكاديمية السويدية في ستوكهولم هوراس أنغدال ظهر الخميس ١١ أكتوبر/تشرين الأول الماضي ليعلن للعالم عن فوز الأديب البريطاني المولود في ترينيداد الواقعة في البحر الكاريبي السير فيديا دهار سوور اجبراياد نايبول بجائزة نوبل للآداب لعام ٢٠٠١م، وبذلك يكون نايبول أول فائز بهذه الجائزة بمئويتها، وثاني ترينيدادي يحصل عليها بعد ديريك والكوت الذي فاز بها عام ١٩٩٢م.

وجاء في بيان الأكاديمية أن نايبول منح هذه الجائزة «لمزجه السرد المنظوري والملاحظة الوفية في أعمال تضعنا في حضور الوجه المضمر للتاريخ»، وأضافت الأكاديمية: «لا يشعر ف.أ.س نايبول بالارتياح إلا في داخله، في قلب أسلوبه الفريد والعصيّ على التقليد. وبعيداً عن الموجات الأدبية الرائجة، والأنماط الكتابية التي نادراً ما يقاومها الكاتب، يعيد نايبول صهر الأنواع الأدبية القائمة ليولد منها أسلوباً مبتكراً تضمحل فيه الحدود التقليدية التي تفصل بين الرواية والوثيقة».

ولد نايبول في ١٧ أغسطس/ آب ١٩٣٢م في ترينيداد في عائلة من المهاجرين الهنود تنتمي إلى الطبقة الرفيعة، وانتقل في سن الثامنة عشرة إلى إنجلترا فأتمّ دراسته في مدرسة كوينز رويال كوليدج قبل أن يتخصص في الأدب في أكسفورد، وقد كتب نايبول كثيراً من المؤلفات منها: «ماسير الغامض»، ١٩٥٧م، و«تضرع الفيرا» عام ١٩٥٨م، و«شارع ماغويل» عام ١٩٦١م، و«بيت للسيد بواز» عام ١٩٦١م، و«الممر الوسط» عام ١٩٦٣م، و«السيد ستون ورفيقه الفارس» عام ١٩٦٣م، و«منطقة من ظلام» عام ١٩٦٤م، و«رجال البانتوميم» ١٩٦٧م، و«راية في جزيرة» عام ١٩٦٧م و«الهند حضارة جريحة» عام ١٩٧٧م، وانحناءة في مجرى نهر» عام ١٩٧٩م، و«عودة أيفا بيرون» عام ١٩٨٠م، و«يوميات من الكنغو» عام ١٩٨٠م، و«بين المؤمنين» رحلة إسلامية عام ١٩٨١م، وغيرها.

ونال نايبول عدداً من الجوائز الرفيعة من أهمها جائزة بوكر عام (١٩٧٧م)، وهو يقيم حالياً في جنوب غرب إنجلترا، وقد منحته الملكة لقب سير.

غلاف أحد مؤلفاته

وكان هذا الفوز مفاجأة لكثير من المراقبين، الذين لم يضعوا نايبول ضمن قوائم المرشحين للفوز بهذه الجائزة هذا العام، مع أنه رشح للفوز بها قبل أعوام، وقبل عشرة أيام فقط من فوزه بالجائزة وصف الإسلام بأنه «أسوأ من الاستعمار» لأنه «يلغي ذات الفرد»، وكانت المناسبة هي احتفال أُقيم في لندن بمناسبة صدور الطبعة البريطانية من كتابه الأخير «مابعد الإيمان: رحلات إسلامية بين الشعوب المعتنقة»، وقد حدث ذلك بعد أيام من الهجمات الإرهابية في نيويورك وواشنطن.

وعلى الرغم من أن هذا الكاتب عرف بتوجهه المعادي للإسلام، إلا أنه لم يصل إلى هذه الدرجة وفي هذا الوقت بالذات. وتوقع المراقبون تبعاً لذلك أن تحجب عنه الجائزة التي من شروطها أن يتحلى النتاج الأدبي بقيمة إنسانية مميزة.

وعلى الرغم من أن أحداً لا يعرف ماذا يدور وراء الستار في جائزة نوبل، إلا أن اختيارها نايبول لجائزة هذا العام في هذا الظرف بالذات اتهام يضاف إلى الاتهامات السابقة لها بالانحياز.

وكان الدكتور إدوارد سعيد قد تناول هذا الأديب بالنقد والتحليل غداة صدور كتابه الأخير عام ١٩٩٨م «ما بعد الإيمان: رحلات إسلامية بين الشعوب المعتنقة»، فاضحاً طبيعة العداء الذي يكنه هذا الكاتب للشعوب المسلمة، ووصفه بأنه «الكارثة الأخيرة في الفكر الغربي الوسطي».

يقول إدوارد سعيد: إن هذا الكاتب «يعتقد أن لديه نظرة

جديدة مهمة إلى الإسلام، تتلخص هذه النظرة في أن الإسلام دين العرب، وكل مسلم غير عربي فهو مجرد (معتنق) للدين. من هنا؛ فإن جميع المعتنقين، أي الماليزيين والباكستانيين والإيرانيين والأندونسيين وغيرهم، يعانون من فقدان الهوية الأصلية أو كبتها، أي إن الإسلام ديانة وافدة تعزلهم عن تقاليدهم، وتتركهم في حال دائم من الـ (بين بين)».

ويرجع سعيد ذلك إلى تعرض نايبول لحادث فكري خطير في مرحلة ما من حياته، «وأن هوسه العدائي للإسلام أدى به في شكل ما إلى التوقف عن التفكير، أو إلى ما يشبه الانتحار الفكري الذي يجبره على تكرار المقولة نفسها إلى ما لا نهاية».

وقال سعيد: إن نايبول فقد الكثير من قدراته، وضاعت مواهبه، ولم يعد قادراً على التفكير السليم «إنه الآن يعتاش على سمعته، التي توهم مراجعي كتبه أنهم لا يزالون أمام كاتب عظيم، فيما الحقيقة أنه ليس الآن سوى شبح لذلك الكاتب».

المقالح يفوز بجائزة الشارقة


عبد العزيز المقالح

فاز الشاعر والأديب اليمني الدكتور عبدالعزيز المقالح، رئيس مركز الدراسات والبحوث اليمني، بجائزة الشارقة للثقافة العربية التي تمنح بإشراف منظمة اليونسكو في باريس.

وجاء قرار لجنة التحكيم، التي عقدت اجتماعاً في مقر منظمة اليونسكو في باريس، بفوز المقالح بالإجماع، وجاء في حيثيات القرار «أن اللجنة قررت بالإجماع منح الجائزة للدكتور عبدالعزيز المقالح، كأول مبدع من المنطقة العربية، تقديراً لعطائه الفكري والإنساني المتميز، ولإسهاماته في تطوير التراث الثقافي، وتعزيز الحوار بين الأفكار والثقافات. وأيضاً لمساهماته الجوهرية في البحث عن القيم الإيجابية وترويجها»، وأوصت اللجنة في بيانها بترجمة جانب من أعمال المقالح ونشرها باللغتين الفرنسية والإنجليزية.

وكان قد ترشح للفوز بهذه الجائزة، إلى جانب المقالح، سبعة وثلاثون مرشحاً ليفوز المقالح بالجائزة الأولى، والأديب الصيني ناز ونج بالجائزة الثانية.

من ناحية أخرى ينظم معهد العالم العربي في باريس في منتصف شهر نوفمبر/تشرين الثاني الحالي حفلاً تكريمياً للدكتور عبدالعزيز المقالح بوصفه واحداً من أهم الشخصيات الأدبية في تاريخ الحركة الأدبية الحديثة. وسيكون حفل التكريم على جزأين، يشتمل الجزء الأول منه على مناظرة حول اللغة العربية والرهانات الموجودة الآن بالنسبة إلى اللغة، يشارك فيها مجموعة من المتخصصين واللسانيين من دول عربية، ومن أوربا، وذلك في الفترة من (١٣ ـ ١٤) نوفمبر/تشرين الثاني الحالي.

ومن المقرر أن يطير المقالح إلى باريس بعد ثلاثين عاماً من الامتناع عن السفر قضاها في صنعاء متعللاً بأنه جال في أغلب بقاع العالم سفراً وسياحة.

رحيل الأديب الكويتي خالد الزيد


خالد الزيد

فقدت الكويت في ١٢ أكتوبر/ تشرين الأول الماضي الأديب والشاعر خالد سعود الزيد، وهو أحد الذين أغنوا الساحة الثقافية الكويتية العربية بكثير من المؤلفات الأدبية والشعرية. ويعد الزيد، الذي ولد عام ١٩٣٧م، من الرواد الذين قدموا عصارة عقولهم وتجاربهم لملاحقة نمو الأدب الكويتي.

وكان الأديب الراحل عضواً في مجلس إدارة رابطة الأدباء في الكويت، إذ تولى سكرتارية تحرير مجلة (البيان). وعين رئيساً لتحريرها عدة مرات في نهاية عام ١٩٩٦م، ثم انتخبته الجمعية العمومية لرابطة الأدباء أميناً عاماً للرابطة.

واستمر في هذا الموقع حتى عام ١٩٧٢م، بينما بقي أميناً للسر منذ عام ١٩٧٣م حتى شهر يونيو/ حزيران عام ١٩٨١م، ثم عضواً في مجلس الإدارة للرابطة حتى عام ١٩٨٣م، وقد شارك خلال هذه الفترة في معظم الأسابيع الثقافية والندوات مشاركة فعالة، وألقى عدداً من المحاضرات في أكثر من جامعة عربية وأجنبية.

ويملك الأديب الراحل ثروة من الكتب الأدبية التراثية القديمة، تشتمل على نحو اثني عشر ألف كتاب في شتى علوم الثقافة والفكر والآداب وتفسير القرآن الكريم،

بالإضافة إلى عدد كبير من المخطوطات القديمة جرى الاستيلاء عليها عند غزو القوات العراقية لدولة الكويت عام ١٩٩٠م.

ويعد الأديب الراحل أول أديب كويتي يحصل على جائزة الكويت في الآداب لجهوده ودوره الكبير في البحث والتأليف والتأريخ للأدب في الكويت.

وكان الفقيد عضواً في لجنة نصوص الأغاني في وزارة الإعلام، وكان رئيساً لها عام ١٩٧٧م، كما كان عضواً في المجلس الاستشاري للإعلام منذ عام ١٩٩١م حتى عام ١٩٩٣م.

عصر النهضة

افتتح عمدة مدينة روما والتر فلتروني مؤخراً معرضاً فنياً بعنوان «عصر النهضة: روائع الأعمال الفنية في المتاحف الإيطالية، طوكيو - روما ٢٠٠١م»، ويشتمل المعرض على ١٧٢ عملاً لفنانين مرموقين أمثال مايكل أنجلو، ورفائيل، وليونارد دافنشي.

وترمي هذه الأعمال المختارة إلى تقديم رؤية واضحة وبسيطة لعصر النهضة منذ البداية في أوائل القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن السادس عشر.

وكانت هذه التحف قد عرضت من قبل في اليابان حيث زارها أكثر من نصف مليون شخص منذ يونيو/حزيران الماضي، وقد أغرى هذا النجاح القائمين على أمر المعرض إلى تكرار التجربة في إيطاليا قبل أن تعود هذه التحف إلى أكثر من ٦٠ معرضاً إيطالياً تشكل موطنها الأصلي.

وكان المسؤولون عن المعرض قد أنفقوا ثلاث سنوات في اختيار هذه التحف المعروضة، كما عانوا من عدة إشكاليات خوفاً من تعرض هذه التحف للسرقة أو الإصابة بأضرار في أثناء الرحلة إلى اليابان أو في أثناء العرض، ومن المقرر أن يستمر هذا المعرض حتى يناير/كانون الثاني القادم.

معبد فرعوني جديد

قال مسؤول في مجال الآثار بمصر: إن علماء الآثار اكتشفوا معبداً نادراً مصنوعاً من الحجر الطيني عمره أكثر من ألفي عام في واحة نائية.

وكان فريق مصري فرنسي من المنقبين عن الآثار قد عثر على معبد فرعوني نصفه مدفون في واحة الخارجة التي تبعد ٦٠٠كم جنوب غرب القاهرة على أطراف الصحراء الكبرى، كما عثر على نحو ٣٠٠ تمثال من البرونز للمعبد الفرعوني (أوزوريس) يبلغ ارتفاع كل منها ٣٢سم، ويعود تاريخ هذا المعبد إلى فترة الحكم الفارسي لمصر في الفترة بين عامي ٥٢٥ قبل الميلاد و ٤٠٤ قبل الميلاد.

عودة تمثال سوداني



من الآثار السودانية

استعاد السودان من بريطانيا في الشهر الماضي قطعة أثرية نادرة كانت قد فقدت من متحف البركل (شمال السودان) عام ١٩٩٤م، ويعود تاريخ القطعة المعادة - وهي تمثال عليه خمسة خطوط هيروغلفية عمودية ومصنوع من الجرانيت - إلى فترة الحضارة المروية (نسبة إلى مملكة مروي).

وقد تم التسليم في السفارة السودانية في العاصمة البريطانية لندن، وقد أشاد السفير السوداني بالدور البريطاني في استرجاع التمثال المفقود، كما دعا إلى إعادة تسمية قسم الآثار المصرية لتصبح (قسم الآثار المصرية والسودانية)، مؤكداً أن ذلك «يحفظ للحضارة السودانية شخصيتها المستقلة، حتى لا تبدو وكأنها انعكاس للحضارات المجاورة كالحضارة المصرية».

إيطاليا تودع جيوفاني

توفي الأديب الإيطالي جيوفاني ماشيا عن عمر يناهز ٨٨ عاماً، وهو واحد من أكبر الكتاب والنقاد الإيطاليين.

وكان جيوفاني قد نشر أول أعماله النقدية عن الشاعر الفرنسي بودلير في عام ١٩٣٨م. وأسس في عام ١٩٥٢م معهد المسرح، وتأثر بأعمال الروائي الفرنسي بروست.

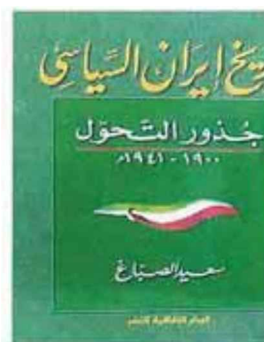
ونال عدداً من الجوائز من بينها جائزة (ميدتش) في عام ١٩٨٨م عن روايته «باريس والدمار»، وجائزة الفرانكفونية الكبرى من الأكاديمية الفرنسية.



بليبل، نورالدين/ الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام.. الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١٣٥ص (كتاب الأمة؛ ٨٤).

يحاول هذا الكتاب طرح موضوع لغة الإعلام واستدعائه إلى ساحة الاهتمام بها، ذلك أن الإشكالية الكبيرة ليست باحتلال العامية الكثير من وسائل الإعلام، أو اللحن بالعربية وإشاعته على ألسنة المتلقين فقط، وإنما الإشكالية هي أيضًا في اختيار المفردات اللغوية، والأسلوب المناسب لأنواع الأوعية الإعلامية من مكتوبة ومسموعة ومرئية، ولفنون التعبير من خبر وتقرير واستطلاع ومقابلة وحوار وتعليق، وطبيعة المضامين الإعلامية، إذ يمتد الإعلام اليوم ليغطي جوانب شتى، فهناك الإعلام السياسي، والثقافي، والاقتصادي، والأدبي، والعلمي. ولكل خصائصه ومتطلباته.

واللغة العربية بما تملك من الإمكان والتنوع والترادفات، مؤهلة لتغطية هذه الجوانب جميعها، فالإشكالية ليست في استعمال العامية وفشو اللحن فقط، وإنما الإشكالية ذات أبعاد أخرى، لا بد أن تتوافر عليها مجموعة اختصاصات معرفية للنظر فيها، وتطوير الأدوات لتتوازى مع تطور الإعلام، وبذلك يكون الإعلامي معلمًا ومعلَمًا في الوقت نفسه.



الصباغ، سعيد/ تاريخ إيران السياسي (١٩٠٠-١٩٤١م): جذور التحول.. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٧١ص.

يعد النصف الأول من القرن العشرين، من الفترات المهمة في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، إذ إن أحداث تلك الفترة، قد بلورت في طياتها عددًا من المتغيرات الحاسمة على الأصعدة المختلفة، حتى يمكن عدّها أحد مكامن التحول الجذري الذي شهدته إيران طوال هذا القرن.

وشهدت إيران نقاط تحول أساسية في تاريخها، وأصبحت دستورية للمرة الأولى في العقد الأول من القرن العشرين، بعد مرور مرحلة من تنامي الوعي الوطني، بدءًا بانهيار النظام القاجاري الحاكم (١٧٩٠ - ١٩٢٥م) وقيام نظام جديد تمثل في النظام البهلوي (١٩٢٥-١٩٧٩م) بزعامة رضا بهلوي الذي حكم فيما بين عامي ١٩٢٥ و١٩٤١م ثم حكم بعده ابنه الشاه محمد رضا بهلوي الذي أطاحت به الثورة الإسلامية بقيادة الخميني فيما بعد.

يتضمن هذا الكتاب تمهيدًا للدراسة وسبعة فصول رئيسة هي:

«الحركة الوطنية ١٩٠٦ - ١٩٠٩م»، و«إيران منذ الحرب العالمية الأولى حتى الانقلاب العسكري»، و«الانقلاب العسكري»، و«إجراءات قيام النظام البهلوي»، و«سياسة رضا شاه الداخلية»، و«سياسة رضا شاه الخارجية»، و«أثر الحرب العالمية الثانية على إيران»، وخاتمة للدراسة.

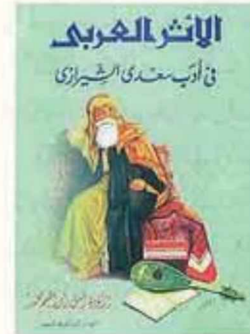


غولد، تشيرل/ البحث الذكي في شبكة الإنترنت: أدوات وتقنيات للحصول على أفضل النتائج، ترجمة: عبدالمجيد بوعزة.. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢١٣ص (السلسلة الثانية؛ ٣٨).

يتناول هذا الكتاب البحث في شبكة الويب بوصفها أهم مكونات الإنترنت ويقدم مادة علمية ثرية بطريقة واضحة بعيدة عن التعقيد، كما يوفر للقارئ ما يحتاج

إليه من معلومات ليصبح باحثًا في استرجاع المعلومات من الإنترنت، ويحتوي الكتاب على عدد من التدريبات التي من شأنها ترسيخ المهارات العلمية للمستفيد عند تعامله مع الإنترنت.

يتضمن الكتاب مقدمة وثمانية فصول رئيسة: الأول عن الويب بوصفها مصدرًا فريدًا للمعلومات، والفصل الثاني عن مكونات الويب وبنيتها، أما الثالث فعن بناء مجموعات أدوات البحث، والرابع عن أنواع أدوات البحث، والخامس عن كيف تعمل أدوات البحث؟ والسادس عن كيفية تقويم نتائج البحث؟، والسابع عن البحث الذكي، والأخير عن المواقع المفضلة وغير المفضلة، إضافة إلى خمسة ملاحق عن تعرّف أجزاء شاشة المتصفح، وخصائص البحث باستخدام الأدلة الموضوعية، وخصائص البحث باستخدام محركات البحث، وإيجاد القوائم البريدية ومجموعات الأخبار أو القوائم المكررة والملفات، ومسرد للمصطلحات الإنجليزية المعربة.

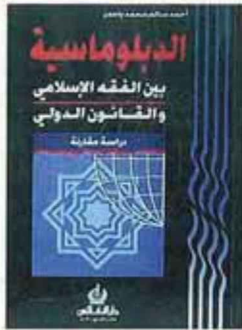


محمد، أمل إبراهيم/ الأثر العربي في أدب سعدي الشيرازي.. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٣٦٠ ص.

يتناول هذا الكتاب شخصية من الشخصيات النادرة في الآداب الإسلامية، وهي شخصية الشاعر الفارسي سعدي الشيرازي الذي يعد واحدًا من كبار الشعراء الذين أعطوا الأدب الفارسي مذاقه الخاص المتفرد، وساهموا في إعلاء شأنه، حتى تعدى حدود وطنه والأوطان الإسلامية، وارتقى إلى مصاف الآداب العالمية.

ويوضح هذا الكتاب مدى عمق الأثر العربي في أدب الشيرازي، وأهم الصلات والروابط التي تربط الشاعر بالأدب العربي، ويتوزع الكتاب على عشرة بحوث رئيسة: اختص الأول بترجمة سيرة الشيرازي وحياته وأهم رحلاته، والثاني عن الأدب النثري للشاعر، واختص المبحث الثالث بالأدب الشعري للشيرازي، أما الرابع فهو دراسة أدبية لأشعاره العربية، وفي المبحث الخامس تناولت المؤلفة موضوع الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي في الأدبين العربي والفارسي.

أما المبحثان السادس والسابع فقد خُصًا بأثر القرآن الكريم في أدب الشيرازي شعرًا ونثرًا، وجاء المبحث الثامن بعنوان «سعدي والحديث النبوي الشريف» وتناول المبحث التاسع نهج البلاغة وأدب سعدي، وجاء المبحث الأخير عن دراسة مقارنة بين المتنبي والشيرازي من حيث كيفية تناولهما لموضوعاتهما وأغراضهما الشعرية والاجتماعية وهموم عصرهما.



باعمر، أحمد سالم محمد/ الدبلوماسية بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي (دراسة مقارنة).. عمّان: دار النفائس، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٣١٠ ص.

ترمي هذه الدراسة إلى تقديم رؤية فقهية للعلاقات الدبلوماسية تستند إلى القواعد الأصولية الكلية الإسلامية، وقواعد القانون الدولي العام، وإبراز دور أئمة الفقه الإسلامي في تكوين الدبلوماسية المعاصرة. وقد حاول الباحث تأصيل أدوات الوظيفة الدبلوماسية وآلياتها، ومقارنتها بأحكام الفقه الإسلامي والقانون الدبلوماسي المعاصر بغرض تسهيل قضايا الدبلوماسية وفهمها من الناحيتين الفقهية والقانونية، لتعزز من انتماء الدبلوماسي المسلم لدينه وتراثه مع مواكبة روح العصر.

واحتوت الدراسة ستة فصول رئيسة: جاء الأول منها بمدخل نظري للبحث، وتناول الفصل الثاني تطور الدبلوماسية في العصور القديمة قبل الإسلام،

وناقش الفصل الثالث مفهوم الدبلوماسية في الفكر السياسي الإسلامي، وجاء الرابع عن تبادل التمثيل السياسي بين الفقه والقانون، وبيّن الفصل الخامس أثر الفقه الإسلامي في الدبلوماسية، أما الفصل الأخير فخصص لأثر القانون الدولي في الدبلوماسية المعاصرة، إضافة إلى خاتمة البحث، وبعض الملاحق عن سفراء النبي صلى الله عليه وسلم.

محمد، ماهر عبدالقادر / العلم العربي: دراسة واقعية.- الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١م، ٤٠٢ص.



امتاز الإسهام العلمي العربي إبان فترة الازدهار الحضاري الممتدة من أواخر القرن الثاني الهجري حتى أوائل القرن السادس الهجري، بالنقد والعقلانية معًا. ويتعين على الباحث الجاد في العلم العربي أن يقدم الدلائل التي تشير إلى ريادة العلماء العرب في هذا المجال على المستوى المعرفي (الإبستمولوجي) والمنهجي (الميثودولوجي) إلى جانب التأسيس العلمي.

وتقدم هذه الدراسة بعدًا جديدًا للرؤية المعرفية على مستوى الأسس والمبادئ فيما يتعلق بقراءة الفكر العربي، ومعرفة أبعاده، وأصول قراءة النص العلمي أو الفلسفي إبستمولوجيًا، وهذا البعد الجديد يشكل حلقة مهمة من حلقات الفهم والوعي بالعلم العربي وتقديره بصورة جادة.

وعلى هذا الأساس تتوزع الدراسة على أربعة أقسام رئيسة:

يقوم الأول منها على دراسة حركة الترجمة في عصرها الذهبي، ويتخذ من حنين ابن اسحق نموذجًا للترجمة العلمية، أما القسم الثاني فيقوم على دراسة الإنجاز النقدي العقلاني للحسن بن الهيثم وقراءته للنص العلمي، وتناول القسم الثالث دراسة أفكار الجماعات العلمية وتصوراتها وبنيتها الأساسية من خلال المدرسة الداخوارية، وخصص القسم الرابع لتحليل النصوص العلمية - ابن النفيس (نموذجًا) - والإشكالية والمنهج، أما القسم الأخير فتناول عناصر المنهج العلمي عند ابن أبي أصيبعة الذي أجرى تطبيقًا علميًا على كتابات الطب.

حبيب، مجدي عبدالكريم / تنمية الإبداع في مراحل الطفولة المختلفة.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٣٢٠ ص.



يرى المؤلف في تقديمه للكتاب «أن الأطفال الموهوبين في حاجة إلى دور الوالدين الفعال لتنمية مهاراتهم الإبداعية والعقلية، ودورنا الرئيس، كأولياء أمور، مساعدة أطفالنا على النضج والاستقلال وعدم الاعتماد على الآخرين، والمسؤولية الشخصية، ويجب أن نؤمن إيمانًا يقينًا أن الأطفال يتعلمون من خلال خبراتهم في الحياة المحاولة والخطأ وليس بأن نعزلهم تمامًا عن الحياة».

ويتضمن الكتاب ثمانية أبواب رئيسة: خصص الأول منها للطفل المبدع والموهوب: تشخيصه وتمييزه وخصائصه وطبيعته وكيفية تعرفه وحاجة الطفل الماسة إلى الإبداع.

أما الباب الثاني فيهتم بأسس التربية الإبداعية لنمو الأطفال. ويعرض الباب الثالث المؤسسة العالمية لرعاية الأطفال الموهوبين والمبتكرين من حيث: نشأتها، وأهميتها، والحاجة الماسة إليها، والمبادئ التي تقوم عليها. وخصص الباب الرابع لمعوقات الإبداع وطرائق التغلب عليها. واستقل الباب الخامس بالأنشطة واللعب على أنهما عنصران لتطوير الإبداع العلمي وإثارته لدى الأطفال. ويعرض الباب السادس إستراتيجيات الإدارة الذكية والمبدعة لتربية مهارات الطفل الموهوب وتنميتها. وخصص الباب السابع

لدراسة العوامل البيئية لتشجيع وحفز السلوك الإبداعي للأطفال. بينما خصص الأخير لبرامج تنمية الإبداع لمراحل الطفولة المختلفة.



العنقري، خالد/ الجزيرة العربية في الخرائط الأوربية القديمة.. باريس: معهد العالم العربي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٤٣١ص.

يتعلق موضوع هذا الكتاب بخرائط الجزيرة العربية التي صدرت في أوربا منذ بداية طباعتها في مطلع الربع الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي حتى نهاية الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

وينقسم الكتاب قسمين رئيسين: يحتوي الأول منهما على تقديم للعمل ومقدمة حول موضوعه، ثم دراسة عرض فيها بعض المفاهيم الأساسية في رسم الخرائط وطباعتها، وخصص معظم هذا القسم لدراسة العلاقة بين أوربا ومناطق الجزيرة العربية.

أما القسم الثاني فإنه يحتوي على أطلس الخرائط، فقد وضعت خريطة أو خريطتان في صفحة كاملة، مع معلومات عن كل خريطة باللغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنجليزية، وتم ترتيب عرض الخرائط حسب الترتيب الزمني لطباعتها، هذه الخرائط هي الرحلات البحرية، وروايات السكان الحاليين، والحملات العسكرية، وكتابات الرحالين.



تاج الدين، أحمد/ الأكراد: تاريخ شعب وقضية وطن.. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٤٣ص.

الأكراد شعب مسلم شديد التمسك بالإسلام، شديد الإخلاص له، وقد استبسل هذا الشعب في الدفاع عن الإسلام دفاعًا شديدًا، وكانت كردستان معقلاً مهمًا من معاقل الإسلام والمسلمين، فقد تصدت أكثر من مرة لموجات الغزو التتري المغولي، وقاومت بعد ذلك تيمور لنك عام ١٤٠٠م، وعندما دخل القرن العشرين واندلعت الحرب العالمية الأولى اشترك فيها الأكراد مع الدولة العثمانية المسلمة، واستبسلوا في الجهاد وعلى الجبهتين القوقازية والعراقية، على الرغم مما ذاقوه من بطش وقمع على أيدي الأتراك، الذين اتبعوا سياسة التهجير الجماعي والإبادة في محاولة لفرض سيطرة التتريك والإفناء.

وفي هذا الكتاب يحاول الباحث إلقاء الضوء على القضية الكردية من خلال بابين رئيسين: جاء الأول عن تاريخ الأكراد ونشاطهم وعاداتهم وتقاليدهم، والشخصية الكردية واللغة الكردية وآدابها، والدين والعقيدة.

أما الباب الثاني فيتناول القضية الكردية من حيث الثورات الكردية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وظهور الجمعيات السياسية، والوضع الراهن للحالة الكردية..



الطيب، حسن أبشر/ الدولة العصرية.. دولة مؤسسات.. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٠م، ٢٣٨ص.

الدولة العصرية دولة مؤسسات، فالمؤسسات هي الآلية أو المنظومة التي تبلور فلسفة المجتمع وتحدد منطلقاته الفكرية ومعطياته الوجدانية المعبرة عن هويته وتوجهاته في التجديد والتطور الحضاري، وتعمل على تعبئة موارده وإمكاناته وتوظيفها لتنفيذ مشروعاته وتحقيق أهدافه.

وفي هذا الكتاب يتناول المؤلف علم السياسة العامة الذي تركز محاوره الأساسية في فعاليات: تشكيل

ووضع السياسات العامة، وتحليل السياسات بهدف تحديد سياسات بديلة، واختيارات ممكنة للمشروعات الحكومية، وتخصيص الموارد وتحديد الوسائل والأساليب والأدوات الواجبة للتنفيذ ثم تقويم السياسات العامة قبل وأثناء تنفيذها، وبعد انتهاء مراحل التنفيذ كافة.

هذه المحاور الأساسية لعلم السياسات العامة، هي مادة هذا الكتاب إذ يتناول كل فصل من فصوله واحداً من هذه المحاور بالدراسة والتحليل بغية تعرُّف الأطروحات الفكرية والأساليب التجريبية التي تبرز أهمية هذا العلم المهم والمتجدد.

الصباغ، أشرف/ غواية إسرائيل. (الصهيونية وانهيار الاتحاد السوفيتي).- القاهرة: جماعة حور الثقافية، ٢٠٠٠م، ٢١٤ص.

يقدم هذا الكتاب نظرة تاريخية شاملة على امتداد نحو قرن ونصف القرن يسرد فيه المؤلف ويحلل موقف اليهود من الدولة الروسية، وعلاقتهم بالمجتمع، وموقف المفكرين الروس من اليهود. وقد تساءل الروائي والكاتب ديستوفيسكي يوماً: ماذا حرك اليهود طوال القرون الماضية؟ ويجيب: لقد حركهم شيء واحد فقط هو عدم الرحمة تجاهنا. والارتواء بعرقنا ودمائنا، كما حذر ديستوفيسكي «مملكة اليهود تقترب»، وكانوا يحلمون بيوم ترتمي فيه كل الشعوب تحت أقدامهم، وقد انتبه ديستوفيسكي مبكراً للمغالطة التي نمارسها اليوم بحماقة ومراهقة فكرية، بالتفرقة بين اليهود والصهاينة فقال: لا أثق حتى في المثقفين اليهود الملحدين إنهم ليسو إلا جوهراً واحداً، ولا يعلم إلا الله ماذا ينتظر العالم من اليهود المثقفين؟.

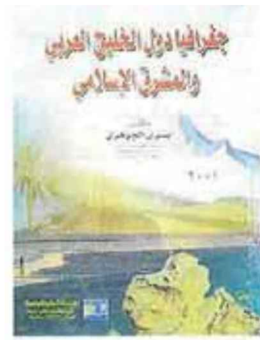
يتضمن الكتاب خمسة فصول رئيسة هي: «برتوكولات حكماء صهيون»، و«المسألة اليهودية لديستوفيسكي»، و«محاكم التفتيش الصهيونية (زولا - فوريسن - جارودي)»، و«المسألة الصهيونية (نماذج)»، و«مظاهر الانهيار»، وخاتمة، وملحقاً تفسيرياً لأهم المصطلحات والشخصيات اليهودية، ونداء نابليون إلى يهود العالم، وكمان روتشيلد (قصة لـ تشيخوف).

جراس، جونتر وهاينرش فون كلايست/ الطباخون الأشرار والجرة المكسورة (مسرحيتان من الأدب الألماني)، ترجمة: محسن الدمرداش.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ٢٤٦ص (سلسلة إبداعات عالمية؛ ٣٣٢).

مسرحية «الطباخون الأشرار» هي ثالث أعمال الأديب الألماني الحائز على جائزة نوبل ١٩٩٩م، كتب جونتر جراس هذه المسرحية في باريس عام ١٩٥٦م ،وتم عرضها أول مرة في برلين الغربية عام ١٩٦١م، وتدور أحداث المسرحية حول خمسة طباخين: الرئيس بتري ومساعديه: جرون وبني شتاخ وشتيفان، والجميع يعملون في مطعم شوستر، أما قضيتهم فهي سمعتهم بوصفهم مجموعة من الطباخين، إلا أن أحد الزبائن وهو شمنسكي يعد طبخة وجدت نجاحاً باهراً لدى زبائن السيد شوستر، وهو حساء أطلق عليه الزبائن اسم «حساء الرماد» لذلك قرر الطباخون أن يعرفوا وصفة هذا الحساء من شمنسكي ولو بالقوة.

أما المسرحية الأخرى وهي «الجرة المكسورة» فقد استوحاها الكاتب الألماني هاينرش فون كما يقول من لوحة محفورة على النحاس لفنان يدعى «ليفو» تحمل اسم «القاضي» أو «الجرة المكسورة»، وتقع أحداث الملهاة في إحدى قرى هولندا في نهاية القرن السابع عشر، وهي مثال رائع لاتباع قوانين بناء الملهاة،

فالعناصر الشكلية للبنية التحليلية، وتركز الأحداث حول شخصية محورية، وكذلك الحفاظ على وحدة الزمان والمكان والأحداث. كل ذلك يذكر القارئ بكتّاب الدراما الكلاسيكيين أمثال: أرسطو فانس، وراسين، ومن ناحية أخرى تظهر في هذه العناصر العلاقة الوثيقة لملهاة «الجرة المكسورة» بدراما الملك أوديب التي تعد المثال الأول للمأساة الدرامية.



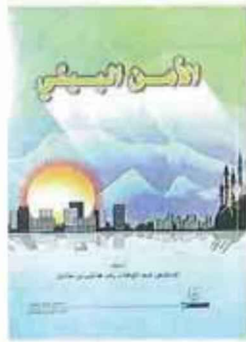
الجوهري، يسري/ جغرافيا دول الخليج العربي والمشرق الإسلامي.- الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠١م، ٢٢٧ص.

يحاول المؤلف في هذا الكتاب إلقاء الضوء على الملامح الرئيسة لشعوب المشرق الإسلامي، ومعرفة مكونات قواعدها الاقتصادية ومحتوياتها في ضوء المسرح الجغرافي الذي توجد فيه.

وقد جاء الكتاب في عدة فصول، نقل في الفصل الأول صورة تاريخية للدور الذي أدته دول الخليج العربي أو المشرق العربي في نشر الإسلام إلى أواسط آسيا وجنوب شرقها، وإلى الصين والهند والفلبين وغيرها من المناطق التي أشار إليها الكاتب باسم (المشرق الإسلامي). وتناول في الفصل الثاني دول شبه الجزيرة العربية: المملكة العربية السعودية واليمن وسلطنة عمان ودولة الإمارات العربية والكويت والبحرين وقطر، وتعرض في الفصل الثالث لدراسة كل من العراق وإيران، بينما اختص الفصل الرابع بدراسة الدول التي أطلق عليها في فترة تاريخية منطقة الهلال الخصيب، بالإضافة إلى تركيا، وجاء الفصل الخامس عن دول وسط وجنوب آسيا الإسلامية لتشمل أفغانستان وباكستان وكشمير وجمهورية المالديف.

وشمل الفصل السادس الجمهوريات الإسلامية في الكمنولث الروسي، ووجه الفصل السابع لدراسة اتحاد ماليزيا وجمهورية أندونيسيا، بالإضافة إلى الأقليات الإسلامية في المشرق الإسلامي.

استعان المؤلف بعدد من المصوّرات (الخرائط) والجداول الإحصائية لتوثيق المعلومات التي وردت في الكتاب.



ابن صادق، عبدالوهاب رجب هاشم/ الأمن البيئي.- الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٤٢ص.

تسببت الثورة الصناعية وما صاحبها من اكتشافات علمية في إلحاق كثير من الأضرار بالبيئة، ولم تنجح الأنظمة التشريعية ولا المؤتمرات والندوات المحلية والعالمية في حماية البيئة من التدهور إلا بنسبة بسيطة، خاصة أن هذه التشريعات تنفذ في الوقت الحالي طبقًا للأهواء السياسية والقوة العسكرية للدول الكبرى، بينما أكد الإسلام أن حماية البيئة واجب ديني لقوله تعالى: *ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها*. **الأعراف: ٨٥.**

جاء هذا الكتاب لإلقاء الضوء على بعض تلك الملوثات، ووضع السبل والحلول التي من شأنها الحد من تلك الأضرار البيئية وتحقيق الأمن البيئي، وقد تناول المؤلف ذلك في عشرة فصول، هي: «المنظور الإسلامي للأمن البيئي»، و«متطلبات الأمن البيئي»، و«معوّقات الأمن البيئي»، و«التأهيل البيئي للنفايات واستثمارها»، و«الأمن المائي»، و«الأمن البيئي من الأسلحة الجرثومية»، و«الأمن البيئي من التلوث البحري»، و«قضايا بيئية»، و«دور الحماية المدنية في تحقيق الأمن البيئي»، و«الأمن البيئي الشامل».

أورد المؤلف في نهاية الكتاب ثبتًا بالمصطلحات العلمية باللغتين العربية والإنجليزية.

بدأت بموضوع «اتجاهات التجديد في الرواية السعودية» لسلطان بن سعد القحطاني. وعن المكتبات في مدينة القدس كتب ربحي مصطفى عليان، وتناول فؤاد حمد فرسوني موضوع «تقنية المعلومات والتقنية التربوية اتصال لا انفصال»، وناقش جمال عزون «مصادر المازري في كتابه شرح التلقين»، وختم باب الدراسات سيف بن عبدالرحمن العريفي بدراسة عن «استدراك على ديوان ابن مفرغ»، وفي باب الببليوجرافيات استعرض محمد علي الحريري موضوع «المصادر الفقهية والتاريخية للأوقاف الإسلامية»، وقدم أحمد عبدالقادر المهندس «قائمة ببليوجرافية عن المصطلحات العلمية مع التركيز فى بعض فروع العلوم الطبيعية»، وعادل محمد علي الشيخ حسين ببليوجرافية عن «الخيل في المكتبة العربية».

وفي باب المراجعات، قدم عزالدين النجار ومحمد عدنان الجوهرجي «نظرات في كتاب الأعلام: (شعلة)، و(ابن المرقع)»، وأورد عبدالكريم الحبيب «ملاحظات وتصويبات على كتاب تاريخ خليفة بن خياط»، وقدمت نجاة المزيني قراءة لكتاب «شعراء إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع»، وقدم حسين علي محمد دراسة موضوعية وفنية لمجموعة فؤاد قنديل القصصية «عسل الشمس»، بالإضافة إلى الأبواب الثابتة.

العنوان: الرياض ١١٤٦٧ ـ ص.ب: ٢٩٧٩٩
هاتف: ٤٧٦٥٤٢٢ ـ ناسوخ: ٤٧٦٣٤٣٨

الدرعية (س٤ ع١٣، المحرم ١٤٢٢هـ/ أبريل ٢٠٠١م) مجلة فصلية محكمة تعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية وتراث العرب.



حفل هذا العدد من المجلة ببحوث ودراسات متعددة بدأت بافتتاحية للدكتورة دلال الحربي عنوانها «هل يحتاج تاريخ المملكة إلى مزيد من الدراسات»؟.

وأرّخ الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري لـ «بنو الجراح، وبدايتهم وما سبقهم من إمارات طائية»، وتناول د. محمد الراجحي «جهود العباسيين في بناء المدن الثغرية وتحصينها خلال العصر العباسي الأول»، وقدم د. عبدالعزيز السنيدي دراسة «في التاريخ السياسي لولاية (فيد) منذ ظهور الإسلام حتى القرن السادس الهجري»، وعدد د. سعد الشثري «العلماء الذين لهم إسهام في علم الأصول بين عامي ١٣٠٠ و١٣٧٥هـ»، وقدم د. سعيد آل عمر بحثاً عن «مؤرخ الأحساء محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر»، وتناول د. محمد زياد كبة «مشروع الخرج الزراعي في عهد الملك عبدالعزيز من خلال الوثائق الأمريكية»، وتطرق د. فؤاد مؤمنة إلى «الأهمية التاريخية والأثرية لمدينة جدة»، واختتمت بحوث العدد بعرض وليد عتمة «موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مئة عام».

العنوان: الرياض ١١٧٧٥ ـ ص.ب: ١٥١٨٥٨
هاتف: ٤٢٦٤٦٩٢ ـ ناسوخ: ٤٢٦٤٦٩٢

عالم الكتب (مج٢٣، ع١، ٢ رجب، شعبان ١٤٢٢هـ/ أكتوبر ـ نوفمبر ٢٠٠١م رمضان ـ شوال ١٤٢٢هـ/ ديسمبر ٢٠٠١ ـ يناير ٢٠٠٢م)



مجلة محكمة متخصصة في الكتاب وقضاياه تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف.

احتوى هذا العدد المزدوج من المجلة مجموعة من البحوث والدراسات والببليوجرافيات، إضافة إلى مراجعات الكتب، والأبواب الثابتة.

آفاق الثقافة والتراث (س ٩، ع ٣٤، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ/ يوليو ٢٠٠١م)



مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي.

احتوى هذا العدد من الدورية عدداً كبيراً من البحوث والدراسات المتنوعة التي جاءت تحت عدة أبواب، ففي باب المقالات كتب د. حاتم صالح الضامن عن «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم عند السيوطي»، وعدد د.

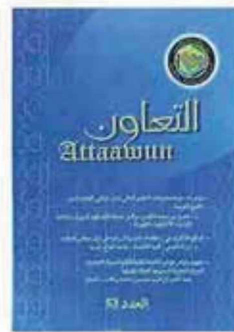
ماهر عباس جلال «الأبعاد الأمنية في الهجرة النبوية الشريفة»، وتناول د. بهجت عبدالغني الحديثي «أثر الإسلام في شعر الغزل وتطوره في العصرين الإسلامي والأموي»، وغير ذلك من المقالات المتنوعة.

وفي باب المقالات العلمية أرّخ د. عبدالعزيز خضر عباس الجاسم لـ «الطب في العصر العباسي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي»، وتتبع د. محمود الحاج قاسم محمد «رعاية المولود الحديث الولادة وتطور نموه في التراث الإسلامي»، وفي باب من نوادر المخطوطات عرض الأستاذ عبدالقادر أحمد عبدالقادر مخطوطة «الفوائد الجليّة في الفرائد الناصرية»، تصنيف وجمع: الملك الأمجد الحسن بن داود بن عيسى بن محمد الأيوبي المتوفى سنة ٦٧٠هـ، وحققت د. أحلام خليل محمد - في باب تحقيق المخطوطات - مخطوطة «القول المجمل في الرد على المهمل»، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١هـ، كما حقق الأستاذ محمد عبدالقادر خلف مخطوطة «الدر اليتيم في التجويد»، تصنيف محمد بن بير علي البركوي (٩٢٦-٩٨١هـ).

وختمت الدورية بباب شعر بقصيدة حمد خليفة بوشهاب «وقفة مع صادق الشعر».

العنوان: دبي - ص.ب: ٥٥١٥٦

هاتف: ٢٦٢٤٩٩٩ - ناسوخ: ٢٦٩٦٩٥٠



التعاون (س ١٦، ع ٥٣، ربيع الأول ١٤٢٢هـ/يونيو ٢٠٠١م)

مجلة فصلية فكرية محكّمة تصدر عن الشؤون الإعلامية بالأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية.

ضم هذا العدد من الدورية كثيراً من الأبحاث والدراسات والمقالات ذات الصلة المباشرة بقضايا دول مجلس التعاون الخليجي في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكانت الدراسة الرئيسة في الدورية بعنوان «مؤشرات جودة مخرجات التعليم العالي بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية»، كتبها د. خضير بن سعود الخضير.

وفي باب «بحوث - آراء ووجهات نظر»، كتب د. نوزاد الهيتي عن «الواقع التكنولوجي ومتطلبات التنمية الزراعية في دول مجلس التعاون»، وتناول د. عدنان بن عبدالله الشيحة «معايير تحديد النطاق المكاني للوحدة المحلية - دراسة مقارنة»، وقدم د. عمر الخليفة «ملاحظات حول كتب علم النفس في دولة البحرين»، وناقش عبدالحليم إبراهيم محيسن «مفهوم وقياس مؤشر الكفاءة المالية الكلية للبنوك التجارية: البنوك التجارية السعودية كحالة تطبيقية»، وغير ذلك من البحوث والدراسات، بالإضافة إلى الأبواب الأخرى (التقارير)، (وثائق)، و(عرض كتب)، و(يوميات مجلس التعاون)، و(ببليوجرافيا مجلس التعاون)، و(إحصاءات مجلس التعاون).

كما أن الدورية في هذا العدد، قامت بنشر مقالات باللغة الإنجليزية أول مرة. ويدور مقال هذا العدد حول الجوانب القانونية لقضية المياه في الشرق الأوسط.

العنوان: الرياض ١١٤٦٢. ص.ب: ٧١٥٣

هاتف: ٤٨٨٠٤١٢ - ناسوخ: ٤٨٢٩١٠٩



مجلة الدراسات اللغوية (مج٣، ع٢، ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ/ يوليو - سبتمبر ٢٠٠١م)

مجلة فصلية محكّمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض، وتصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

حفل هذا العدد من الدورية بجملة بحوث، بدأها فريد بن عبدالعزيز الزامل السُليم ببحث عن «شواذ الإعلال والإبدال في القرآن الكريم»، وقدم د. سعد الصويان بحثاً عن «النظرية اللغوية عند فردينان دي سوسير»، وتساءل محمد صاري هل «تيسير النحو، ترف أم ضرورة؟»، بينما ناقش عبدالرحمن الهليل كتاب «التبيان» لا للعكبري، ولا لابن عدلان، وقدم يوسف الصيداوي بحثاً بعنوان «جزاف الجزاف» رد أعلى نقد سابق لكتابه (الكفاف)».

العنوان: الرياض ١١٥٤٣ - ص.ب: ٥١٠٤٩

ناسوخ: ٤٦٥٩٩٩٣



ارامكو السعودية
Saudi Aramco

الفخر عنوان عام جديد



وإذا كان من حق كل مواطن وكل قطاع في هذا البلد الأمين أن يفخر ويعتز بما تحقق من إنجازات هائلة منذ تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم فإن للصناعة البترولية السعودية ممثلة في أرامكو السعودية، النصيب الوافر من هذا الفخر والاعتزاز. إذ أن الرؤية المستقبلية الواضحة والوطنية والجريئة لخادم الحرمين الشريفين، أيده الله، قادت هذه الصناعة



فهد انطلاقة الصناعة البترولية



في الحادي والعشرين من شعبان عام ألف وأربعمائة واثنين، أراد الله سبحانه وتعالى أن تتواصل مسيرة القيادة الحكيمة الخيّرة في بلادنا الغالية، المملكة العربية السعودية، أعزها الله، بتولي خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، حفظه الله، مقاليد الحكم في البلاد.

ومع أن هذا اليوم وهذا الحدث العظيم مثلا انطلاقة جديدة لبلدنا في جميع الميادين، إلا أن فهد بن عبد العزيز، هذا القائد الفذ، لم يكن أبدا غريبا عن مدارج القادة العظام أو مواقع الإنجازات العملاقة، تشهد له بهذا الإنجازات المتميزة التي حققها أو غرس بذرتها في حقل التعليم منذ أن كان أول وزير للمعارف قبل زهاء خمسين عاما، وفي ميادين الأمن والتخطيط الحضري منذ توليه وزارة الداخلية، وفي ميادين التنمية الصناعية والاقتصادية والتخطيط التنموي بكل أبعاده عندما حمل بكل اقتدار أمانة ولاية العهد.

فلما كان اليوم الذي تولى فيه فهد بن عبد العزيز سدة القيادة، وضع يده الكريمة في أيدي إخوانه وأبناء شعبه الوفي المحب وسار بهم ومعهم، يداً بيد، يرتقي سلم المجد في خطوات ثابتة واثقة، ويقودهم بوعي وبصيرة ثاقبة من إنجازات عظيمةٍ إلى إنجازاتٍ أعظم.

١٤١٣



ستون عاماً من عمر الشركة

١٤١٤



بناء ناقلات عملاقة جديدة

١٤١٥



أول شحنة من زيت الوسطى

١٤١٦



استمرارية برامج السعودة

١٤١٧



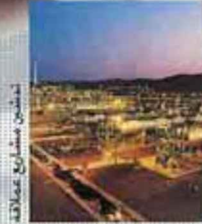
إضافة مشروعات مشتركة محلية

١٤١٨



افتتاح مرافق الرياض

١٤١٩



تدشين مشاريع عملاقة

١٤٢٠



مد شبكة الغاز إلى الرياض

١٤٢١



إطلاق الهوية الجديدة

١٤٢٢



مبادرات الغاز الجديدة

الحيوية إلى التحول من صناعة تركز في مجالي التنقيب والإنتاج ضمن نطاق جغرافي محدود في المملكة، إلى صناعة بترولية عملاقة رائدة متكاملة تغطي جميع أعمال صناعة الزيت والغاز في كل أرجاء المملكة وفي بقاع عديدة من العالم. ويكفي أرامكو السعودية فخرا أن يده الكريمة هي التي اختطت المرسوم الملكي الكريم الذي أسسها وجعل صناعتنا البترولية سعودية الوجه واليد واللسان، اسما وجسما. وأن ما حظيت به أرامكو السعودية من حسن توجيهه وكريم دعمه ورعايته، أعزه الله، كان، بفضل الله وتوفيقه، السبب في ارتقائها قمة الصناعة البترولية العالمية بلا منازعٍ خلال السنوات الاثنتي عشرة الماضية على التوالي.

ولا تجد أرامكو السعودية في هذه المناسبة العزيزة ما تقوله خيرا من التوجه إلى الله العلي القدير أن يجزي خادم الحرمين الشريفين، لقاء إخلاصه ونصحه لأبناء شعبه، خير ما يجزي قائداً عن أمته، وشعبه، وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني، بالصحة والسعادة والرضا، وأن يديم على بلادنا الغالية نعمة الخير والأمان في ظل قيادتها الحكيمة، إنه جل وعلا سميع قريب مجيب.

قيم نبيلة سامية، وتقاليد عريقة راسخة

من نبع تراثنا الأصيل، كانت وماتزال المعين

الذي لا ينضب لمسيرة هذا الوطن.

استلهمنا منها أعمالنا واتخذناها منهاجاً

وعلى طريقها القويم تابعنا مسيرة النجاح.

اليوم وفي المستقبل، سنبقى أوفياء لقيمنا

الأصيلة متمسكين بها ملتزمين بنهجها

لتبقى دائماً الأساس المتين لنجاحنا المستمر

نعتزّ بقيمنا



شركة الراجحي المصرفية للاستثمار
AL RAJHI BANKING & INVESTMENT CORP.

